جامعة دمشق

كليّة الآداب والعلوم الإنسانية

قسم التاريخ

الصراعات الصليبية الداخلية في مملكة القدس الثانية

الحملة الثالثة والحملة الخامسة

(٥٨٣-٦٢٣ هـ) / (١١٨٧ -١٢٢١م)

رسالة أُعدَّت لنيل درجة الماجستير في تاريخ العرب والإسلام

إعداد الطالب

محمود سالم العلي

إشراف الأستاذ الدكتور

سهيل زكّار

المشرف المشارك الأستاذ الدكتور

ابراهيم زعرور

دمشق ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م

چ ڃ ڄ ڇ

ڇ چ ڃ ڄ څ چ ڇ ڈ ډ ڊ ڋ ڌ ڍ ڎ ڏ ڐ ڑ ڒ ړ ڔ ڕ ږ ڗ ژ ڙ ښ ڛ ڜ ڝ ڞ ڟ ڠ ڡ ڢ ڣ ڤ ڥ ڦ ڧ ڨ ک ڪ ګ ڬ ڭ ڮ گ ڰ ڱ ڲ ڳ ڴ ڵ ڶ ڷ ڸ ڹ ں ڻ ڼ ڽ ھ ڿ ۀ ہ ۂ ۃ ۄ ۅ ۆ ۇ ۈ ۉ ۊ ۋ ۍ ێ ۏ ې ۑ ے ۓ ە ۔ ۖ ۗ ۘ ۙ ۚ ۛ ۜ ۝ ۞ ۟ ۠ ۡ ۢ ۣ ۤ ۥ ۦ ۧ ۨ ۩ ۪ ۫ ۬ ۭ ۮ ۯ ۰ ۱ ۲ ۳ ۴ ۵ ۶ ۷ ۸ ۹ ۺ ۻ ۼ ۽ ۾ ۿ

سبأ: ١٩

الإهداء

إلى.....

روح الرجل الذي كان يريدني أن أتعلم دائماً

والدي

بطاقة شكر وتقدير

عميق الشكر ، والامتنان ، والتقدير ، والعرفان إلى الأستاذ الدكتور سهيل زكار

الرجل الفاضل الذي تعلمت منه الكثير ولا أزال ....

والذي أغنى البحث بمعلوماته القيمة ، وأرائه السديدة ، وملاحظاته الدقيقة، ولم يدخر جهداً في تقديم النصح فخط لي المنهج القويم والسبيل المستقيم في ميادين البحث والمعرفة

محمود

اختصارات

أ. الأستاذ

أ.د . الأستاذ الدكتور.

ت . توفي.

تر . ترجمة.

ج . جزء.

د . دكتور.

د.ط . دون طبعه.

د.ت . دون تاريخ.

ط . طبعه.

م . مجلد.

ق . قسم.

المحتوى

الموضوع :

١-الاهداء.

٢-بطاقة شكر.

٣-اختصارات.

٤-تقديم.

٥-دراسة لأهم مصادر ومراجع البحث.

٦-تمهيد.

٧- الفصل الأول(الصراعاتالصليبية الداخلية من بدايات الحملة الصليبية الثالثةوحتى سقوط عكّا بأيدي الصليبيين)

- الدعوة للحملة الصليبية الثالثة
- الصراع بين ملك القدس العتيق غي لويزنيان وكونرادمونتفيرات سيد صور .
- الصراع بين ملك القدس غي لويزنيان وكونراد مونتفيرات قبل حصار عكّا
- الصراع بين المركيز كونراد مونتفيرات والبيازنة .
- غي لويزنيان في منطقة عكّا .
- الصراع على وراثة العرش .
- الصراعات الداخلية في الحملة قبل الوصول إلى عكّا .
- الصراع الأنكلو – فرنسي في صقليّة .
- الصراع بين البيازنة والجنوية من جهة وبين رتشارد قلب الأسد من جهة ثانية .
- الصراع بين رتشارد قلب الأسد وبين امبراطور قبرص .

- وصول فردريك دي سوابيا والاضطرابات الداخلية .
- الصراع بين السيرجانتية والفرسان الذين يحاصرون عكّا .
- الصاع الأنكلو – فرنسي أثناء حصار عكّا .

٨ – الفصل الثاني .(الصراعات الصليبية الداخلية بعد سقوط عكّا بيد الصليبيين) .

* الصراع الأنكلو – فرنسي بعد سقوط عكّا .
* الصراع الأنكلو – فرنسي بعد عودة فيليب أُغسطس إلى بلاده .
* الصراع بين المركيز كونراد مونتفيرات ، ورتشارد قلب الأسد *

الصراع بين الملك رتشارد قلب الأسد ، ودوق برغنديا .

* الصراع بين البيازنة ، والجنوية .
* مقتل المركيز كونرادمونتفيرات ، وتجدد الصراع عاى العرش
* حكومة هنري دي شامبين .
* الصراع بين هنري دي شامبين ، وغي لويزنيان وأخوه أمالريك على ولاية العرش .
* هنري دي شامبين ، وتدخله في صراعات شمال سورية .
* الصراع بين هنري دي شامبين ، والبيازنة ، وبين هنري ورهبان الضريح المقدس

.

* مصرع هنري دي شامبين ، وتجدد الصراع على ولاية العرش .

٩- الفصل الثالث - الصراعات الصليبية في أثناء الحملةالصليبيةالخامسة

- الدعوة إلى الحملة الصليبية الخامسة.
- الصراع بين ملك القدس يوحنا بريين وقادة الحملة الهنغارية.
- مصر والحملة الخامسة والصراعات الصليبية هناك.
- وصول الكاردينال بيلاجيوس والصراع على قيادة الحملة.
- الصراع حول طروحات الكامل محمد.

- الصراعات الصليبية بعد الاستيلاء على دمياط:
  ١. الصراع على تبعية المدينة.
  ٢. الصراع على توزيع الغنائم.
  ٣. الصراع حول خطة العمل العسكري الجديدة.
- عودة الملك يوحنا دي بريين إلى عكّا.
- الزحف باتجاه القاهرة والصراعات الداخلية.
- الملك يوحنا دي بربين في دمياط وتجدد الصراع مع المندوب البابوي بيلاجيوس.

١٠-خاتمة.

١١-الملاحق.

١٢--الخرائط.

١٣-قائمة المصادر والمراجع

١٤- ملخص الرسالة باللغة الانكليزية .

-مقدمة:

تمثل الحروب الصليبية حلقة من حلقات الصراع الإنساني الطويل بين الجشع والطمع والاحتلال من جهة ، وبين مقاومة الاحتلال من أجل الحرية ، والحياة الأفضل من جهة ثانية. ونظراً لما تركته هذه الحروب من آثار مختلفة في تاريخنا وفي تاريخ كثير من الأمم الأخرى التي كانت طرفاً فيها ، وما ترتب عليها من نتائج سلبية وإيجابية كان الاهتمام كبيراً في البحث والتنقيب في أحداث هذه الحروب وقضاياها ومعاركها وأسبابها ونتائجها .وعلى الرغم من كثرة ما كتب عنها من بحوث ، ومؤلفات إلا أن المجال يبقى مفتوحاًأمام تغطية الكثيرمن خفايا هذه الحروب ومراحلها وأسبابها ونتائجها .

لكن السؤال المهم طالما أن الحروب الصليبية أشبعت بحثاً وتنقيباً وتأليفاً لماذا من جديد البحث فيها ؟ أمّاالسؤال المقابل هل نستطيع أن نتجاوز تلك المرحلة من التاريخ ونحن نعلم أنها تُستحضر في حياتنا السياسية ، والاقتصادية ، والحضارية بشكل شبه يومي.

فلبوس الدين جاهز أياً كان هذا الدين ، ففي الوقت الذي أراد الله أن يكون الدين علاقة راقية نقية صافية بينه وبين الإنسان ، أراده البشر(أي أرادالبشر من الدين) أن يكون سياسة وشتان ما بين العلاقتين.

فالكثير من الكتابات ، ولاسيّما التي جاءت من الغرب ، أو على يد مستشرقين قررت أن هذه الحروب جاءت باسم الصليب لتحرير الأرض المقدسة ، وحتى لا تبقَ مغارة الرب مأوى للمارقين ، وقطاع الطرق ، وحتى لا تبقَ كنيسة القيامة أسيرة بيد الحفاة العراة يسومونها سوء المذلة والمهانة .

نعم باسم الصليب جُيشت الجيوش ، وعُقدت المجامع الدينية ، والمؤتمرات ، وكُتبت العهود وكِيلت الوعود لكل من يشارك في هذه الحروب المقدسة .

إذا كانت هذه هي الغاية ، وهذا هو الهدف فكيف لنا أن نُفسّر ما جرى في الإمبراطورية البيزنطية من قتلٍ ، وتدميرٍ، ونهبٍ ، وسلب ، ومن ثم إغلاق أبوابها في وجه الجيوش الصليبية.

ما حقيقة المعارك الطاحنة بين القادة الصليبين أنفسهم ؟ ومحاولة كل منهم حيازة . أملاك الآخر، وهل تقسيم الغنائم سبب كافٍ لحروبٍ داخليةٍ أزهقت الكثير من الأرواح . والطاقات . التي كانت يجب أن تزجَ في مكان آخر؟

كيف لنا أن نرى القتل في مسّينا واحتلال قبرص وهي البلد الصليبي يندرج في إطار . تحرير الأرض المقدسة ومساعدة المسيحيين ؟

ثم ما سر توجه الحملة الصليبية الرابعة إلى القسطنطينية واحتلالها وبناء الإمبراطورية . اللاتينية فيها على أنقاض بلد صليبي ؟

كيف لنا أن نفسر هذه التساؤلات الكبيرة ؟

هل أفصح الهدفُ الحقيقيُ لهذه الحروب عن نفسهِ عبر هذه الصراعات الداخلية والتي . لا علاقة لها بما حُدِّدَ مسبقاً من أهداف ؟

إن تفسير المُشكل من هذه التساؤلات يقتضي البحث الجاد عبر منهجية تاريخية علمية تستقرئُ الأحداث وصولاً إلى النتائج المتوخاة من جراء تحليل الوقائع ، ومقارنتها مع ما كتب وما جاء في المصادر التاريخية المختلفة وصولاً إلى الحقيقة التي يبحث عنها الجميع.

قالوا: الحرب هي الوجه الآخر للسياسة أو هي سياسة لكن بطريقة أخرى (عنيفه) ، أو . هي طريقة أخرى لتحقيق هدف السياسة .

والحروب الصليبية ليست خارج هذه القاعدة ، وإذا ما أدركنا أن السياسة تحركها قضايا عديدة تتبادل الأدوار حسب الزمان والمكان فمرة يكون المحرك اجتماعياً ، ومرة إقتصادياً وفي مرات أخرى يمكن أن يكون دينياً ، أو حضارياً ، أو سياسيا ً، وقد تركب الموجة الاستعمارية كل هذه

المحركات ، أو بعضها وصولاً إلى الهدف المرسوم كما في حالتنا هذه (الحروب الصليبية) وهذا يفسر لنا الكثير من الغموض الذي يشوب بعض المواقف على مبدأ إذا عُرف السبب بطل العجب.

حيث لم تستطع إيدولوجيا هذه الحروب أن تصمد طويلاً أمام التحليل ، والنقد العلمي والموضوعي عندما وضعت على المحك ابتداء من اللحظات الأولى لمسير هذه الحملات وصولاً إلى ما جرى هنا على هذه الأرض حيث تكشفت حقائق الأهداف ، وإفلاس الإيدولوجيا المزيفة عندما بدأت الدسائس ، والصراعات ، والمؤامرات التي امتدت خيوطها لتصل إلى كل لحظة من لحظات وجود القوات الصليبية على الأرض العربية ، وهذا ما يعمل البحث على تلمُّس أسبابه ، ووقائعه ضمن إطاره التاريخي الموضوعي لما لذلك من أهمية خاصة ، واستثنائية لأن الكثير من الدراسات أهملت أسبابها ، وكوامنها ، وغاياتها ربما عن غير قصد . مما سمح بأن تُظّهر الحروب الصليبية بأنها حروب مقدسة ذات غايات نبيلة ، وأهداف لا يرقى إلى سموها الشك إضافة إلى:

الأسباب، والأهداف المتوخاة، وأهمها :

١. إن الصراعات الصليبية الداخلية موضوع جديد في بابه ، وهو موضوع جدير بالبحث كونه يشكل نافذة جديدة للوقوف من زاويةٍ جديدةٍ على الصراعات الصليبية التي دارت في منطقتنا العربية ، وما آلت إليه ، وما هي منعكسات هذه الصراعات على بنية المجتمع الصليبي ، ومملكة القدس ، وتأثيراتها على الواقع الصليبي في المنطقة.
٢. إن هذه الحروب جزء من تاريخنا ، وحريٌ بنا أن نعرفَ هذا التاريخ ، فالخطط وضعت للاستيلاء على منطقتنا ، والمعارك دارت على أرضنا ، ونتائجها انعكست بشكل أو بآخر على واقع المنطقة (عسكرياً . اقتصادياً . اجتماعياً) مثلما انعكست كما أسلفنا على الواقع الصليبي ومن هنا تأتي أهمية البحث فيه.

٣. لهذه الصراعات تأثير كبير على التحالفات الصليبية . الصليبية ، والصليبية . الإسلامية ، والإسلامية . الإسلامية ، وهذا بدوره يشكل حافزاً جديداً للبحث لأنّ تبدّل التحالفات ينعكس بشكل ، أو بآخر على نتيجة المعارك ، وبالتالي على الواقع كله .

٤. هل نستطيع أن نجد علاقة موضوعية بين الأهداف المعلنة للحروب الصليبية وبين الصراعات الصليبية الداخلية ، وما جرى حقيقة على أرض الواقع ؟

٥. و أخيراً هل نستطيع أن نجد جواباً لهذا السؤال المهم ، وهو لماذا زجّت البابوية بنفسها في هذه الحروب ؟ و ما هو هدفها الحقيقي من وراء ذلك ، ولاسيّما أنّ الأسباب الدينية التي تحدثوا عنها لم تصمد طويلاً كما أسلفنا أمام النقد العلمي الموضوعي .

هذه الأسباب، وأخرى كثيرة لم نستطع أن نتلمس خيوطها جديرة بالبحث عن . أجوبة علمية موضوعية لها ، وهذا يحتاج إلى العودة من جديد إلى التاريخ للتنقيب . فيه ، وقراءته ، وفهمه، وأخذ العبر ، والدروس لتكون دليلاً ، وهاديا لكل من يبحث . عن الحقيقة التاريخية . ولنا نحن ابناء هذه الأمة التي تتعرض لتحديات شتى تهددنا . حاضراً ، ووجوداً ، ومستقبلاً لنسلح أنفسنا بالعلم ، والمعرفة لمواجهة هذه التحديات ، . ورسم صورة مشرقة لهذه الأمة ومستقبلها.

أما عن الصعوبات التي اعترضت سبيل البحث في إعداد هذه الرسالة فهي كثيرة منها :

. الصعوبات المتعلقة بالمادة العلمية لهذا الموضوع الذي تناول الصراعات الصليبية الداخلية في الحملتين الصليبيتين الثالثة والخامسة ، فالمصادر العربية وعلى الرغم من أهمية ما جاء فيها عن هذا الموضوع ضنّت بالكثير من التفاصيل الضرورية لإغناء البحث إضافة إلى ذلك أن المصادر اللاتينية كانت تذكر هذه الصراعات لكن بصورة مقتضبة ، وتقلل من أهميتها ، وتأثيراتها إلا في حالات نادرة ، وهنا كان لابد من المقارنة ، والتحليل ، والاستقراء والإستنتاج وصولاً الى الحقيقة التاريخية . وهنا أود أن أجدد الشكر للأستاذ الدكتور زكّار على جهوده

الجبارة في ترجمة معظم المصادرة اللاتينية في إطار الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية الأمر الذي بدد الكثير من المصاعب في البحث ، وجمع المادة العلمية.

. وهناك مصاعب أخرى تتعلق بطبيعة عملي تجاوزْتُها بالصبر والعمل الجاد على كل الجبهات ، وتغلبت عليها بعون من الله سبحانه وتعالى فله الحمد والمنة أبداً.

بدأت خطة العمل في هذا البحث بعد المقدمة بدراسة تعريفية لأهم مصادر البحث والمراجع المعتمدة ، تلا ذلك تمهيد عن الأوضاع العامة للشرق العربي والإسلامي ، والقوى المؤثرة فيه أو التي تسيطر عليه في أواخر القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي ، أي الأوضاع العامة عند قدوم الحملات الصليبية . ثم الآراء العامة لأسباب هذه الحملات ، وبعض المعلومات البسيطة عن الحملتين الأولى والثانية ، والصراعات الصليبية الداخلية خلالها فجاء التمهيد توطئة لصلب الرسالة التي قُسمت إلى فصول ثلاثة وقُسّم كل فصل إلى مباحث صغيرة عدة ، تحسيناً في البناء المنهجي ، والتبويب ، والترتيب على الشكل التالي :

الفصل الأول ـ الصراعات الصليبية الداخلية من بدايات الحملة الصليبية الثالثة حتى سقوط عكّا بيد الصليبيين .

وجاء فيه تحديدٌ جغرافيٌّ لحدود هذه المملكة وما يميز البنية السكانية فيها التي مهدت بشكل أو بآخر لانهيارها من خلال الصراعات الداخلية التي اشترك فيها رجال الدين والدنيا.

على أن الجزء الأكبر من هذا الفصل خصص للصراعات الداخلية ، وبدأناها من الدعوة للحملة الصليبية الثالثة ، وما رافق تلك الدعوة من خلافات ، وصراعات ، واستجابات ، ورفض وصولاً إلى الإعداد ، وسير الحملة في الوقت الذي كان فيه الصراع محتدماًعلى ولاية العرش بين ملك

القدس الذي كان أسيراًَ عند صلاح الدين الأيوبي ، وأعتق وبين كونراد مونتفيرات الذي أصبح سيداً لصور.

وأفرد مبحثاً آخر في هذا الفصل تحدث عن صراع كونراد مونتفيرات الذي أعماه وهج السلطة، والسيطرة مع البيازنة الذين شاهدوا ملك القدس مخيماً على أبواب صور، ولا يسمح له بالدخول.

والمبحث الخامس خصص للبحث في قرار غي لويزنيان بمحاصرة عكّا، وكان قراراً متفرداً، وفريداً تم الوقوف عنده ملياً بالنقد والتحليل . أما السادس فللصراع على وراثة العرش الذي كانت نتيجته خسارةً كبيرة لطاقاتٍ قياديّة مهمة كانت يجب أن تُوظف لا أن تُهدر ، أو تُقتل . أما المباحث السابع ، والثامن ، والتاسع ، والعاشر فقد ناقشت الصراعات الداخلية قبل وصول الحملة إلى عكّا وخاصّة الصراعات الأنكلو – فرنسية في صقليّة ، وفي قبرص ، وصراع رتشارد قلب الأسد مع البيازنة ، والجنوية . بعد ذلك نوقش في المبحث الحادي عشر وصول الحملة الألمانية (فردريك السوابي) إلى عكّا والاضطرابات التي رافقت هذا الوصول وأسبابها . أما البحث قبل الأخير فقد ناقش الصراع بين السيرجانتية ، والفرسان الذين يحاصرون عكّا ، وأسباب ذلك . والمبحث الأخير ناقش الصراعات الصليبية الداخلية أثناء حصار عكّا ، وتبين من خلال هذا الفصل أن الصراعات الداخلية كانت العامل الأساس في إضعاف الحملة الثالثة ، وعدم قدرتها على الاستجابة للمستجدات التي أوجدها صلاح الدين بعد انتصارات حطين . وبالتالي أوجدت العوامل الذاتية التي أسهمت بشكل كبير في إخفاق هذه الحملة .

الفصل الثاني.

الصراعات الصليبية الداخلية بعد سقوط عكّا بيد الصليبيين .

في هذا الفصل أيضاً تتابع الصراع الأنكلو – فرنسي بعد سقوط عكا ، وتمحور في عدة إتجاهات الإتجاه الأول : بين الفرسان الذين استولوا على بيوت الناس ، وممتلكاتهم من جهة ، وأصحاب هذه الممتلكات ، والبيوت من جهةٍ ثانية ، ولم تهدأ الأحوال إلا عندما تدخل الملك

الفرنسي الذي هدد باستعمال السلاح إذا لم يلتزم الفرسان ، ويعيدوا الأملاك الى أصحابها . الإتجاه الثاني : الصراع بين دوق النمسا ، وبين رتشارد قلب الأسدعندما رفع الأول رايته فوق أسوار عكّا ، ورماها جنود رتشارد تحت الأسوار مما أدّى الى أن ينسحب الدوق من الحملة ، ويعود الى بلاده حانقاً. الإتجاه الثالث : هو تآمر رتشارد قلب الأسد على الملك الفرنسي مما أدّى الى أن يتخذ فليب أُغسطس قراراً بالعودة الى بلاده . وقد عولجت هذه الإ تجاهات في المبحثين الأول ، والثاني .

أما المبحث الثالث فقد عالج موضوع الصراعات الصليبية الداخلية بين المركيز كونراد مونتفيرات ، ورتشارد قلب الأسد الذي وقف الى جانب الملك غي لويزنيان في صراعه مع المركيز على ولاية العرش . أما المبحث الرابع فتم الحديث خلاله عن الصراعات الصليبية الداخلية بعد رحيل الملك الفرنسي فيليب أُغسطس حيث تجدد الصراع بين ريتشارد قلب الأسد وبين دوق برغنديا الذي خلف فيليب أُغسطس على الجيوش الفرنسية بعد رحيله إلى بلاده .

ثم أفردت مساحة اخرى لتغطية الصراع بين البيازنة ، والجنوية حيث وقفت كل طائفة من هؤلاء إلى جانب طرف من أطراف الصراع الأنكلو . فرنسي، وكان صراعاً دموياً رهيباً لم ينته هذا الصراع إلا بوصول ريتشارد قلب الأسد عندما استنجد به البيازنة.

فعندما وصل ريتشارد بدأ يهدأ الخواطرلأنه كان يطمح أن يضم إليه الجميع . كما تم التركيز على مقتل المركيز كونراد مونتفيرات حيث تعددت وجهات النظر حول مقتله ، وأتهم ريتشارد به .

وهنا تجددت الصراعات الداخلية ، وخاصة على ولاية العرش ، وحسم هذا الصراع بزواج هنري دي شامبين من إيزابيلا ، وإقامة حكومة هنري دي شامبين . ولكنه لم ينته بل تجلى بصورة أخرى هو الصراع بين هنري ، والملك العتيق غي لويزنيان الذي إنتعشت آماله من جديد في استعادة مُلكه المفقود . ولم تحل هذه المسألة أيضاَ إلا بوفاة الملك غي .لكن لم ينته الصراع على ولاية العرش بل تجدد بين هنري وبين أمالريك الطامح الجديد بالسُلطة .ولم تحل هذه

المسألة أيضاً إلا بتسويات هشّة لكنها أخمدت نيران هذه الصراعات الى حين .وهيأت الظروف المناسبة لأن يقوم هنري دي شامبين للإشتراك في الصراعات الدائرة في شمال سوريّة وهذا ما عالجه المبحث التاسع . أما المبحث العاشرفقد عالج الصراع الذي نشب بين البيازنة ، وبين هنري الذي لاحظ أنّ تآمراً ضدّه تُحاك خيوطه في الخفاء ، وأنّ البيازنة طرفاً فيه لذلك بطش بهم ، وفي هذه الظروف حاول هنري أن يفرض سلطانه على الجميع فنشأ صراع جديد بينه وبين رهبان الضريح المقدس ، ووصلت تفاعلات هذا الصراع الى كرسي البابوية التي جهدت في إخماد نيرانه . وأنهي هذا الفصل بالتحدث عن مقتل هنري دي شامبين ، وتجدد الصراع على ولاية العرش .

الفصل الثالث :

أما الفصل الثالث فقد أفرد بالكامل للبحث في الصراعات الصليبية الداخلية خلال الحملة الصليبية الخامسة ، فقد تم بعد التحدث عن الدعوة لهذه الحملة عن الصراع بين يوحنا دي بريين ، وقادة الحملة الهنغارية ، حيث أدت هذه الصراعات بشكل ، أو بآخر إلى الإخفاق الذريع في كل المعارك التي خاضتها ، وخاصة محاولة استعادة قلعة الطور الأمر الذي استدعى من الملك يوحنا دي بريين إتباع سياسة جديدة لإبعاد هذه الحملة عن أراضي المملكة باتجاه مصر.

وفي مصر بدأ صراع جديد أيضاً على قيادة الحملة ، وهذه المرة بين النائب البابوي الكاردينال بيلاجيوس ، ويوحنا دي بريين على قيادة الحملة ، وتشعب هذا الصراع إلى كل شيء وصولاً إلى أنه بمجرد أن يأخذ أحد الطرفين قراراً ، يكون موقف الطرف الثاني الرفض المطلق (أو معاكساً) ، وفي هذا الإطار كانت الصراعات بينهما حول عروض الكامل محمد ، ويلاحظ هنا

موقف النائب البابوي بيلاجيوس الذي رفض بشكل قاطع استعادة ما حرَّره صلاح الدين مقابل الجلاء عن دمياط .

بعد ذلك نوقشت الصراعات بعيد الإنتصارات التي حققتها القوات الصليبية بالاستيلاء على دمياط الأمر الذي أجّج عوامل الصراع من جديد ، وأظهر كوامن النفوس ، وحقائق الأهداف المرسومة عندما أخذ منحى جديداً تمحور حول تبعية دمياط . حيث دعا المبعوث البابوي إلى أن تكون تابعة بشكل مباشر إلى البابوية بينما دعا الملك يوحنا إلى أن تكون تابعة للمملكة ولم يتوقف الصراع عند هذا الحد . بل تعداه إلى كل شيء فشمل توزيع الغنائم ، وخطة العمل العسكري الجديدة مما أدى إلى أن يتخذ الملك يوحنا بريين قراراً بترك ساحة المعركة، والعودة إلى عكّا متذرعاً بأسباب شتى . الأمر الذي سهل للمبعوث البابوي تنفيذ وجهة نظره، وبالتالي تجددت الصراعات بين المبعوث البابوي ، ومناصري الملك يوحنا ، وأُنهي الفصل بعودة الملك من عكّا ، وتجدد الصراع بينه، وبين بيلا جيوس

هذا وقد أنهيت الرسالة بخاتمة أشير فيها إلى أهم النتائج التي خلص إليها البحث والأهداف والدلالات المتوخاة منه ، ثم تلا الخاتمة ملاحق ، وخرائط تخدم موضوع البحث ، بعده دوّنتُ قائمة المصادر، والمراجع التي تمت العودة إليها في كتابة الرسالة على أمل أن يقدم هذا العمل المتواضع فائدة علمية للدراسين في تاريخ العرب والإسلام.

وختاماً كل الشكر والامتنان إلى من مد يد العون لإنجاز هذا العمل ولاسيّما الرجل الفاضل شيخ المؤرّخين الأستاذ الدكتور سهيل زكّار الذي كان سخيّاً في رفد هذا البحث بما احتاجه من مصادر ، وكل الحب والتقدير إلى كل الزملاء والأصدقاء الذين وقفوا ، وساعدوا ، وأعانوا .

وها هي ذي الرسالة بين أيديكم أعضاء اللجنة الموقرين لإبداء ملاحظاتكم المهمة تقويماً وتصحيحاً وتصويباً لها ، مع فائق الشكر ، والتقدير ، والاحترام .

والله ولي التوفيق.

دراسة لأهم مصادر البحث:

تنوعت المصادر المعتمدة في هذه الرسالة من تاريخية ، وجغرافية ، ودينية لكن الحرص كان شديداً على تتبّع المعلومات بخصوص الصراعات الصليبية الداخلية من المصادر التي عاصرت الحملتين الثالثة والخامسة ، وعلى الأخص التي كان أصحابها شهود عيان ، وعلى الرغم من أن المؤرخين العرب الذين عاصروا تلك الحملات قد أوردوا الكثير من المعلومات والتفاصيل الهامة عن هذا الموضوع في مملكة القدس الصليبية ، إلا أنها لا تستطيع سد الكثير من الثغرات ، أو الإجابة عن أسئلة مهمة تتعلق بربح أو خسارة معارك هامة ، أو خسارة أرض ، أو ربح أرض جديدة ، وانعكّاس كل ذلك على الدولة ، والشعب ، والاقتصاد والحياة الاجتماعية ، وبالتالي الإجابة عن السؤال الكبير : هل كان لهذه الصراعات دور ما في انهيار الدول الصليبية في الشرق ، وتقليل زمن بقائها في هذه المنطقة ؟ لذلك تم الاعتماد بالإضافة إلى المصادر العربية بشكل واضح على المصادر الأجنبية التي عاصرت هاتين الحملتين ، وهي كثيرة ، ومتنوعة كان

معظمها معاصراً للأحداث ، ولكن الملاحظ هنا غلَبةُ الاتجاه الديني المتعصب عند أصحاب هذه المصادر ، وعلى الرغم من ذلك فإنها حوت بين طياتها الكثير من المعلومات المهمة التي أغنت البحث بالكثير من التفاصيل ، والأفكار التي سيشار اليها خلال البحث.

لذلك ستقصر الدراسة التعريفية على أهم المصادر المعاصرة ثمّ اللاحقة لزمن البحث مقسمة إلى قسمين : عربية، وأجنبية، ومرتبة ترتيباً أبجدياً على الشكل التالي:

أولاً- المصادر العربية:

وقسمت أيضاً إلى قسمين:

- المصادر العربية المعاصرة لزمن البحث.
- المصادر العربية اللاحقة لزمن البحث.

أولاً. المصادر العربية المعاصرة لزمن البحث:

. ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن بن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني . ت٦٣٠هـ/١٢٢٣م)[١]

ولد سنة ٥٥٥ هـ/١١٦٠ م في جزيرة ابن عمر، وكانت من أعمال الموصل ، وفيها عاش إلى أن انتقل مع والده ، وأسرته إلى الموصل سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م، وكان والده من أعيان العاملين في الدولة الأتابكية بالموصل ، درس عز الدين أبو الحسن في أمهات المدن العربية كبغداد ، وبيت المقدس ، وحلب ، ودمشق ، واستقر به المقام في الموصل ، وحصل على معارف واسعة خاصة في ميدان التاريخ ، وصنف أربعة كتب نشر بعضها أكثر من مرة وهي:

*. اللباب في تهذيب الأنساب ، وأسد الغابة في معرفة الصحابة ، والكامل في التاريخ، والتاريخ الباهر في الدولة الأتابكية في الموصل[٢]

---

١ . أبو شامة (شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل بن إبراهيم بن عثمان المقدسي الدمشقي، ت ٦٦٥هـ /١٢٦٧) : الذيل على الروضتين ، وضع حواشيه وعلق عليه إبراهيم شمس الدين ، بيروت ، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٢هـ /٢٠٠٢م، ج ٥، صـ ٢٤٦.

أفيد من كتابه الكامل في التاريخ فهو من أهم مصادر تاريخ العرب ، والإسلام . ففي المجلد العاشر الذي عالج الأحداث التاريخية من سنة ٥٦٢ هـ/١١٧٠ . ٦٢٨هـ/١٢٣١م حيث ورد فيه الكثير من التفاصيل عن وصول المركيز إلى صور وخروج الملك غي لويزنيان من الأسر، والصراع بينه ، وبين المركيز الذي أصبح سيداً لصور.

وأغني الفصل الثاني بمعلومات مهمة حول حصار عكّا ، والصراعات الصليبية أثناء الحصار، وخاصة الصراع الأنكلو . فرنسي بين فيليب أوغسطس ، وريتشارد قلب الأسد.

وفي الفصل الثالث قدم لنا ابن الأثير معلومات جيدة حول الحملة الخامسة ، وخاصة عن بدايات الحملة ، أو ما سمي بالحملة الهنغارية ، وأثناء حصار دمياط وسقوطها

صحيح أنها قليلة حيث لم يذكر ابن الأثير عروض الكامل محمد مع الصليبيين لكن هذه المعلومات مفيدة ، ولا يمكن الاستغناء عنها.

٢. ابن أبي الدم (شهاب الدين أبو إسحق بن عبد الله بن عبد المؤمن بن شهاب الدين أبي الدم. ت ٦٤٢هـ/١٢٤٥م)[٣].

ولد ابن أبي الدم في مدينة حماة سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م أي في سنة تحرير القدس على يد صلاح الدين الأيوبي . كان واسع الثقافة ، تسلم القضاء في حماة ، وتكلف بأكثر من مهمة رسمية مما مكنه من زيارة حلب ، ودمشق والقاهرة ، عاصر أربعة من ملوك حماة الأيوبيين هم: تقي الدين

---

٢ . ابن العماد (أبو الفلاح عبد الحي بن عيسى بن محمد، ت ٤٨٢ هـ/١.٨٩م) : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ٨أجزاء ، بيروت، دار الفكر، د.ط، د.ت، ح٥ ، ص ١٤٦.

٣ . حاجي خليفة (مصطفى) : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الفكر، بيروت، د.ط، ١٤.٢هـ/١٩٨٢م،ج١،ص٢٠٥. .

– أبو الفداء (الملك المؤيد اسماعيل) : المختصر في أخبار البشر، علّق عليه ووضع حواشيه محمود ديولا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، ١٤٧٧هـ /١٩٧٧ ، ج٢، ص ٢٧٨ . -- –

– الزركلي (خير الدين) : الاعلام قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٤ ،١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ج١ ، ص٤٢ .

عمر ، ثم ابنه المنصور ثم ولده الملك الناصر قلج أرسلان سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م . ٦٢٦هـ/١٢٢٩م ، وأخيراً الملك المظفر الثاني محمود ٦٢٦ هـ/١٢٢٩/ . ٦٤١هـ/١٤٢٢م .

وكانت علاقة ابن أبي الدم جيدة مع الملك المظفر الثاني محمود ، وهذا واضح من خلال تسمية كتابه في التاريخ بالتاريخ المظفري ، ثم صنف كتاباً آخر في التاريخ سماه التاريخ الكبير، أو المقفى ، عايش ابن أبي الدم الحملة الصليبية الخامسة ، وأمدنا بمعلومات مهمة عن هذه الحملة كما أورد معلومات مهمة عن كونراد مونتفيرات ووصوله إلى مدينة صور وتنظيم الدفاع عنها ومعلومات أخرى عن موته .

٣. الأصفهاني (محمد بن محمد بن حامد بن محمد بن عبد الله بن علي بن محمد بن هبة الله بن ألّه بتشديد اللام ، وهو اسم فارسي ، ومعناه العقاب ، وكنيته أبو عبد الله بن أبي الفرج الأصفهاني. ت ٥٩٧هـ/١٢٠١م)[٤]، ولد في أصفهان سنة ٥١٩هـ/١١٥٢م و مات بدمشق ، وبهذا العمر المديد كان شاهد عيان على الكثير من الأحداث التي جرت أيام الحروب الصليبية(الحملة الصليبية الثالثة) وما بعدها بقليل.

انحدر الأصفهاني من أسرة رفيعة المكانة . عمل بعضهم بالإدارة ، واشتهر بسعة الثقافة ، وأتقن العربية ، والفارسية.

نشأ في أصفهان ، وتلقى علومه الأولى فيها ، وفي سنة ٥٤٩هـ/١١٥٤م انتقل إلى بغداد، وتقلب في عدة مناصب عانى خلالها الكثير من التقلبات التي انعكست عليه سلباً ، تعرض للسجن والعزل والإقصاء ، بعدها سافر إلى دمشق سنة ٥٦٢ هـ/١١٦٧م حيث كان على معرفة ببعض

---

[٤] . سبط ابن الجوزي(شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزاوغلي التركي ، ت ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م) : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، الهند، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن ، ط١، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م ، ج١، ص ٥.٤-٥.٨ .

. الذيل على الروضتين : مصدر سالف ، ج٥ ، ص ٤٢ .

. زكّار (سهيل) : الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية ، ٥٠ جزء ، دار الفكر ، دمشق ، ط١ ، ١٤١٩هـ/١٩٩٥ . ١٤٢٢هـ /٢٠٠١م ، ج ١٣، ص ٣ والتي تليها .

الشخصيات الأيوبية مما هيأ له السبل حيث تسلم ديوان الإنشاء في دمشق سنة ٥٦٣هـ/١١٦٨م ، وبقي يعمل فيه حتى وفاة نور الدين حيث انتقل بعدها إلى خدمة صلاح الدين الأيوبي ، وظل قريباً منه حتى وفاته .

كان الأصفهاني خصب الإنتاج في ميداني الأدب ، والتاريخ حيث صنف في حقل التاريخ عدة كتب هي: . نصرة الفترة وعصرة الفطرة ، وكتاب الفتح القسي في الفتح القدسي، وكتاب البرق الشامي .

أفيد من كتابه الثاني الفتح القِسّي في الفتح القدسي حيث جاء فيه الكثير من التفاصيل المهمة عن الخلافات الصليبية وخاصة بين غي لويزنيان ، وبين ريموند صاحب طرابلس ، كما أغني الموضوع بالكثير من المعلومات عن الصراعات الأنكلو . فرنسية بالإضافة إلى بعض التفاصيل عن الحملة الألمانية ووصول فردريك السوابي إلى عكّا ، وتأثير ذلك سلباً على صاحب صور ، والملك العتيق غي لويزنيان ، وكذلك معلومات مهمة عن الصراع على وراثة العرش وزواج المركيز سيد صور من إيزابيلا التي أصبحت وريثة العرش بعدوفاة أختها سيبيلا وبناتها .

. سبط ابن الجوزي (شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزاوغلي ت ٦٥٤هـ ١٢٥٦م) [٥]:

تركي الأصل ، ولد في بغداد سنة ٥٨٢هـ/١١٨٦م ، ودرس فيها وفي الموصل ، وفي دمشق ، حيث استقر بها بعد الستمئة للهجرة بقليل ، وعاش فيها قرابة نصف قرن من الدهر، واتصل بحكامها الأيوبين ، وقد توفي سنة ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م . ويعد من مشاهير المؤرخين العرب والمسلمين ، وصار لمجالسه شُهرة واسعة ، إذ كان يحضرها العوام والخواص ، ومن أشهر كتبه

---

[٥] . الذيل على الروضتين : ج٥ ، ص ٢٩٩ .

. شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، مصدر سالف ، م٢ ، ج ٥، ص ٢٩٦ – المنجد (صلاح الدين) : معجم المؤرخين الدمشقيين وآثارهم المخطوطة والمطبوعة ، دار الكتب الجديدة ، بيروت ط١ ١٣٩٨هـ/١٩٧٨، ص٩ والتي تليها . العزاوي (عباس) : التعريف بالمؤرخين في عهد المغول والتركمان ، شركة التجارة والطباعة ، بغداد، د.ط ، ١٣٧٩هـ /١٩٧٥م ، ص ٦٩– ٧١ .

كتاب مرآة الزمان في تاريخ الأعيان الذي بدأه من أول الزمان حتى سنة وفاته، ويُعد هذا الكتاب من المصادر الأساسية في البحث.

كان صديقاً للملك المعظم صاحب دمشق وقد حضر إلى دمياط وشاهد جانباً من أحداث الحملة الصليبية الخامسة كما كلف بإعداد بعض الإمدادات في الشام وأرسلها إلى مصر . لم يرد في كتاب مرآة الزمان في تاريخ الأعيان معلومات ذات قيمة عن الصراعات الصليبية الداخلية لكن ورد فيه معلومات قيمة عن الحملة الخامسة وتفاصيل أخرى مهمة تمت الإفادة منها في الفصل الثالث.

٥. أبو شامة (هو عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم بن عثمان بن أبي بكر بن إبراهيم محمد المقدسي الشافعي توفي سنة ٦٦٥هـ/١٢٦٧م) [٦]:

إذاً هو مقدسي الأصل دمشقي المولد سنة ٥٥٩هـ /١٢٠٣م ، وكان يلقب بشهاب الدين ويكنى بأبي القاسم وعرف بأبي شامة لوجودشامة كبيرة فوق حاجبه الأيسر. درس أبو شامة الفقه وبرع في العربية وكتب في علوم كثيرة .

ومن أهم ما كتبه في التاريخ هو كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية وهو من أهم المصادر التي كتبت أو عالجت الأحداث أيام الدولتين النورية والصلاحية، وينتهي هذا الكتاب عند حوادث سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م ، وأكمله بكتاب تراجم رجال القرنيين السادس والسابع المعروف بالذيل عن الروضتين وقد عالج حوادث ، ووضع تراجم من سنة ٥٩٠هـ/١١٩٤م حتى سنة وفاته ٦٦٥هـ /١٢٦٧م .

---

[٦] . أبو شامة (شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعبل، ت ٦٦٥هـ) : الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ،٤ أجزاء، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ج١،ص ٧- ١٥.

- وقد أفيد من هذا الكتاب بشكل ملحوظ حيث ورد فيه الكثير من المعلومات والتفاصيل وخاصة الذيل على الروضتين حيث جاءت فيه معلومات وافية عن الحملة الصليبية الخامسة كما أفيد منه في التراجم لبعض الشخصيات .

٦. ابن شداد (بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم، شهر بابن شداد وشداد هو جده لأمه ، وقد توفي أبوه وهو طفل صغير، فتربى في كنف أخواله بني شداد ولهذا نسب إليهم . ولد بمدينة الموصل سنة ٥٣٩هـ/١١٤٥م وفيها نشأ، وتعلم ثم التحق ببغداد لإكمال تعليمه بالنظامية ، حيث أقام فيها أربع سنوات ثم رجع إلى الموصل حيث علا نجمه ، وبات واحداً من أبرز أعلامه[٧].

- تعرّف ابن شداد إلى صلاح الدين اثناء الصراع حول ميراث نور الدين ولدى محاولة صلاح الدين الاستيلاء على الموصل وعندما حرر القدس كان ابن شداد برحلة حج وأراد أن يصلي في القدس بعد تحريرها وهو في الطريق إلى القدس استدعاه صلاح الدين فذهب إليه حيث استقبله استقبالاً لائقاً وطلب منه الالتحاق به بعد الفراغ من زيارته إلى القدس ، وهذا ما حصل ورافقه من ذلك الحين حيث شاركه آلام حصار عكّا والتصدي للحملة الصليبية الثالثة ، وبقي معه حتى وفاته حيث التحق بعدها بالظاهر غازي ابن صلاح الدين وأسهم في إدارة شؤون حلب والتعليم فيها وبقي في حلب حتى وفاته سنة ٦٢٢هـ /١٢٢٥م وصنف ابن شداد عدة كتب نشر منها:
- دلائل الأحكام في الأحاديث : التي استنبطت منها الأحكام (أربعة مجلدات).
- النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية .
- فضائل الجهاد .

---

٧ . الذيل على الروضتين، مصدر سالف، ج٥، ص ٢٤٨. – –

ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم بن واصل، ت ٦٩٧هـ/١٢٩٨م) : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، ٦أجزاء ، مطبعة دار الكتب، القاهرة،د.ط، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ج٥ ، تح حسنين محمد ربيع ، ص ٨٩-٩٢ .

ومن الكتب التي اعتمد عليها في البحث كتابه النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية . حيث ورد فيه معلومات مهمة عن حصار عكّا والصراعات الصليبية في أثناء الحصار . وخاصة عن وصول فردريك السوابي وعن الصراعات الأنكلو . فرنسية وهروب . المركيز إلى صور كما تمّت الإفادة من المعلومات الواردة حول التنسيق بين العادل وريتشارد قلب الأسد وبين ريتشارد وصلاح الدين بالإضافة إلى تفاصيل هامة حول مقتل المركيز كونراد مونتفيرات.

٧. ابن العميد (أبو المكارم جرجس المعروف بابن العميد) ولد في تكريت في العراق سنة ٦٠٢هـ/١٢٠٦م، وهو من أصول سريانية ، اشتغل في ديوان الجيش في مصر، وبسبب بعض التهم من قبل حساده، ومنافسيه سجن لمدة خمسة عشر سنة ، ويعد ابن العميد من أشهر المؤرخين حينئذ[٨].

من أشهر كتبه تاريخ المسلمين ، والمهم بالنسبة لرسالتنا من هذا الكتاب هو (أخبار الأيوبيين) الذي ألفه على طريقة الحوليات ، أفيد من هذا القسم من كتابه في إغناء المعلومات ، وتدقيق بعض التواريخ المهمة في الحملة الصليبية الخامسة على مصر بالإضافة إلى شروط الهدنة، وتسليم دمياط للمسلمين مقابل خروج الصليبيين بأمان .

٨. ابن نظيف (أبو الفضائل محمد بن علي بن نظيف الحموي)

مؤرخ وله اهتمامات أدبية ، لا يُعرف تاريخ محدد لولادته ولا لوفاته ولكن حسب ما جاء في الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية . تأليف الدكتور سهيل زكار أن سنة ٦٤٤هـ/ ١٢٤٦م هي الأرجح لوفاته[٩].

عاش في النصف الأول من القرن السابع الهجري . الثالث عشر ميلادي ، شغل منصب كاتب ووزير عند الملك الحافظ ابن العادل الأول صاحب قلعة جعبر (غربي مدينة الرقة) المتوفي سنة

---

[٨] . الصفدي (صلاح الدين . ٧٦٤) : الوافي بالوفيات ، تح دوريتا كرافولسكي ، دار الأندلس ، بيروت، د.ط، ١٤٠١هـ/١٩٨١، ص ٦٦٦ والتي تليها .

[٩] . زكار (سهيل) : الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية ، ج٢١ ، ص٦ .

٦٣٩هـ/١٢٤١، ثم خدم عند الملك ابراهيم بن مجاهد المتوفي سنة ٦٣٧هـ/١٢٤٠مدة من الزمن وعاد في نهاية الأمر إلى مدينة حماة حيث توفي فيها ، ومن آثاره التاريخية الكتاب المسمى (التاريخ المنصوري) الذي أهداه إلى الملك المنصور إبراهيم ابن مجاهد المتوفي سنة ٦٤٤هـ/١٢٤٦م اعترافاً منه بإحسانه اليه ، وهذا الكتاب هو اختصار لكتابه المفقود الذي دعاه الكشف والبيان قي حوادث الزمان[١٠] ، وقد أفيد من كتابه حيث وردت فيه معلومات مهمة عن حصار عكّا ووصول قادة الحملة ، وعن الصراع الداخلي بين الصليبين في أثناء عرض ريتشارد قلب الأسد لزواج أخته من العادل ، كما وردت معلومات مهمة عن مقتل المركيز كونراد وتآمر ريتشارد قلب الأسد عليه والتخطيط لقتله.

١ـ المصادر العربية اللاحقة لزمن البحث:

١. ابن تغري بردي (أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي ت ٨٧٤هـ/١٤٧٠م) :- ولد في مصر سنة ٨١٣هـ/١٤٠١م من أ م كانت جارية تركية للسلطان المملوكي برقوق. أما والده فكان حاكما لحلب ودمشق في عصر الدولة المملوكية الثانية . نشأ ابن تغري بردي في القاهرة ، ودرس عند المقريزي ، وكبار علماء عصره ، واحتل مكانة متميزة بين المؤرخين أواسط القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر ميلادي.

ألف اثني عشر كتاباً بقي منها سبعة كتب في التاريخ أشهرها النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ودون فيه تاريخ مصر من الفتح العربي الإسلامي حتى سنة ٨٥٧هـ/١٤٥٣م[١١].

---

[١٠] - ابن نظيف (محمد) : التاريخ المنصوري ، تح أبو العيد دودو ، مطبعة الحجاز ، دمشق ، ط١ ، ١٤,١هـ/ ١٩٨١م ، ص٦-١٨ .

[١١] حاطوم (نور الدين) وطربين (أحمد) وعاقل (نبيه) ومدني (صلاح) : المدخل إلى التاريخ ، مطبعة الانشاء ، دمشق ، ط١ ،١٣٨٤هـ/١٩٦٤م ، ص٣١١ .

-عطا (زبيدة محمد) : الشرق الاسلامي والدولة البيزنطية زمن الأيوبيين ، دار الأمين ، القاهرة ، ط٢ ، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م ، ص١٨ .

وقد أفيد من هذا الكتاب والذي يبدو أنه أخذ بعض معلوماته عن شيخه المقريزي في تدقيق بعض المعلومات والتواريخ عن الحملة الصليبية الخامسة وخاصة عن حصار دمياط .

٢. ابن خلّكان (شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم البرمكي الإربلي ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م) .ولد ابن خلكان بمدينة اربل سنة ٦٠٨هـ/١٢١٢م بدأ تعليمه في إربل ثم انتقل سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٩م إلى مدينة حلب لتلقي العلم فيها خاصة على يد ابن شداد صاحب صلاح الدين والمؤرخ لحياته ثم انتقل من حلب إلى دمشق ، واستقر فيها حيث أكمل تحصيله العلمي وفيها تسلم منصب قاضي القضاة ، توفي في دمشق سنة ٦٨١هـ/١٢٨٢م

من كتبه وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، وهذا الكتاب من أهم كتب التراجم العامة وأشهرها، صنف من ترجم له حسب ترتيب حروف المعجم (ألف باء...) ودعاه بوفيات الأعيان على أساس[١٢] أن معظم الشخصيات لا تعرف بالتأكيد سنة ولادتهم بل سنوات وفاتهم لأنهم يحظون بالاهتمام بعد نيلهم الشهرة.[١٣]

وقد أُفيد من هذا الكتاب من خلال ضبط تراجم الكثير من الشخصيات التي وردت في البحث مثل العادل، والكامل، والأشرف، والأفضل علي، وغيرهم ، وهؤلاء هم ملوك أيوبيون حركوا الحوادث والأحداث إبّان الحملات الصليبية ، وقد جاء في ثنايا هذه التراجم معلومات قيمة أفيد منها كثيراً.

٣. أبو الفداء (الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل بن علي صاحب حماة المشهور بأبي الفداء. ت ٧٣٢هـ/١٣٣٢م)[١٤] .ولد أبو الفداء في مدينة دمشق سنة ٦٧٢هـ/١٢٧٤م، وتعلم فيها ، والتحق بخدمة الملك الناصر محمد ابن السلطان قلاوون المملوكي، وأخلص له فجعله أميراً على مدينة

---

[١٢] البرزالي (علم الدين) : المقتفي على الروضتين ، ج٢، ص١٢ والتي تليها .

[١٣] - السخاوي (أبو الخير محمد) : الذيل التام على دول الإسلام للذهبي ، نح حسن اسماعيل مروه ، دار ابن العماد ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٣ هـ/١٩٩٢م ، ص١٠٥ .

[١٤]- أبو الفداء(اسماعيل ت٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م) : المختصر في أخبار البشر ، ج٣ ، ص٣ .
- الذيل التام على دول الإسلام للذهبي، ص١٠٥ .

حماة، ولقبه بالملك المؤيد ثم سلطنه (جعله سلطان)، وقد خلدت حماة ذكراه فغالباً ما يطلق عليها مدينة أبي الفداء[١٥].

كان أبو الفداء عالماً بالفقه ، والطب ، والفلسفة ، والتاريخ ، والأدب . ومن مؤلفاته: . المختصر في أخبار البشر، وهو اختصار لكتاب ابن الأثير الكامل في التاريخ مع تذيل عليه وكتب عديدة ضمنها أخباراً أدبية ، وعلمية ، واجتماعية فضلاً عن مادته التاريخية الأساسية وله كتاب هام في الجغرافيا هو كتاب تقويم البلدان وقد أفيد منه في معرفة بعض مواقع المدن والبلدان . وقد ورد فيه أيضاً بعض المعلومات التاريخية التي أفادت البحث ، وأغنته .

أفيد من كتابه المختصر في أخبار البشر حيث وردت فيه معلومات مهمة عن الحملة الصليبية الخامسة ، ولاسيّما محاولات الصليبيين الاستيلاء على قلعة الطور وخلافاتهم هناك . كما أفيد منه في بعض التواريخ ولاسيّما انتقال الحملة إلى مصر .

٤. ابن فضل الله العمري (شهاب الدين أحمد بن يحيى ت ٧٤٩ هـ/١٣٤٨م) .

ولد في دمشق سنة ٧٠١هـ/١٣٠٣م لأسرة عربية عريقة تنتسب إلى أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب . عملت هذه الأسرة في ديوان الإنشاء بمصر والشام ، ومع أن العمري ولد بدمشق إلا أنه شب وتعلم في مصر، وامتهن الكتابة فعندما ولي والده كتابة السر في دمشق عمل أحمد في ديوان الإنشاء ، ولما تحول والده إلى مصر صار ابنه أحمد هو الذي يعرض رسائل البريد على الملك الناصر محمد بن قلاوون .

ونال ابن فضل الله معارفَ جمّة مما توفر في عصره ، وحقق مهارة واسعة في كتابة الإنشاء والأعمال الديوانية وأكسبه هذا معلومات موسوعية حول عصره من جميع الجوانب ولحسن الحظ أنه أودع هذه المعلومات في عدد من المصنفات أهمها موسوعته (مسالك الأبصار في ممالك الأمصار)[١٦] وجميع ما كتبه ابن فضل الله العمري مهم جداً . اهتمت مجموعته بالمقام الأول

---

[١٥] - المختصر في أخبار البشر ، ج٣ ، ص٣ .

[١٦] - السخاوي(شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي) : الذيل التام على دول الاسلام للذهبي ، تح حسن اسماعيل مروة ،مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع ، الكويت ، ودار ابن العمادللنشر والتوزيع ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م ،ص١٠٥ .

بالجغرافيا والتاريخ، والجانب الجغرافي متفوق على الجانب التاريخي وأفرد مجلداً كاملاً للحروب الصليبية المجلد رقم٢٧ تمت الإفادة منه في تدقيق بعض الحوادث والتواريخ والحقيقة أن المعلومات التي جاءت في هذا المجلد مفيدة وهامة ولابد من الرجوع إليها. ومن المفيد الاشار إلى أنّ هذا المجلد قد تم نشره في الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية في الجزء٢٣ .

٥. المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، ت سنة ٨٤٥هـ/١٤٤١م) .

ولد في القاهرة سنة ٧٦٦هـ/١٣٦٥م . نشأ ، وتعلم فيها حيث حصل على ثقافة عالية أهّلته لاستلام عدة مناصب مهمة .

أولى المقريزي التاريخ اهتماماً كبيراً حتى صار شيخ مؤرخي القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي[١٧].

صنف عدة كتب أهمها السلوك لمعرفة دول الملوك ، والمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، ويعرف بالخطط المقريزية وهناك كتاب آخر اسمه درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة ، وله أيضاً كتاب إغاثة الأمة بكشف الغمة .

تم إغناء البحث من خلال الملعومات التي جاءت في كتاب السلوك ، وخاصة عن الحملة الصليبية الخامسة ، لكن الملاحظ هو التشابه بين ما جاء في السلوك عند المقريزي وما جاء في تاريخ الأيوبيين عند ابن العميد ، الأمر الذي يظهر أن المقريزي قد أخذ عن ابن العميد ٦. ابن واصل (جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سالم بن نصر الله بن سالم بن واصل توفي سنة ٦٩٧هـ/١٢٩٨م) :

---

[١٧] . السخاوي(شمس الدين) : الذيل التام على دول الإسلام للذهبي ، ص ٦٣٣.

. السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين ت ٩١١هـ/١٥٠٥م) : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، د . ط ،١٣٧١هـ /١٩٥١م ، ص٤٤ .

. مصطفى (شاكر) : التاريخ العربي والمؤرخون ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ١، ١٤١١هـ/١٩٩٠، ج٣،ص ١٤١-١٤٧.

ولد ابن واصل بحماة سنة ٦٠٤هـ/١٢٠٨م وتوفي فيها . لقد زار ابن واصل مدن بلاد الشام وبغداد ، والقاهرة ، والحجاز ، وأقام بالقاهرة عدة سنوات أيام الصالح نجم الدين أيوب وعاش سقوط الحكم الأيوبي في مصر، ثم في الشام ، وتأسست له صلات متينة بالملك الظاهر بيبرس.

كان ابن واصل موسوعي المعارف كتب في الأدب والهندسة والجغرافيا والطب والتاريخ

واختص بالتاريخ لبني أيوب . وأهم ما صنفه في كتب التاريخ هو:

- كتاب مفرج الكروب في أخبار بني أيوب.
- كتاب التاريخ الصالحي[١٨].

وقد أفيد من كتاب مفرج الكروب (من ثلاثة أجزاء هي الثاني والثالث والرابع).

الجزء الثاني: وحققه الدكتور جمال الدين الشيال حيث وردت فيه معلومات قيمة عن علاقة ريموند الثالث مع صلاح الدين وتحالفه معه ضد ملك القدس ، وعن وصول المركيز كونراد مونتفيرات إلى صور، كما وصف خروج الصليبيين من القدس بعد فتحها وصفاً دقيقاً وخاصة خروج البطريرك وهو يحمل الكثير من الأموال التي ضن بها عن فدية رعاياه . كما وردت فيه معلومات جيدة عن مسير الصليبيين إلى عكّا ومحاصرتها وعن وصول ابن ملك الألمان إليها وما حل به في الطريق في إثناء الرحلة إليها ، وكذلك وصول فيليب أُغسطس وريتشارد قلب

---

[١٨] – المقتفي على كتاب الروضتين ، مصدر سالف ج١ ، ص ١٦٢.

. ابن العماد (عبد الحي) : شذرات الذهب ، مصدر سالف ، ج٥ ، ص ٢١٨.

. الكتبي (محمد بن شاكر) : فوات الوفيات ، مصدر سالف ، ج١ ، ص ٢٥٧-٢٥٩.

. ابن الجزري (محمد بن ابراهيم) : تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والاعيان من أبنائه ، تح عمر عبد السلام التددمري ، المكتبة العصرية ، بيروت ، د.ط ، د.ت ، ج١ ، ص ٤ .

. كحالة (عمر رضا) : معجم مصنفي الكتب العربية في التاريخ والتراجم والجغرافيا والرحلات ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦ ، ص ٤٨٦. . – مصلح

(حفظ الله ناصر عبد الله) : العلاقات بين المغول والصليبيين وأثرها على الأمة العربية والإسلامية ، رسالة ماجستير لم تنشر، جامعة دمشق، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦ م، ص ٣ .

الأسد ، كما ورد في الجزء الثاني معلومات قيمة لما جرى بين المسلمين والصليبين في معنى الصلح .

أما الجزء الثالث حققه أيضاً الدكتور جمال الدين الشيال فوردت فيه معلومات عن قلعة الطور ومحاولة الصليبيين محاصرتها ثم رحيل القوات الصليبية إلى مصر ومنازلتهم في دمياط . أما الجزء الرابع الذي حققه الدكتور حسنين محمد ربيع وردت فيه معلومات مفصلة عن وضع الملك الكامل الذي ألجأته ظروفه لطلب الصلح مع الصليبين ، وفيه معلومات عن قدوم النجدات إلى مصر وفتح دمياط .

هذا وقد اعتمد في هذه الرسالة على مصادر أخرى اختلفت الإفادة منها بحسب المعلومات التي وردت في مواضع شتى في هذا البحث منها:

كتاب العبر في خبر من عبر للذهبي (شمس الدين محمد) ، وجاء فيه معلومات مهمة عن حصار عكّا وصولاً إلى سقوطها .

ومنها أيضاً كتاب تاريخ ابن الفرات الذي ورد فيه معلومات مهمة عن الحملة الخامسة، وكتاب القزويني (آثار البلاد وأخبار العباد) الذي جاءت فيه أيضاً معلومات مهمة عن حصار عكّا، وكتاب ابن العبري (غريغوريوس) : تاريخ مختصر الدول الذي جاءت فيه معلومات عن مركيز مونتفيرات ووصوله إلى صور، وكتاب العيني (بدر الدين) : عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان الذي جاءت فيه معلومات مهمة عن الصراع على وراثة العرش ، وصراع ريموند صاحب طرابلس مع بلدوين الرابع المجذوم ومعلومات مهمة غطت مساحة الحملة الصليبية الثالثة وصولاً إلى مقتل المركيز، وكتاب ابن الوردي (عمر) : تتمة المختصر في أخبار البشر الذي جاءت فيه معلومات عن الحملة الثالثة والخامسة ، وكتاب الحموي (ياقوت) الذي استفيد منه في التعرف على المواقع ، والمدن .

- المصادر الأجنبية المعربة (المترجمة)

أيضاً قسمت المصادر الأجنبية إلى قسمين :

١. معاصرة لزمن الحملتين الثالثة والخامسة.

٢. غير معاصرة لزمن الحملتين الثالثة والخامسة.

ـ المعاصرة لزمن الحملتين الثالثة والخامسة:

١. أرنول : من الكتب الهامة التي تمت الإفادة منها في البحث كتاب أرنولد وكيل بيت المال أو ذيل تاريخ وليم الصوري والذي ترجمه وحققه الدكتور سهيل زكار اعتماداً على مخطوط مكتبة مدينة ليون رقم ٨٢٨[١٩]، حيث ورد في هذا الكتاب مادة علمية على غاية كبيرة من الأهمية أغنت البحث بتفاصيل دقيقة عن الصراعات الصليبية من سنة ٥٨٠هـ/١١٩٧ وخاصة بين ملك القدس وكونت يافا غي لويزنيان وأوضح الانعطافات الحادة في هذا الصراع وتشعباته ولاسيّما الصراع بين غي لويزنيان وكونراد مونتفيرات ومن ثم الصراع بين المركيز كونراد مونتفيرات وبين همفري وزواجه من ايزابيلا بعد أن طلّقها من زوجها بالتعاون مع والدتها ورجال الدين، وكان هذا الكتاب قد أورد تفاصيل مهمة عن الصراعات الداخلية في أثناء حصار القدس وبعد تحريرها أي عند خروجهم مهزومين حيث أورد تفاصيل رائعة وخاصة عند خروج بطريرك القدس محني القامة وهو يحمل أمواله ولم يقبل أن يدفع بنساً واحداً عن الفقراء والمساكين فدية لهم، وعن الصراع بين فيليب وريتشارد قلب الأسد، وورد في هذا الكتاب معلومات مهمة قبل مجيء الحملة وخلال سيرها أينما كانوا وخاصة في صقلية وفي قبرص وأثناء حصار عكّا، ووردت معلومات مهمة أيضاً فيما ورد اعتماداً على نص مخطوطة فلورنسا عن الصراعات الصليبية وخاصة الصراعات الأنكلو– فرنسية بتفاصيل كثيرة ومهمة أفادت البحث العلمي وأغنته ولاسيّما الصراع بعد عودة فليب أوغسطس حيث نشب صراع بين ريتشارد قلب الأسد ودوق برغنديا.

ثم وردت معلومات مهمة عن الصراع بين ريتشارد قلب الأسد والمركيز كونراد مونتفيرات، وبشكل عام فقد ورد في هذا الكتاب تفاصيل رائعة ومهمة عن الصراعات لم ترد في غيره من الكتب بهذا

---

[١٩] . الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية : ج٨ ، ص٢٥٣ .

التفصيل وبالتالي فهو من الكتب المميزة في تاريخ الحروب الصليبيّة لعدة أسباب منها أنه كان شاهد عيان لمعظم الأحداث التي ذكرها إلى جانب أن هذا الكتاب مكمّلٌ لما جاء عند وليم الصوري.

٢. إمبرويز (صليبية ريتشارد قلب الأسد)[٢٠]

لم يعرف تاريخ ولادة إمبرويز وكل ما عرف عنه أنه من أصل نورماندي .

ثم إن إشاراته المتوالية إلى شخصيات غير معروفة من أحواز منطقة إفرو Evreax تسوغ افتراض أنه كان شخصٌ من أبناء تلك المنطقة.

إمبرويز لم يكن فارساً ولا محارباً ولا كاهناً بل كان قارئاً جيداً للشعر الفرنسي في أيامه وبالتالي فهو في أحسن الأحوال مغنٍّ جوالٌ أو شاعرٌ محترفٌ .

أرخ للحملة الصليبية الثالثة بقصيدة كتبها باللغة الفرنسية القديمة واختلف على تاريخ وضع هذه القصيدة فقد أعطى غاستون الباريس سنة ٥٩٢هـ/١١٩٦ م تاريخاً محتملاً لنظم هذه القصيدة وقدمت الأنسة نورغيت دليلا على أن تاريخ نظم هذه القصيدة ينبغي أن يكون بين ٥٩٩هـ ١٢٠٣م وسنة ٦٠٣هـ/١٢٠٧م ، وقالت إنّه شاعر نورماندي ذهب مع رجل دين يفترض أنه ريتشارد الداوي الذي كان شماساً في دير الثالوث المقدس في لندن إلى الحملة الصليبية الثالثة بمثابة صديقين ورفيقين ، وفي أثناء الحملة دوّن كل منهما ملاحظاته عمّا عاناه أحدهما أو كلاهما بشكل خاص والحشد بشكل عام . كما دوَّن ما استطاع جمعه وما توفر له من معلومات لذلك جاء التطابق فيما كتبه كل منهما [٢١].

لكن الملاحظ أن إمبرويز لم يورد أيّة معلومات عن حملة فردريك بربروسا وجاءت معلوماته عن فيليب أُغسطس عرضية وفقط فيما يتعلق بالصراع الأنكلو– فرنسي ، بالمقابل أورد معلومات

[٢٠]- الوسوعة الشاميّة في تاريخ الروب الصليبية : ج٣١ ، ص١٥ .

[٢١] -المرجع السالف : ج٣١ ، ص١٦ .

غزيرة حول ما حدث لريتشارد في صقلية وقبرص أما فيما يتعلق بحصار عكّا فربما اعتمد فيما كتبه على ما حصل عليه من معلومات الآخرين.

٣. بادربورن (أوليفر، أوف)

مؤرخ ألماني تاريخ مولده ومسقط رأسه ليس معروفاً . بدأ اسمه بالظهور سنة ٥٩٢هـ/١١٩٦ م عندما كان يعمل شماساً في كنيسة بادربورن بألمانيا ، وفي سنة ٥٩٦هـ/١٢٠٠م عين مدرساً في مدرسة الكنيسة نفسها وفي السنة التالية أصبح مدرساً في مدينة كلوني وفي سنة ٦٠٣هـ/١٢٠٧م رحل إلى فرنسا وقضى فيها بعض الوقت ثم عاد إلى كلوني مرة أخرى . شارك أوليفر أوف بادربورن في أعمال مجلس اللاتيران الكنسي الذي انعقد سنة ٦١٢هـ/١٢١٥ وهو المجلس الذي دعي فيه للحملة الصليبية الخامسة .

. بعد انتهاء الجلسة عين أوليفر واعظاً للحملة الخامسة توفي أوليفر سنة ٦١٩هـ/١٢٢٢م[٢٢]

. كان أوليفر أوف بادربون مثقفاً ثقافة دينية عالية لذلك عمل أوليفر في أثناء وجوده بالحملة الصليبية الخامسة كاتباً للمندوب البابوي الكاردينال بيلاجيوس ، لذلك جاء كتاب تاريخ دمياط على قدر كبير من الأهمية حيث غطى أعمالاً وواصل أخبار هذه الحملة بشكل دقيق .

لكن يؤخذ على هذه المعلومات أنها كانت منحازة إلى طرف المندوب البابوي وخاصة في صراعه مع ملك القدس يوحنا بريين وعلى الرغم من كل ذلك وبشكل عام قدم أوليفر مادة تاريخية على قدر كبير من الأهمية عن أحداث الحملة الصليبية الخامسة ضنت بالكثير منها المصادر العربية.

٤- الصوري (وليم) : ولد وليم الصوري في بيت المقدس حوالي سنة ٥٢٤هـ/١١٣٠م وهو لربما من أسرة فرنسية جاءت مع الحملة الصليبية الأولى ، وقد عاش وليم فتوته وشبابه في الشرق العربي الإسلامي ، وأتقن اللغة العربية ، واليونانية ، واللاتينية والفرنسية القديمة .

---

[٢٢] - بادربورن (أليفر أف) : تاريخ دمياط ، عن زكار (سهيل) : الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية ، دار الفكر ، دمشق ، ط١ ، ١٤١٩هـ/١٩٩٨ م ،ج٣٣ ، ص١٣- ٢٦ .

توجه إلى أوروبا طلباً للعلم والمعرفة ، وتلقى علومه في بعض المدن الفرنسية ، كما ذهب إلى إيطاليا وأمضى بها بعض الوقت، وبعد عشرين سنة أمضاها في أوربا، عاد إلى الأراضي المقدسة سنة ٥٦٠هـ/١١٦٥م ، وعمل وليم في خدمة الملك عموري الأول ، وكان مربياً لابنه بلدوين الرابع (المجذوم) ، وقد عينه الملك عموري الأول رئيساً لأساقفة صور وكاد وليم يصل إلى منصب بطريرك القدس عندما اقترح رجال الدين اللاتينيين في كنيسة القيامة ترشيحه مع هرقل رئيس أساقفة قيسارية ليتم اختيار أحدهما لشغل منصب بطريرك القدس ، ويبدو أن مؤامرة دبرت من أجل استبعاد وليم الصوري ، والعمل على انتخاب هرقل الذي فاز بمنصب البطريرك سنة ٥٧٥هـ/١١٨٠م ، وقد أشار بعض المؤرخين إلى أن وليم لم يتقبل ذلك ، وذهب إلى روما ليتقدم بشكواه إلى البابا ، ويقال إنّ هرقل خانة وأرسل له من سقاه السم فمات في سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م .

وقد صنّف وليم الصوري كتاباً في التاريخ سمّاه أعمال أنجزت فيما وراء البحار، وقد تم الاعتماد على ترجمة الدكتور سهيل زكار لكتاب وليم[٢٣] وهناك نسخة أخرى مترجمة من قبل د٠ حسن حبشي إضافة إلى نسخة موجودة باللغة الإنكليزية وهي بعنوان Ahistory of deeds behyond the sea وقد قام الدكتور عمر كمال توفيق بعمل دراسة تحليلية عن وليم الصوري وهي ذات فائدة عظيمة[٢٤]. ويعدّ كتاب وليم الصوري مع ذيوله موسوعة في تاريخ الحروب الصليبية حيث أرخ إلى سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م وذيل على تاريخ وليم من سنة ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م . ٥٩٣هـ/١١٩٧م[٢٥].

تمت الإفادة من كتاب وليم الصوري أعمال أنجزت فيما وراء البحار حيث وردت فيه تفاصيل عن الصراعات الداخلية في مدّة البحث وما قبلها وخاصة الصراع بين كونت طرابلس ريموند

---

[٢٣] - الموسوعة الشاميّة في تاريخ الحروب الصليبية : ج٧ ، ص١٥ .

[٢٤] - : المؤرخ وليم الصوري ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الإسكندريه ، المجلد٢١ ، ١٣٨٧ هـ/ ١٩٦٧م ، ص١٨١ – ٢٠٠ .

[٢٥] - العريني (السيد الباز) : مؤرخوا الحروب الصليبية ، القاهرة ، ط١ ، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣ ، ص١٠١ – ١٠٣ .

- سعداوي (نظير حسان) : المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين) ، القاهرة ، ط١ ، / ١٩٦٢ ، ص٤١ والتي تليها .

الثالث وغي لويزنيان وقبل ذلك الصراع على الوصاية على الملك المجذوم بين كونت طرابلس وميلون دي بلانسي وكذلك الصراعات الصليبية على خطة الحرب والتصدي لقوات صلاح الدين كما يورد وليم الصوري الكثير من الصراعات الصليبية الداخلية نتيجة لتضارب المصالح والصراع على ولاية العرش وكانت في كثير من الأحيان دقيقة التفاصيل.

٥. فتري (جاك): وله كتاب تاريخ القدس إضافة إلى رسائل الكاردينال جال دي فتري.

ولد جاك دي فتري سنة ٥٧٥هـ/١١٨٠م وتلقى تعليمياً دينياً أهلّه لتقلد عدة مناصب دينية.

. حضر مجمع اللاتيران سنة ٦١٢هـ/١٢١٥م.

. في سنة ٦١٣هـ/١٢١٦م عين جاك دي فتري أسقفاً لمدينة عكّا وصاحب الحملة الهنغارية في هجومها على بعض ممتلكات المسلمين سنة ٦١٤هـ/١٢١٧م.

وبالتالي فهو شاهد عيان على أعمال الحملة الصليبية الخامسة من بدايتها إلى نهايتها سنة ٦١٨هـ/١٢٢١م ثم عاد إلى عكّا وبقي فيها حتى سنة ٦٢٤هـ/١٢٢٧م ومن ثم عاد إلى روما[٢٦]. وفضلاً عن كون جاك دي فتري من شهود العيان في الحملة الخامسة ، فهو كان أيضاً رجل الدين الثاني في هذه الحملة بعد المندوب البابوي ، وكان يكتب التقارير أو الرسائل من دمياط إلى البابا هونوريوس الثالث ٦١٣هـ /١٢١٦م . ٦٢٤هـ/ ١٢٢٧م وبلغ مجموع هذه الرسائل سبع رسائل وقد تمت الإفادة من ترجمة هذه الرسائل إلى اللغة العربية التي قام بها الدكتور عبد اللطيف عبد الهادي من جامعة غريان في ليبيا ، وقد أفيد ممّا جاء في هذه الرسائل من معلومات موثوقة عن الحملة منذ رسوّها في جيزة دمياط مروراً بالكثير من الحوادث ، حتى الزحف باتجاه القاهرة ، والهزيمة ، ومن المعلومات الهامة التي وردت في هذه الرسائل موضوع رحيل الملك يوحنا دي بريين إلى عكّا وأسباب هذا الرحيل .

[٢٦] - فتري (جاك دي) : رسائل جاك دي فتري نقلاً عن لغتها اللاتينية ،تر عبد اللطيف عبد الهادي السيد ، المكتب الجامعي الحديث ، ليبيا ، ط١ ، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م ، ص٧ .

كما أفيد من كتاب جاك دي فتري (تاريخ القدس) والذي ترجمه الأستاذ الدكتور سهيل زكّار عبر العمل الضخم (الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية) حيث ورد فيه الكثير من المعلومات المهمة عن الأماكن المقدسة ووصفها .

٦. تاريخ هرقل ، و تتمة تاريخ هرقل– أو عكّا – لتاريخ وليم الصوري (مؤلف مجهول):

ومن الكتب الهامة التي اعتمد عليها في البحث تاريخ هرقل والاستيلاء على أراضي ما وراء البحار ويعدّ هذا الكتاب من المصادر الهامة لأنه عالج فترة طويلة من تاريخ الحروب الصليبية امتدت من سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م إلى سنة ٦٧٥هـ/١٢٧٧م[٢٧] وعلاوة على ذلك انفرد بمعلومات قيمة لم ترد في المصادر العربية والأجنبية مثل الاجتماع الذي عقده ريموند الثالث كونت طرابلس في نابلس سنة ٥٨٢هـ/١١٨٦م لمعارضة تتويج غي لويزنيان ملكاً للقدس وأفيد في ذكر القرارات التي نجم عنها ذلك الاجتماع.

كما ألقى الضوء على موقف بطريرك القدس وانحيازه إلى جانب لويزنيان ضد حزب البارونات الذي كان يتزعمه ريموند الثالث كونت طرابلس. وفي هذا الكتاب تطابق مع بعض المعلومات التي جاءت في كتاب ذيل تاريخ وليم الصوري وخاصة حول انتخاب هرقل بطريركاً لبيت المقدس وكذلك عن علاقة بطريرك القدس مع باسك دي رفري زوجة أحد التجار في نابلس . وبشكل عام فإن كتاب تاريخ هرقل هو من الكتب القيمة لدراسة تاريخ الحروب الصليبية نظراً لما احتواه من معلومات غزيرة تمت الإفادة من ترجمة الدكتور سهيل زكّار لفصول طويلة من هذا الكتاب في الموسوعة الشامية . حيث جاءت بمثابة ذيل لتاريخ وليم الصوري

٧. الكتاب الآخر الذي كتبه شاهد عيان للحملة الصليبية الثالثة هو: الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد قلب الأسد) : مؤلف مجهول ، وهو مؤلف من جزئين قام بترجمته، والتعليق عليه الدكتور حسن حبشي[٢٨]، ويبدو من خلال دراسة فصول هذا الكتاب أن مؤلفه كان

---

[٢٧] - الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية : ج٥٦ ، ص١٩٦٩ .

[٢٨] الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد قلب الأسد) : مؤلف مجهول ، جزءان ، تر حسن حبشي ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الاسكندرية ، د .ط ، د . ت ، ج١ ، ص٤.

مقاتلاً في جيش الملك الإنكليزي ريتشارد قلب الأسد وكما قال الدكتور حسن حبشي : وما كان ليرى النور لو لم يقم وليم ستبس (William stubbs)[٢٩] بجمع أوراقه سنة ١٨٦٤م، وهو الكتاب الذي ترجمه الأستاذ حسن حبشي إضافة إلى أن ما جاء في هذا الكتاب يشابه إلى حد كبير ما سنعرضه في كتاب حملة الملك ريتشارد إلى أراضي القدس المقدسة والذي عزي – كما سلف القول – إلى ريتشارد الثالوث المقدس وهو رجل دين إنكليزي . وقد أفيد من هذا الكتاب بشكل واضح وكبير حيث ورد في مقدمات هذا الكتاب معلومات هامة عن النزاع الذي نجم بين القادة المسيحيين وانقسامهم انقساماً خطيراً بسبب النزاع الذي نجم بين ريموند الثالث كونت طرابلس وبين ثامن ملوك القدس غي لويزنيان، ولكن يلاحظ هنا عدم الدقة في تسمية الأماكن وإعادة المعلومات أكثر من مرة ، والملفت للنظر في هذا الكتاب هو غنى المعلومات عن الإعداد للحملة الصليبية الثالثة وكيفية الإعداد ومن ثم الانطلاق بالحملة ، كما وردت في هذا الكتاب معلومات هامة عن مركيز مونتفيرات (كونراد) ، وصراعه من أجل السلطة وما كان يعانيه من مرض نفسي ، وقتله للأطباء ، وكذلك دور البيازنة ، والجنويه في هذه الحملة وصراعهم من أجل مصالحهم ، والثورة ضد المركيز مونتفيرات ، ومعلومات أخرى هامة عن وصول فردريك دي سوابيا إلى عكّا وإثارته الاضطرابات هناك وهنا ورد خطأ يجب الانتباه إليه وهو تسمية فردريك السوابي بدوق سوابيا . وكل هذه المعلومات جاءت في الجزء الأول من الكتاب أما جزؤه الثاني ففيه الكثير من المادة العلمية التي أغنت فصول البحث وبخاصة عن الصراع الأنكلو–فرنسي ، والصراع بين ريتشارد ، والبيازنة ، والصراع بين ريتشارد والمركيز وغير ذلك ، وبشكل عام فإن هذا المصدر الذي يعدّ صاحبه شاهد عيان لا بد منه لأي باحث في هذا المجال .

٨. ومن الكتب الهامة التي تعد من أفضل المصادر التي تتحدّث عن الحملة الصليبية الثالثة كتاب بعنوان حملة الملك ريتشارد إلى أراضي القدس المقدسة لمؤلف مجهول حيث قال مؤلفه :

---

[٢٩] - وليم ستبس هو مؤرخ وعالم انكليزي قام سنة ١٨٦٤م بجمع الأوراق التي كتبها مؤلف مجهول رافق رحلة رتشارد قلب الأسد الى الشرق وأخرجها على شكل كتاب اسمه(itnegrinorum pere grinorum et gesta ricard) انظر : -الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين ورتشارد) : مؤلف مجهول ، جزءان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ج١ ، ص١٣ .

نحن الذين نعالج تاريخ القدس جديرون بالتصديق حقاً ، أوردنا ما رأيناه ، ودونا بالعلم هذه الأعمال بينما ما تزال ذاكرتنا واعية لها ، وإذا ما أراد قارئ متشدد أسلوباً عليه أن يتذكر أننا كتبنا عندما كنا بالمعسكر ولم يسمح لنا ضجيج الحرب بالهدوء والتفكير العميق وعن محاولة معرفة اسم المؤلف قال الدكتور سهيل زكّار : إنه أحد الكتاب الفرنسيسكان واسمه نيكولاس تريفي ، و يقال أنه : كان شماساً اسمه ريتشارد . من الثالوث المقدس قد كتب هذا الكتاب بينما اعتقد بعضهم أن إمبرويز كتبه وكتب النص نفسه شعراً لكن يبدو أن هذا يبقى في باب الاحتمالات وعلى كل حال لم يتم التأكد من شخصية المؤلف حتى الآن[٣٠]، وقد أفيد كثيراً من هذا الكتاب لما احتواه من معلومات ومادة علمية غطت فصول الحملة الصليبية الثالثة وبخاصة الصراعات الأنكلو فرنسية في مسّينا ، لكن الملاحظ أن صاحب هذا الكتاب كان منحازاً إلى ريتشارد قلب الأسد انحيازاً تاماً . ورد في الكتاب معلومات دقيقة عن صراع ريتشارد مع إمبراطور قبرص واستيلاء ريتشارد عليها بالإضافة إلى الصراع المرير بين فيليب أغسطس وريتشارد قلب الأسد حول كثير من القضايا ومنها الصراع حول مركيز مونتفيرات وصراعه مع ملك القدس غي لويزنيان على ولاية العرش ومن ثم الصراع بين ريتشارد ودوق برغنديا الذي خلف فيليب أُغسطس في قيادة الفرنسيين في الأرض المقدسة وهي معلومات جدّ هامة ومفيدة أغنت البحث بذكر تفاصيل هامة خاصة حول ولاية العرش ومقتل المركيز ومن ثم اختيار هنري ليكون ملكاً لصور. لكن يجب الانتباه دائما إلى دقة المعلومات الواردة وصحتها لأنّ الكاتب كما ذُكر منحاز إلى طرف دون الأخر.

٩. فنزوف وهو مؤرخ إنكليزي الأصل من عائلة نورماندية أو نورماندي المنشأ ، لا يعرف تاريخ ولادته أو وفاته ، له عدة كتب أهمها Chronicles Of The crusades وقد أفيد من كتابه في الكثير من التفاصيل حول أحداث الحملة الثالثة ، والحملة الخامسة .

[٣٠] - الموسوعة الشاميّة في تاريخ الحروب الصليبية : ج٣١ ، ص ١٧والتي تليها .

١٠. وهناك كتاب آخر هو: ذيل تاريخ وليم الصوري ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م . ٥٩٣هـ/ ١١٩٧م اعتماداً على مخطوطة مكتبة ليون رقم ٨٢٨ لمؤلف مجهول ترجمه وحققه الدكتور سهيل زكار ضمن عمله الضخم الموسوعة الشامية [٣١] في تاريخ الحروب الصليبية وجاء في هذا الكتاب معلومات على قدر كبير من الأهمية لدارسي الحروب الصليبية بشكل عام وللباحثين في تاريخ الصراعات الصليبية الداخلية بشكل خاص لتضمنه أفكاراً مهمة ، وخاصة في الصراع على ولاية العرش أغنت مضمون البحث بمعلومات مهمة لذلك لا يمكن الاستغناء عن هذا الكتاب ولاسيّما أن ما جاء فيه قد عزز ما ورد عند الآخرين ، وبخاصة الصراعات الأنكلو . فرنسية في صقلية ، وقبرص ، أما عن مخطوطة فلورنسا ، فالكتاب يركز على الصراعات منذ وصول الحملة إلى عكّا ، والصراع الأنكلو . فرنسي بين فيليب أُغسطس وبين ريتشارد قلب الأسد ، وعودة ملك فرنسا ، وما تلا ذلك من صراعات بين ريتشارد ودوق برغنديا، لكن الملاحظ – وعلى الرغم من أهمية هذا الكتاب ، وأهمية ما جاء فيه من معلومات لا يمكن الاستغناء عنها فقد وقع في مطب التكرار المفرط لبعض المعلومات ، و عدم التسلسل الزمني أحياناً إضافة إلى الأخطاء في ذكر بعض الأسماء والمواقع . لكن يمكن التأكيد مرّة أخرى أن لا غنى لأي باحث في تاريخ الحروب الصليبية عن العودة إلى هذا الكتاب.

المصادر غير المعاصرة:

١. برخارد وكان مواطناً ألمانياً من بلدة ستراتسبورغ وقد اشتغل في سلك الرهبنة وأصبح راهباً في هيئة الدومينيكان وذهب برخارد إلى الشرق سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٢م، وقام بزيارة سوريا ، ومصر ، وأرمينيا ، ويقال أنه أمضى في دير جبل صهيون نحو عشر سنوات ولم يعد إلى الغرب الأوروبي الا في أواخر حياته ، ويقال أيضاً : أنه من المرجح أنه مات في الشرق لكن تاريخ وفاته غير معروف ، وكان برخارد بعيداً عن التعصب متديناً تقياً محباً لكافة الطوائف المسيحية

[٣١] - الموسوعة الشاميّة في تاريخ الحروب الصليبية ، ج٨ ، ص١٥ .

، ويبدو أنه كان على درجة عالية من التعليم حيث استطاع تسجيل مشاهداته في الشرق بلغة سهلة[٣٢]، وأفيد من ذلك بإغناء البحث ببعض المعلومات المهمة .

٢. باريس (متى): هو أحد رهبان دير القديس البان ، اشتهر بلقب الباريسي نسبة على مدينة باريس ربما لأنه ولد أو تعلم فيها ، كان رجلاً مثقفاً اهتم بالتاريخ وتأليفه من مصنفاته كتاب التاريخ الكبير ، وقد ترجمه، وحققه الدكتور سهيل زكار وضمنه بالموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ، وجاء في جزئين ، والكتاب بشكل عام يؤرخ لأوروبا وفرنسا وانكلترا بشكل خاص، إضافة إلى معلومات مهمة عن مملكة القدس اللاتينية[٣٣] حيث أفيد منه بمعلومات مهمة عن الحملتين الثالثة والخامسة.

٣. الروسي (دانيال) زار الأرض المقدسة سنة ٥٠٠هـ/ ١١٠٦م . ٥٠١هـ/١١٠٧م وكان دانيال أسقفاً لـ Surier في سنة ٥٠٩هـ/١١١٥م وتوفي في الخامس من رجب سنة ٥١٦هـ/ التاسع من أيلول ١١٢٢م، وقد ترجمت رحلة دانيال إلى عدة لغات منها الألمانية والفرنسية ، واليونانية ، والروسية ، والانكليزية كما ترجمها الدكتور سهيل زكار إلى اللغة العربية في إطار عمله الضخم الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية[٣٤] وقد أفيد من كتاب دانيال بالكثير من المعلومات التي أغنت البحث.

٤. فورزبورغ (يوحنا): وصف الأرض المقدسة:

كان يوحنا مواطناً من مدينة فورزبورغ الألمانية، وقد زار الأرض المقدسة في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، ولا يوجد معلومات مؤكدة عنه سوى ما أخبرنا عنه يوحنا خلال رحلته ، وقد ذكر أنه كان قسيساً في كنيسة فورزبورغ على الرغم من أن سجل هذه الكنيسة لا تشتمل على اسم شخص يدعى يوحنا كما قال الدكتور سهيل زكارعند التعريف به في الموسوعة

---

[٣٢] Bruchard : A Description of the Hoiy Land, pp3- 6

[٣٣] باريس (متّى) :التاريخ الكبير ، عن زكار (سهيل) : الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية ، ج٤٦ ، ص٥-٧ .

[٣٤] - الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية ، ج٣١ ، ص٢٥ .

الشامية ، وكان هذا الحاج الألماني متقد الحماسة كما يبدو من خلال ملاحظاته التي يشير فيها إلى أن الألمان لم يستحوذوا على أي جزء من المدينة المقدسة ، ولم يمتلكوا شارعاً صغيراً فيها لأنهم لم يهتموا بهذا الموضوع ، ولم تكن لديهم رغبة للبقاء هناك وقد أفيد من كتابه في التعرف على بعض المواقع ووصفها إضافة إلى ذكر بعض الحوادث المتفرقة .

٥. وستمنستر (متى) انكليزي الأصل، وكان أحد الرهبان البندكتيين ، وقد ذاع صيته مع مطلع القرن الرابع عشر الميلادي ، اعتمد في كتاباته على ما جاء في كتاب ورود التاريخ لروجر أوف وندوفر ، ومتى باريس الذي عاش في القرن الثلاث عشر الميلادي ، لكنه تحدث في كتابه باختصار عن أحداث الحملة الصليبية الخامسة وقد أفيد منه في إغناء البحث حول هذه الحملة.

٦. وندوفر (روجرر أوف) من أهالي بلدة وندوفر في بكنغهام شير لا تعرف سنة ولادته ولا درجة تعلمه ، ولا تاريخ أخذه الرهبانية في دير القديس ألبان ، وقد تدرج في المناصب حتى صار قائد جوقة المرتلين في ديره ، وترقى بعد ذلك مرتبة رئيس الرهبان في بلفوير وهو مركزرهباني ملحق بدير القديس ألبان ، ولعله وصل إلى هذا المنصب أيام الملك جون أخو ريتشارد قلب الأسد ، وقد عزل منه بعد ارتقاء هنري الثالث للعرش ، وذلك بحجة تبديده لأموال بيته الديري ، وأخذت هذه المعلومات من كتاب متى باريس[٣٥].

توفى روجر أوف وندوفر في سنة ٦٣٤هـ/١٢٣٧م ، ويعد كتابه (ورود التاريخ) كتاباً بالغ الأهمية حيث وردت فيه معلومات جيدة عن تاريخ الحروب الصليبية لا بد لكل باحث فيها من العودة إليها وقد أفيد منه بتفاصيل رائعة عن الحملتين الثالثة والخامسة .

وأخيراًلابدّ من التنويه إلى بعض المراجع المهمة التي تمت الافادة منها ومنها كتاب حطين ومسيرة التحرير من دمشق إلى القدس تأليف الدكتور سهيل زكار حيث وردت فيه معلومات

[٣٥] وندوفر (روجر أف) : ورود التاريخ ، عن زكار (سهيل) الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية ، ج٣٩ ، ص٦ .

مهمّة كان لابدّ من الرجوع اليها لاغناء البحث وخاصة ما جاء فيه ترجمةًلفصول مهمة من كتاب الالكسياد لآنّا كومينوس .

ومن المراجع الأجنبية المترجمة ، و المهمة، والتي تمّ الرجوع اليها واغناء البحث من خلالها كتاب تاريخ الحروب الصليبية تأليف ستيفن رنسيمان بأجزائه الثلاثة ، وكتاب الصليبيون في الشرق لميخائيل زاباروف ، وكتاب تاريخ الحروب الصليبية تأليف آرنست باركر ،وكتاب فن الحرب عند الصليبيين تأليف رايلي سميل ، وكتاب ملحمة الحروب الصليبية لرينيه غروسيه ، وكتاب الحروب الصليبية صراع الشرق والغرب لرينيه غروسيه أيضاً ، وكتاب الاستيطان الصليبي في فلسطين ليوشع براور ، وكتاب عالم الصليبيين ليوشع براور أيضاً،وكتاب قبرص والحروب الصليبية لبترو أديوري ، وكتاب الاسبتاريه لرايلي سميث، وكتاب الحملات الصليبية والشرق اللاتيني لميشيل بالار, وغيرها من المراجع المهمة التي أغنت البحث بالكثير من المعلومات المفيدة .

تمهيد

كان الشرق العربي والإسلامي يخضع في أواخر القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي لثلاث قوى رئيسة ، أولاها الخلافة العباسية في بغداد ، وثانيتها الخلافة الفاطمية في مصر ، وثالثتها مسيحية رمزها الإمبراطورية البيزنطية .

وكانت الخلافة العباسية قد فقدت هيبتها وحلّ بها الضعف والإنهيار وسيطر عليها الغرباء ورضي خليفتها بالسلطة الدينية الاسمية دون السياسية التي سيطر عليها السلاجقة[٣٦] الذين بدورهم أصابتهم عدوى التجزئة ، والتشتت فانقسمت الدولة إلى دويلات متنافرة ، وفي أكثر الأحيان متناحرة[٣٧].

أما الخلاقة الفاطمية في مصر فقد خاضت صراعاً مريراً هدفه الحصول على الزعامة الدينية على العالم الإسلامي .

هذه الصراعات إضافة إلى الأزمات الداخلية نالت من هذه الدولة ، وأضعفتها مما مهّد إلى زوالها لاحقا .

أما بيزنطة فقد تعرضت هي بدورها إلى تغيّرات بالغة الأهمية أثرت في تطور مجرى الحوادث في هذه المنطقة ، ومن أهم هذه التغيّرات : انتصار ألب أرسلان السلجوقي (٤٥٥هـ/ ١٠٦٣. ٤٦٥هـ/١٠٧٢م)على الإمبراطور البيزنطي رومانوس الرابع ديوجينوس (

---

٣٦ . السلاجقة نسبة إلى سلجوق بن تُقاق ، وكلمة تُقاق تعني القوس الحديدي ، والسلاجقة قبائل تركمانية قدمت من تركستان في أواسط أسيا وبلغت ذروتها ايام سلاطينها العظام طغرلبك ، وألب ارسلان، وملك شاه، ثم انقسم السلاجقة إلى دويلات شتى في المشرق العربي والإسلامي .

أنظر:

–ابن الأثير (أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد أبي عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، ت ٦٣٠هـ/١٢٣٣م) : الكامل في التاريخ ، ١٢ جزء ، تح ، د. عمر عبد السلام التدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، د.ط ، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م ، ج ، ص٥ وما بعدها .

– زكار(سهيل): تاريخ الدولة العربية في العصر العباسي الثاني ، جامعة دمشق ، ط١ ،١٤٢٢هـ/٢٠٠١م ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م ، ص ٩٣ وما بعدها .

٣٧. ابن القلانسي (أبو يعلي حمزه بن أسد بن علي بن محمد القلانسي) : ذيل تاريخ دمشق ، ط١، ١٣٢٦هـ /١٩٠٨م ، ص١٣٠ والتي تليها .

٤٦٠هـ/١٠٦٨م . ٤٦٣هـ/١٠٧١م) في موقعة منازكرد كان كارثة عظمى على الإمبراطورية البيزنطية فقدت خلالها معظم أراضي آسيا الصغرى لصالح السلاجقة .

في خضم هذا الصراع فيما بين المسلمين أنفسهم ، والصراع بين السلاجقة والإمبراطورية البيزنطية جاءت جحافل الصليبيين من أوربا إلى الشام فيما دعي بالحروب الصليبية[٣٨].

والسؤال المهم : ما الأسباب التي دعت تلك الجحافل إلى أن تأتي من أوربا ، وتركب شتى أنواع الأهوال ، والمخاطر ؟

تعددت الآراء والاتجاهات حول هذه الأسباب ، فمن الباحثين من أكّد أنها أسباب دينية محضة وأن هذه الجيوش ما جاءت إلا لنجدة القبر المقدس ، وتخليصه من مغتصبيه على حد زعم هؤلاء ، ومنهم من ذهب إلى القول أن الاقتصاد هو العامل الأساس الذي وقف وراء هذه الحروب ، وأن نظام الإقطاع في أوربا وحق الوراثة للولد الأكبر دون سواه قد أوجدت جيلاً من النبلاء المفلسين الذين لا يملكون ، والذين أصبحوا يشكلون خطراً على أصحاب الأملاك من النبلاء ، والأمراء والملوك .

في هذه الظروف بدأت الدعوة للحروب الصليبية ، فما إن سمع هؤلاء عن أرض المشرق أنّها أرض اللبن ، والعسل حتى سال لعاب الكثير منهم ، وقالوا : إنّ ركوب المخاطر والأهوال يستحقّ ذلك .

أما الفقراء وخاصة الفلاحين الذين أصبحوا أقناناً في أراضي الإقطاعيين ، وفقدوا أملاكهم وحريتهم ، وأصبحوا يعيشون حياة ملؤها البؤس والشقاء ، فليس من سبب يشجعهم على البقاء

---

[٣٨] . توفيق (عمر كمال) : مملكة بيت المقدس الصليبية ، مطبعة رويال ، الاسكندرية ، د.ط ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م ، ص ٥٠ وما بعدها .

في هذه الظروف بل على العكس وجدوا في الحروب الصليبية فرصة للتخلص من ظلم الإقطاعيين واستغلالهم[٣٩].

وهناك رأي آخر يرى أن هذه الحروب هي حلقة واسعة في سلسلة الصراعات الطويلة بين الشرق ، والغرب . والتي لا تزال مستمرة إلى الآن تكمن خلفها أسباب اجتماعية وحضارية وسياسية[٤٠].

إن بعض هذه الأسباب السالفة الذكر لا يصمد طويلاً أمام البحث العلمي الجاد والموضوعي وربما كل هذه الأسباب منفردة كل على حدة لا يصمد طويلاً أمام من يستقرئ الأحداث التاريخية بحثا عن الحقيقية . فالأسباب الدينية رغم كل ما جُنّد من أجلها من رجال دين وفكر وسياسة ؛ لا تستطيع الإجابة عن سؤال مهم : هو إذا كانت أسباب الحروب الصليبية قد جاءت من أجل الديانة المسيحية . فلماذا قُتِل المسيحيون في الإمبراطورية البيزنطية ؟

ولماذا أغلقت أبواب بيزنطة في وجه القوات الصليبية ؟

ولماذا تَقاتَل الأمراء في ما بينهم في الدويلات الصليبية ؟

ولماذا احتل ريتشارد قلب الأسد قبرص وحكامها وسكانها مسيحيون ؟

ولماذا كان الصراع المرير الأنكلو – فرنسي في أثناء حصارعكّا ؟

ولماذا لم يقبل النائب البابوي بيلاجيوس باستعادة كل الارض المقدسة التي استعادها صلاح الدين مقابل فك الحصار عن دمياط ؟

وهناك الكثير من هذه الأسئلة التي لا إجابةَ منطقيةً عنها .

---

٣٩ . فرح (نعيم) : تاريخ أوربا السياسي في العصور الوسطى ، منشورات جامعة دمشق ، ط١ ١٤١٥هـ/١٩٩٥ ص٣١٠ .

٤٠– المطوي (محمد العروسي) : الحروب الصليبية في المشرق والمغرب ، دار المغرب الاسلامي، ط٢ ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م ، ص٢٧ .

إلا أن هذه الحملات جاءت لأسباب أخرى مع الأسباب الدينية .

وهناك الكثير من الأدلة على ما ذهب البحث إليه في هذا الاتجاه وقد نجد بعضه على يد كتاب ومؤرخين وأدباء صليبيين فهذا ريبتوف الذي مات سنة ٦٨٤هـ/١٢٨٥م بعد أن ألّف ستاً وخمسين قصيدة يقول على لسان شخصين متحاورين أحدهما حمل الصليب ، ويريد إقناع الآخر بذلك متسلحاً بكل الحجج فيرد الآخر عليه قائلاً:

بوسع المرء أن يكسب الرب هنا ، وأن يحيا من ميراثه دون أن يجازف بمثل هذه المخاطرة[٤١] (أنظر النص الكامل للحوار في الملحق رقم ١) ، وهذا القول يتطابق إلى حد ما مع ما قاله المؤرخ العربي ابن الأثير في معرض مقارنته بين الخطر المغولي ، والخطر الصليبي عندما قال : (إن الفرنجة أشد شكيمة من التتر وطالبو ملك وإقامة ملّة)[٤٢].

من هذين القولين نستدل على أن هناك أسباباً دينية وأسباباً اقتصادية و أسباباً أخرى لكن لم يكن أي منها السببَ الوحيد لهذه الحروب ، إنما اختلطت الأسباب بشكل عجيب يصعب الفصل بينها ولايمكن للباحث إلا أن يأخذ بها جمعاً أسباباً حقيقية لهذه الحملات التي تدفقت منذ سنة ٤٩١هـ/١٠٩٨م على منطقة الشرق العربية والتي استطاعت أن تؤسس أربع دويلات صليبية هي الرها وأنطاكية وبيت المقدس وطرابلس لكن الملفت للنظر هو أن الحشود الكبيرة التي جاءت من غرب أوربا متدافعة تحت راية الصليب يملؤها الحماس لاستعادة القبر المقدس قد عاثت فساداً وتدميراً وقتلاً في أراضٍ مسيحية ، فما أن وصلت القوات الصليبية سواء حملة الفقراء وأيضاً حملة الأمراء إلى حدود الإمبراطورية البيزنطية التي مدّت لهم يد العون حتى راحت كل جماعة

---

[٤١] . بالار (ميشيل) : الحملات الصليبية والشرق اللاتيني من القرن الحادي عشر إلى القرن الرابع عشر الميلاديين ، تر بشيرالسباعي ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة ، ط١ ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م ، ص ٣٧ .

[٤٢] . ابن الأثير (أبو الحسن علي) : الكامل في التاريخ ، ج١٠، ص ٣٦٤.

منها تروّع الناس وتنهب القرى وتقتحم مخازن الحبوب ، ووصل بهم الأمر إلى سلب الكنائس وسرقتها[٤٣].

. وعندما حاول إمبراطور القسطنطينية [٤٤] ضبط الأمور وأخذ العهود والمواثيق منهم أو محاولة تسييرهم إلى أسيا رفضوا اجتياز البوسفور إلا بشروط محاولين جعل الإمبراطور في وضع صعب . أيقاتل القوات المسيحية التي جاءت بموافقته لتحرير الأرض المقدسه أم يتركها تعيث فساداً في أرضه ، عندها عمل على قطع المؤن والإمدادات عنهم لإجبارهم على العبور إلا أنهم ازدادوا غطرسة ، وضلالاً ، وأصرّوا على أن يبقوا في غيهم يعمهون. فبادروا بالهجوم على القسطنطينية ذاتها لدرجة أن آنّا كومينوس قالت: إن جودفري بويون جاء ومعه خطة لاحتلال القسطنطينية [٤٥]. ولم تكن هذه المرّة هي الوحيدة التي قتل الصليبيون فيها ابناء دينهم على الرغم من تجلببهم بلبوس الدين والاستظلال بمظلته والسير تحت رايته . والملفت للنظر في هذا الموضوع أن فقدان الثقة كان متبادلاً بين الطرفين فقد كان الإمبراطور يطلب من القادة ، والنبلاء حلف اليمين[٤٦]، وهو الأمر الوحيد الذي يجعله يطمئن لهؤلاء . وبالمقابل عدّه الطرف الآخر ضرباً من الإذلال ، والخنوع ولاسيّما أنهم يعتبرون أنفسهم أرفع مستوى ، وأن هناك اتفاقاً مع الإمبراطور بتقديم كل المساعدات لهم ، وأسوق هذه الحادثة للتدليل على الصراعات الكثيرة التي كانت تدور بين الأطراف الصليبية ، بعد أن استقرت القوات الألمانية التي رافقت الإمبراطور الألماني في الحملة الصليبية الثانية بالقرب من إحدى المدن البيزنطية ساق سوء الحظ مهرجاً إلى معسكرهم وعلى الرغم من أنه يجهل لغتهم فقد جلس في الحانة التي وجد عدد كبير منهم فيها ، وبعد أن شرب هذا المهرج وسكر أخرج من جيبه أفعى كان قد سحرها ثم وضعها على

---

[٤٣] Anna Commenen : Alexiadi col III,P36. ..

[٤٤] . امبراطور القسطنطينية هو الكسيوس كومينوس.

[٤٥] . يوميات صاحب أعمال الفرنجة: (مؤلف مجهول) . عن زكار (سهيل) : الموسوعة الشامية ، ٥٠ جزء دار الفكر ، دمشق ، د . ط ، ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٨ م، ج٦، ص ١٢٦-١٣٠ A nna commenen : op, cit , pp 22.-226-

[٤٦] . شارتر (فولتشر أوف) : تاريخ الحملة الصليبية إلى القدس ، عن زكار (سهيل) : الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية ، ج٦ ، ص ١٧٥.

رأس قدح كان قد ركزه على الأرض ثم انهمك في المزيد من إعمال التهريج ، وسرعان ما نهض الألمان وكأنهم قد شاهدوا شيطاناً ، فألقوا القبض على المهرج ، ومزقوه إرباً إرباً ، وأعلنوا أن الإغريق أرادوا تسميم القوات الألمانية وعجّت المدينة بالفوضى وبين أخذ ورد اشتعلت نار الفتنة ولم تتوقف الحرب بينهم حتى طرد جميع الألمان من داخل المدينة ، ويقول أودو أف دويل الذي رافق الملك الفرنسي لويس السابع في حملته إلى الشرق (الحملة الثانية) : (في الحقيقة لم يكن الألمان يمكن احتمالهم حتى من قبلنا ففي إحدى المناسبات ذهب بعض رجالنا نتيجة لضيق المكان وأقاموا إلى جانب الألمان .

وفي أحد الأيام ذهبوا للتسوق غير أن الألمان لم يسمحوا للفرنجة بشراء أي شيء إلا بعد أن تسوق الألمان وأخذوا كل ما ابتغوه ، ونشأ نتيجة ذلك نزاع كبير بين الطرفين لكن الرب وضع حداً لتلك المواجهة الشريرة)

أما بعد وصولهم إلى منطقة الشرق العربي ، وهو الأهم على الرغم من أهمية ما سبق فإن بعضهم صار عدواً لبعضهم الآخر، وكان تقسيم الغنائم ، أو توزيع الإقطاعيات ، أو الوظائف إضافة إلى ما هو متأصّل في النفوس من حقد ، وكراهية فيما بينهم يوفر الذرائع لمخاصمات لا نهاية لها بينهم .

ففي زمن تأسيس السيادة اللاتينية في الشرق وعلى الرغم مما كان يظهر من وحدة الأهداف الدينية وإن تكن وحدة سطحية ربطت البارونات فيما بينهم نوعاً ما ، فإن الصراعات كانت تطفوا في الكثير من الأحيان إلى العلن ، وتؤسس لأحقاد جديدة مضافة إلى الأحقاد الموجودة أصلاً ، وهذه الأحقاد تستدعي إلى الكثير من الجهد والوقت لحلها ، ومثال ذلك:

أن اللومبارديين الذين انحازوا إلى بطرس الناسك أسهموا في إخفاق حملته باشتراكهم مع أتباعه من الألمان في التآمر على أتباعه من الفرنسيين[٤٧] حيث قال عنهم بطرس الناسك: (إنّهم

---

[٤٧] . رنسيمان (ستيفن) : تاريخ الحروب الصليبية ، ٣ أجزاء ، تر، السيد الباز العريني ، دار الثقافة، بيروت ، د.ط، ١٤١٨هـ/١٩٩٧، ج١، ص ٣٨.

عصابات ولصوص أوغاد ، وعلى هذا كانوا غير لائقين بالانتساب إلى المخلص ، وغير جديرين بعبادته عند القبر المقدس)[٤٨].

كما استخدم الصليبيون المكر والخديعة ، والكذب والمؤامرات ، وهذا ما رأيناه عندما أخذ بوهيموند أنطاكية عندما كذب على مندوب الإمبراطور ، وتآمر عليه ، وخدع زملاءه النبلاء واستولى على أنطاكية[٤٩].

وعندما كان الأمر يتعلق بالمصالح الخاصة كان الصليبيون دائماً مستعدين للتخلي عن كل شيء حتى عن زملائهم ، وأقاربهم . ومثال ذلك: عندما وقع بوهيموند[٥٠] في الأسر رفض تانكرد (وهو ابن أخت بوهيموند .وهو فارس نورماندي ايطالي والدته إمّا emma ابنة روبرت جيسكارد وقد استطاع تانكرد أن يحقق شهرة أوسع مما حققه أخواله حيث لم يغره ثراء آبائه فلم يكن مبذراً ولم يثر سلطان عائلته في تفسه نوازع التعالي فقد فاق أقرانه في استخدام السلاح وبزّ الشيوخ في رزانته ووقاره) أن يدفع بنساً واحداً لإنقاذه من الأسر . وذلك لأنه كلف من قبل بلدوين الأول (ملك القدس من ٤٩٤هـ/١١٠٠م –٥١٢هـ/١١١٥م) بحكم أنطاكية بدلاً من بوهيموند ، وبهذا تكون السلطة وبريق الحكم قد أعمى تانكرد عن فك أسر خاله .

وفي الوقت نفسه كان ملك القدس (بلدوين الأول) يعمل على التخلص من منافس كبير له في المملكة ولم يسترد بوهيموند حريته إلا بعد أن ازدادت مخاوف ملك القدس من الطموحات الكبيرة لتانكرد ، وكان ذلك في سنة ٤٩٦هـ/١١٠٣م ، وعندما أسر بلدوين دي بورغ أمير الرها سنة

---

٤٨ .كومينوس (آنّا) : الإلكسياد ، مصدر سالف ، ص ١١٨ .

٤٩ .كومينوس (آنّا) : الالكسياد ، ص ١٥٣–١٥٧.

وأنطاكية هي من أمهات المدن واحدى أهم العواصم المشهورة في الثغور الشامية تتصف بطبيتها الجميلة وتقع الآن في تركيه، انظر: البغدادي (صفي الدين ت ٧٣٩هـ/ م) : مراصد الاطلاع على اسماء الأمكنة والبقاع تح علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، بيروت ، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢، ص ١٢٤ والتي تليها .

٥٠ -بوهيموند :يعود الى سلالة الفايكنغ الذين هبطوا الى أوروبا من الشمال (من النرويج)واستوطنوا في نورمانديا بفرنسا ، عرف بوهيموند بابن الكنيسة الرومانية وكان طموحا جادا ذا مواقف حاسمة وذكاء وقاد . كان يوهيموند مقاتل من الطراز الأول حيث قال عنه غروسيه : (مازال يتقد بغلواء أجداده ملوك البحر ويختزن جرأتهم المنقطعة النظير)انظر :غروسيه (رينيه) : - ملحمة الحروب الصليبية ، تر شاميه زغيب ، دار الهادي ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م ، ص٣٣ والتي تليها .

٤٩٧هـ/١١٠٤م[٥١] في معركة حرّان لم يقبل بوهيموند وابن أخته تانكرد دفع أي مبلغ لفك أسره ، وفي الحملة الصليبية الثانية عندما لم يلب الملك الفرنسي لويس السابع ما طلبه ريموند السانجيلي [٥٢] أمير أنطاكية بضرورة توسيع مملكته ، وأن يضم إليها بعض المدن مثل حلب ، وشيزر وغيرها من المدن وبعد أن استقبله استقبالاً رائعاً ، وأحاطه مع كل النبلاء بكل العناية والتقدير ، ريموند هذا بدأ يتململ وأبدى بشكل واضح كراهيته لتصرفات الملك ، وقام بالتآمر ضده بشكل مكشوف، كما اعتمد جميع الوسائل لإيذائه ، وقرر انتزاع زوجته اليانور منه بالقوة مع أنه كان عمها ، أو عن طريق التآمر ، وأبدت الملكة على الفور موافقتها ذلك أنها كانت امرأة مستهترة شبقة ، وكانت جميع أعمالها وتصرفاتها من قبل ومن بعد تؤكد ذلك وتبرهن أنها كانت طائشة غير مبالية مما يتنافى مع مكانتها الملكية حتى إنها لم تقم أي تقدير لميثاق الزواج وكان لها صلات بعمها ، ولم تكن مخلصة لزوجها .

وما إن اكتشف الملك هذه المؤامرات حتى اتّخذ الاحتياطات كافّة لحماية حياته ، والتصدي لخطط الأمير ، وقام بالإسراع بمغادرة أنطاكية سراً ، وعلى هذا فإن روعة مشاهدة الاستقبالات الحافلة ، والرائعة قد تغيرت تماماً، حيث إن البداية اختلفت كلياً عن النهاية ، فقد أحيط قدومه بالأبهة ، والاحتفاء ، وكانت مغادرته موسومة بالإهمال التام ، والتجاهل المطبق وعدم الاكتراث .

هذا مع كثير من الأحداث الأخرى التي حصلت في الحملة الصليبية الأولى ، وكذلك في الثانية والتي أثرت بشكل ، أو بآخر على نوعية تحقيق الأهداف الموضوعة ، وأّدت إلى الكثير من

---

[٥١] albrt di Aix: Historia Hierosolymiana,Tome ,IV Paris, 1897 p6 19. . رنسيمان (ستيفن) : تاريخ الحروب الصليبية ، ج ١، ص ٧٧ .

[٥٢] ريمون السانجيلي : هو نبيل فرنسي كان يمتلك شخصية مركّبة أثارت اعجاب الأتقياء والمنتقدين فقد كان حاد المزاج . قلق انفعالي متقلب بين الحماسة والنكوص لكنه يمتلك طموح رومانسي وتصلّب تقفل دونه كل أبواب الحوار . انظر : غروسيه (رينيه) : ملحمة الحروب الصليبية ، ص٣٦ .

الانتكاسات سالت خلالها دماء مهدورة في المكان غير المعلوم ، ولهدف غير الهدف المرسوم وحفرت عميقاً في النفوس ، وأثرت في الوقائع بشكل ملموس ، ورسمت في الواقع دلالات كان لها عميق الأثر فيما آلت إليه هذه الحملة ، أو تلك .

والسؤال المهّم هو هل أفاد الصليبيون من دروس هذه الصراعات فيما بعد ؟

وبصورة أوضح هل خلت الحملات التالية من الصراعات الصليبية الداخلية ؟

وهل كان لخسارة القدس وقْعٌ جعل الجميع ينصهرون في بوتقة استعادة الأرض المقدسة كما يُفترض.

هل اختفت صراعاتهم الداخلية في أوروبا ليحل بدلاً عنها الوفاق لاستعادة القبر المقدس ؟

أم هي لعبة الحرب ، والمصالح ، وأن اختلفت الساحات ؟

هل تناست البابوية حلمها الكبير في السيطرة على السلطتين الدينية والدنيوية ؟ أم أنها فرصة جديدة لتأكيدها على ذلك ؟

هل ما زالت أرض الشرق بروعتها ، وخيراتها تدغدغ أحلام القادة ، والنبلاء والمفلسين ؟

هل ما زالت مصر مفتاح العبور إلى الأرض المقدسة ؟

أم أنها مفتاح للسيطرة على التجارة بين الشرق والغرب ؟

هذه أسئلة ، وأسئلة أخرى أكثر عمقاً نطرحها للإجابة عنها من خلال البحث عن الصراعات الصليبية الداخلية إبّان الحملتين الثالثة والخامسة .

الفصل الأول .

الصراعات الصليبية الداخلية من بدايات الحملة الصليبية الثالثة

حتى سقوط عكّا بأيدي الصليبيين)

- : الدعوة للحملة الصليبية الثالثة

- : الصراع بين ملك القدس العتيق غي لويزنيان وكونرادمونتفيرات سيد صور .

- : الصراع بين ملك القدس غي لويزنيان وكونراد مونتفيرات قبل حصار عكّا

- : الصراع بين المركيز كونراد مونتفيرات والبيازنة .

- : غي لويزنيان في منطقة عكّا .

- : الصراع على وراثة العرش .

- : الصراعات الداخلية في الحملة قبل الوصول إلى عكّا .

- : الصراع الأنكلو – فرنسي في صقليّة .

- : الصراع بين البيازنة والجنوية من جهة وبين رتشارد قلب الأسد من جهة ثانية .

- : الصراع بين رتشارد قلب الأسد وبين امبراطور قبرص .

- : وصول فردريك دي سوابيا والاضطرابات الداخلية .

- : الصراع بين السيرجانتية والفرسان الذين يحاصرون عكّا – :

الصراع الأنكلو – فرنسي أثناء حصار عكّا.

الصراع في أثناء حصار عكّا :

قبل التحدث عن الصراعات الصليبية الداخلية في مملكة القدس نتعرف بشكل موجز إلى موقع وحدود هذه المملكة فقد امتدت حدودها الشرقية معظم سنين القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي من خليج العقبة مسايرةً البحر الميت ونهر الأردن إلى نهر الليطاني وعبره إلى الجبال اللبنانية.

وكانت حدودها الغربية هي البحر الأبيض المتوسط من الداروم (الدارون وهي دير البلح حالياً) جنوب غزة إلى نهر الكلب شمال بيروت[٥٣].

أما عن الصراعات الداخلية فكان لها مسوغاتهاعلى صعيد المعطيات الموضوعية ، وغير الموضوعية فمملكة القدس الصليبية مثل غيرها من الممالك والدول، لكن كان ما يميزها هو الطبيعة السكانية فيها، فالصليبيون الذين جاؤوا من وراء البحار أسسوا مملكة القدس [٥٤] على أسس اعتقدوا أنها كافية لأن تعيش، وتستمر طويلاً، لكن سرعان ما برهن الواقع أن الحقيقة غير ذلك،حيث جاءت انتصارات حطين ، وما تلاها لتزيل هذه المملكة بشكل شبه كامل، وعلى الرغم من كل ذلك لم يستطيع هؤلاء قراءة الواقع بصورة صحيحة ، والإفادة منه لبناء ما تهدم، بل أمعنوا في صراعاتهم الداخلية لأنها كانت محكومة بمجموعة من العوامل الداخلية والخارجية الموضوعية ، وغير الموضوعية التي أفصحت عن نفسها على شكل نزاعات، وصراعات بين

---

[٥٣] . سميث (جوناثان رايلي): الإسبتارية فرسان القديس يوحنا في بيت المقدس وقبرص، تر صبحي الجابي، مركز الدراسات العسكرية، دمشق ١٩٨٤، ص٢٥.

[٥٤] . الغزي (كامل): نهر الذهب في تاريخ حلب ، تعليق وتصحيح شوقي شعث ومحمود فاخوري ، دار القلم العربي ، حلب ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م ، ج٣، ص ٧٠-٧٣

- بردج (انتوني) : تاريخ الحروب الصليبية ، تر أحمد غسان سبانو، ونبيل جيرودي ، راجعه وقدم له د. سهيل زكار، دار قتيبة، دمشق، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م ص ١٠٧.

ابناء الدين الواحد، بل ربما بين ابناء البيت الواحد في مرات كثيرة ، على الرغم من كل ذلك لم تلتمس خيوط الحقيقة لهذه الخلافات، وهي كثيرة، وجديرة بالبحث لما لها من أهمية انعكست بشكل أو بآخر على كل مناحي حياة الصليبيين في هذه المنطقة لا بل على استمرارية وجودهم إضافة إلى تجلياتها الأخرى على كل مقومات الدولة ، والحياة. الأمر الذي يعيد الباحث إلى تتبع هذه الموضوعات من بداية الدعوة للحملة الصليبية الثالثة ، وما تلا ذلك من صراعات وخاصّة الصراعات الأنكلو – فرنسية ، ومن ثم الصراع على العرش، والصراع على المكاسب والمغانم، والصراع على الحيازات والإقطاعات.حيث يقول أحد مؤرخي الحروب الصليبية : (لم ينج أحد من الاشتراك في هذه الصراعات لا من رجال الدنيا ولا من رجال الدين فالجميع سمنوا وغلظوا واكتسوا شحماً، ومن بين غناهم، وترفهم ظهرت شرور الحماقات، وعندما أكلوا حتى شبعوا اقترفوا الزنا وحشدوا أنفسهم على شكل أرتال في مواخير الزانيات، حتى إنهم تدفقوا مثل الماء وسعوا وراء شهواتهم الجسدية .

ولم يصبّوا من إناء إلى إناء بل استلقوا مثل البهائم على روثهم، وكانوا مثل الخيول المعلوفة يصهل كل واحد منهم خلف زوجة جاره ولم يعودوا يرون الشمس ولقد أداروا عيونهم نحو الأرض لأنهم كانوا متكبرين، ومتعجرفين ورافضين، ومتمردين يقاتل أحدهم الآخر)[٥٥].

أما عن الأسباب التي أدت إلى هذه الخلافات والنزاعات فهي أكثر من أن تحصى ولم تكن كما صوّرتها بعض المصادر نتيجة للانحلال الأخلاقي والتراخي في أداء الواجبات الدينية إنما كانت أبعد من ذلك تندرج في إطار البحث عن الثروة والاستيلاء على أكبر قدر ممكن من الأرض ولو كان على حساب الآخرين، وعندما قرر غي لويزنيان ملك القدس العتيق التوجه إلى عكّا ، ومحاصرتها ، ومحاولة إعادتها إلى الصليبيين لتكون نواة لمملكته التي طرد منها، وسدّت في وجهه كافة أبوابها ، ومنع من دخول المدينة الوحيدة المتبقية منها صور، توجه معه الكثير من

---

[٥٥] . فتري (جاك دي): تاريخ القدس، ترجمة وتحقيق الدكتور سهيل زكار، دار الفكر ، دمشق ، ط١ ١٤٢١هـ/٢٠٠٠ م ، ص ١٨٩ والتي تليها .

الصليبيين إلى عكّا، وعلى الرغم من كل الحماسة التي أدت إلى إثارة الخلافات والصراعات القديمة بينهم ، فعندما تتضارب المصالح الشخصية يتم تجاوز كل المحرمات ، والمقدسات وتداس العهود، والمواثيق ، وتشن الحروب ، وتهرق الدماء في غير الاماكن التي جاءت من أجل أن تكون قرابينَ لها. نعم هي ثقافة تلك المرحلة، وربما كل المراحل عندما تنعدم القيم الأخلاقية ، والحكمة ، والموضوعية ، وقانونية أن الفرد في خدمة الجماعة، وقيمته بما يستطيع أن يقدم لها، وقيمة الجماعة بما تستطيع أن تحافظ على أفرداها في أحسن حال، وتلبي طموحاتهم، واحتياجاتهم بما يضمن بناء المجتمع السليم وتنميته وتطويره ؛ لذلك رأينا أنه ما إن حطت أقدام الملك غي على تراب عكّا حتى بدأ تضارب المصالح ودبّت الخلافات لسبب أو لآخر، وبرزت تجلياتها على الأرض، بشكل أو بآخر، وهذا ما سيتم البحث فيه من خلال الفقرات التالية .

.

الدعوة إلى الحملة الصليبية الثالثة : -

كيف انهارت مملكة القدس ؟ سؤالٌ مهّم . بل كيف فرّط الصليبيون بالقدس وفيها القبر المقدس العلامة الملموسة للدين الحق عندهم . كيف حدث هذا الأمر الذي شبهه أحد المؤرخين بالصاعقة في السماء الصافية[٥٦]. ما هي العوامل الموضوعية ، والذاتية التي أدّت إلى ذلك ؟ هل يعود ذلك إلى عبقرية صلاح الدين القيادية ورؤيته الاستراتيجية في الميدان العسكري ، أم أنه نتيجة لجهد كبير استطاع خلاله تحقيق الوحدة الداخلية في دولته ، واستثمر ذلك في صراعه مع الصليبيين.هل استطاع أن يوظف ما كانت عليه مملكة القدس من ضعف ، وإنهاك نتيجة الصراعات الداخلية فيما بين القادة والبارونات في معركته ضدهم ونجح بذلك . أم أن هذه الخلافات والصراعات الداخليةالتي مهّدت له الطريق ، وهيأت كل الظروف لتحقيق مهمته هل كانت المملكة تمتلك فعلاً كل مقومات الحياة والاستمرارية؟ أم أنها بنيت ونمت وتطورت اعتماداً على ما يأتيها من دعم وإمداد من الغرب الأوربي ، وبالتالي كانت تحمل في أحشائها بذور فنائها . هل كانت قادرة على إيجاد أسباب القوة والمنعة وبالتالي الاستقرار والازدهار أم أنها مثل الإشنيات تحتاج دائماً إلى ما تعيش على حسابه أو بحاجة دائمة إلى من يمدها بأسباب الحياة والوجود . ثم يأتي السؤال ربما الأخير: لماذا تأخرت النجدات الأوربية هذه المرة رغم الاستغاثات المتكررة ، ولماذا لم تأت في الوقت المناسب ؟

إن الإجابة عن تلك التساؤلات الكبيرة تجعل الباحث يقف ملياً أمام كل منها، لأنه جدير بالبحث والتنقيب. وإن الإجابة عن كل منها لربما يحمل جزءاً من الحقيقة التي يتم البحث عنها دائماً، والتي يُتلمس خيوطها عبر المكان والزمان من مملكة القدس التي انهارت بأسرع مما تصور قادة أوروبا الذين ساهموا في وجودها ومدّها بأسباب البقاء والحياة، فكيف أرسلت الاستغاثات ولماذا تأخرت النجدات ؟ هذا ما سنراه من خلال البحث .

---

[٥٦] . زاباروف (ميخائيل) : الصليبيون في الشرق ، ترجمة إلياس شاهين ، دار التقدم ، موسكو ، د . ط ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م،ص١٩٣. .

عمل صلاح الدين على إيجاد كل العوامل الموضوعية لتحقيق النصر في حطين ، فكانت الهزيمة ساحقة للصليبيين ، ولم يكن صعباً إتباعها باسترجاع بيت المقدس ، فأحدث ذلك زلزالاً كبيراً حطم كل الدعائم التي قامت عليها الدولة الصليبية في الشام ، ودوياً هائلاً في نفوس أهلها ، وأبعد من ذلك في نفوس من كانوا يمدونها بأسباب القوة والمنعة ينبوع حياتها وشريان استمراريتها في الغرب الأوربي الذي استفاق مع هول الصدمة . أحقاً انهارت الدولة الصليبية في الشرق ؟ أحقاً ماتت أحلام النبلاء في أرض اللبن والعسل ؟ أحقاً زال وجودهم من أرض الماء والخمر[٥٧]؟ نعم إنها الحقيقة التي دقّت ساعتها في مملكة بيت المقدس التي لم تستكمل استعداداتها على الوجه الأكمل ، على الرغم من الإحساس العميق بدنو حدوثها فالمؤشرات حاصلة والحوادث متواصلة ، وكلها ذات دلالة واحدة ، أنّ الأمور تجري إلى غير ما تشتهي مملكة القدس التي أرسلت الاستغاثة تلو الاستغاثة ، ودقت ناقوس الخطر ، وأرسلت الطلب تلو الطلب، لكن رياح أوروبا لم تجرِ بما تشتهي سفن مملكة القدس . لكن كيف حصل ذلك ؟

ما إن أحسّ الصليبيون بمظاهر الضعف وأفزعتهم بوادر الصراع الداخلي على العرش حتى بدؤوا بإرسال إشارات الاستغاثة وطلب المساعدة .

ففي سنة ٥٨١هـ/١١٨٥م وصل هرقل بطريرك القدس[٥٨] يرافقه روجر مقدم الداوية[٥٩] وروجيه دي ميلان مقدم الإسبتارية[٦٠] إلى البابا لوسيوس[٦١] طالبين النجدة والمساعدة في حل مسألة وراثة العرش في مملكة القدس الذي بدوره حمّلهم رسالة خاصة إلى هنري الثاني[٦٢] ملك إنكلترا ليكون

---

٥٧ . قيل ظهرت في إحدى قراها (قانا) معجزة من معجزة السيد المسيح عليه السلام، حيث تحول الماء إلى خمر، ويذكر سفر التثنيه حول أرض فلسطين وخيراتها أنها أرض جيدة ، أرض أنهار من عيون وغمار تنبع من البقاع والجبال، أرض حنطة وشعير وكرم وتين ورمان ، أرض زيتون وعسل . أرض ليس بالمسكنة تأكل فيها خبزا ، ولا يعوزك فيها شراء أرض حجارتها حديد ومن جبالها تحفر نحاساً . انظر : سفر التثنيه الإصحاح٨.

٥٨ . هرقل : بطريرك القدس (٥٧٦هـ/١١٨١م) .

٥٩ . روجر: مقدم الداوية ٥٧٢هـ/١١٧٧م . ٥٧٣هـ/١١٧٨م

٦٠ . روجيه دي ميلان : مقدم الإسبتارية. ٥٧٢هـ/ ١١٧٧م– ٥٨٣هـ/١١٨٧م .

٦١ . البابا لوسيوس : اعتلى الكرسي الرسولي (٥٧٦.٥٨١هـ)/(١١٨١. ١١٨٥م) .

٦٢ . هنري الثاني ملك بريطانيا (٥٤٩.٥٨٥هـ)/(١١٥٤.١١٨٩م) وهو ابن ماتيلدا من زواجها الثاني من جوفروا الفرنسي ، توفي ٥٨٥هـ/١١٩٨م ، أنظر تاريخ الأسرة الأنجيفية : ص ٩٥.

ملكاً لمملكة القدس ، حيث عملوا على استثارة همته وشجاعته ، وخاطبوا روحه وعقله عندما قالوا له : تَعَلّم الناس أن يتطلعوا إلى سلفكم كحماة لهم في محنهم ، وليس من دون مسوّغ أن نتقدم إليكم أنتم الذين ورثتم جميع فضائل أبيكم ، وكذلك مملكتهً[٦٣]، ثم قاموا بشرح ما حل بمملكة القدس، وما لاقته من عذابات ، وويلات ، وخصوا مدينة القدس بالكثير من العبارات الإنشائية الرائعة التي تفاعل معها الحضور، فأبكتهم وهيّجت عواطفهم آلام القدس وترانيم ميلاد الرب التي تناغمت مع إعطائهم مفاتيح الضريح المقدس الذي يشكو من صلاح الدين (ذلك المعذب الشرير الذي صار متطلعاًَ إلى أن يصب نهر الأردن في فمه)[٦٤] ، لكن كل ذلك لم يعط نتيجة ، فأوربا وما تعانيه من صراعات وحروب داخلية كفيلة بسدّ آذان الملوك والأمراء والنبلاء عن كل أصوات الاستغاثة.

إذن ، كيف كانت أحوال أوربا آنذاك ؟ وكيف كانت علاقات الدول مع بعضها ؟ وكيف كانت علاقتها مع البابوية ، وهل كانت هذه العلاقات تؤسس لحملة صليبية جديدة ؟

البحث في أوضاع أوروبا عند الدعوة للحملة الصليبية الثالثة يحتاج إلى متّسع من الوقت وكثير من الجهد ، لكن باختصار لم تكن أوروبا في أحسن أحوالها آنذاك ، بل كانت تعيش في أصعب الظروف من حروب داخلية إلى حروب بينية أنهكت كل الأطراف، وحملت جميع القوم للبحث عن حلول . فبريطانيا التي كان على رأسها هنري الثاني : وهو ابن ماتيلدا من زواجها الثاني من الأمير الفرنسي جوفري بلانتاجوني كونت مقاطعة أنجو في فرنسا[٦٥].

وماتيلدا هذه هي ابنة هنري الأول ملك بريطانيا الذي توفي دون ولد ذكر يرث المملكة من بعده ، فكانت ماتيلدا وريثته الشرعية . لكن بعض البريطانيّين رفضوا أن تحكمهم إمرأة ونصّبوا عليهم ابن أخت هنري الأول ستيفان كونت بلوا الانكليزية ، وعلى هذا نشبت الحروب الأهلية في بريطانيا بين المؤيدين والمعارضين ، واستمرت هذه الحروب مدة طويلة لكنها توقفت نتيجة عقد

٦٣ . وندوفر (روجراف) : ورود التاريخ ، ص ٣١٢.

٦٤ المصدر السالف : الصفحة نفسها .

٦٥ . تاريخ الأسرة الأنجيفية : مصدر سالف ،ص٦٠ .

اتفاق بين ستيفان وهنري على أن يكون ستيفان الملك ، وهنري وريثاً له ، وتوفي ستيفان سنة ٥٤٩هـ/ ١١٥٤م[٦٦]، وخلفه هنري الثاني الذي عمل على إضعاف نفوذ كبار الإقطاعيين في انكلترا ، وطوّر القضاء ، وأنشأ المحاكم التابعة للقصر الملكي وفرض ضريبة المجهود الحربي ليتخلص من الاعتماد على الإقطاعيين في جمع الأموال وعمل على تنظيم ما يسمى الجيش الشعبي، وأخضع الكنيسة الإنكليزية للسلطة المركزية[٦٧].

أما فرنسا وكان على رأسها فيليب أُغسطس الذي خلف والده لويس السابع على العرش الفرنسي سنة ٥٧٥هـ/١١٨٠م . عمل فيليب أُغسطس على مضاعفة أملاكه على حساب الممتلكات الإنكليزية في فرنسا ، وحساب كبار الإقطاعيين الفرنسيين . هادن الملك الإنكليزي لضرب كبار الإقطاعيين، وتحالف مع فردريك بربروسا ٥٨٣هـ/١١٨٧م ليستخدم هذا التحالف داخلياً وخارجياً ضد الإنكليز الذين يسيطرون على مساحات واسعة من الأراضي الفرنسية ، كما استغّل خروج أولاد الملك الإنكليزي هنري الثاني عليه ، وهم (هنري . رتشارد . جيوفري . حنا) ، وأخذ يؤازرهم لتضعيف سلطة والدهم .

أما الإمبراطورية الألمانية : فكانت تعيش مرحلة سلام بعد أن وصل فردريك بربروسا إلى الحكم . لأنه كان يجمع بين دم الأسرتين الجولفية ، والهوهنشتاوفيه اللتين كانتا تتصارعان داخلياً (لأن أمه هي أخت هنري المتكبر دوق سكسونيا وبافاريا وزعيم الأسرة الجولفية) وهذا أدى إلى إنهاء النزاعات بين الأسرتين الألمانيتين ، ولكن كان هناك عداء بينهم وبين الإمبراطورية البيزنطية بقيادة إسحق الثاني إنجيلوس ، وكان سبب ذلك هو التحالف بين فردريك بربروسا ، والنورمان أعداء الإمبراطورية البيزنطية[٦٨]، كما كان هناك تحالف بين ألمانيا، وفرنسا ضد بريطانيا كما

---

٦٦ – المصدر السالف : ص٦٠ –٩٤ .

٦٧ . المصدر السالف: ص٩٦ والتي تليها . – فرح (نعيم) ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى منشورات جامعة دمشق ، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م ، ص ١٦٥ .

فردريك بربروسا : هو إمبراطور الدولة الرومانية المقدسة في ٥٤٧هـ /١١٥٢م –٥٨٧هـ/١١٩م.انظر فرح (نعيم) : تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، ص٢٩١ .

٦٨ . عاشور (سعيد) : الحركة الصليبية ، الجزء الثاني ، ص ٦٦٥.

سلف ذكره ، ومن الجدير ذكره أيضاً أن الإمبراطور الألماني كان يعد الأرض المقدسة خاضعة لحكمه بموجب التخويل من الملك السرمدي ويحكم كونه الوصي على يهودا والسامرة وفلسطين . أما البابوية الطرف الأهم في هذه الحروب، كان على رأسها البابا أوربان الثالث ، وكان رجلاً مسناً مريضاً ما إن سمع بالهزائم الصليبية حتى مات كمداً ، وقد خلفه غريغوري الثامن كان مسناً أيضاً، لكنه تلقف الاستغاثة وبدأ بإرسال رسائل إلى الملوك والقادة والبارونات لكن القدر لم يسعفه ، حيث توفي بعد شهرين من تسلمه الكرسي الرسولي، فجرى تعيين كلمنت الثالث في السادس عشر من شوال سنة ٥٨٣هـ العشرين من كانون الأول ١١٨٧م[٦٩] . أما صقلية التي كان لها دورٌ كبير في الحروب الصليبة سواء من حيث المرور والعبور أم الإمداد والدعم المباشر، فكان عليها وليم الثاني لكنه كان كغيره أيضاً يعاني من الصراعات والحروب البينيّة (الداخلية) لذلك اضطر وليم هذا إلى عقد صلح مع الإمبراطورية البيزنطية ليتفرّغ للحرب للصليبية الجديدة . والآن بعد أن تم استعراض الأوضاع العامة في أوربا الغربية نعود إلى السؤال الأساسي كيف تمت الدعوة للحرب الصليبية الثالثة ؟

ما إن جاءت انتصارات حطين ، وما تلاها من فتوحات حتى تتالت الرسل على الغرب الصليبي تستنجده ، واستخدمت كافة الأساليب التي تستثير العواطف الدينية لاستعادة القبر المقدس، ومن أقوى الوسائل التي استخدمها كونراد الذي أصبح سيد صور في طلب النجدة ما

بعث به إلى الغرب وهي لوحة كبيرة جرى الطواف بها في أوروبا ، وهي تمثل القبر المقدس

وقد لوثته خيول المسلمين[٧٠].

ولم يكن ذلك هو الشكل الوحيد أو الطريقة الوحيدة بل تعددت الطرق وكثرت الوسائل فانهالت الرسائل من صليبيّي الأرض المقدسة إلى الغرب الأوربي طالبة النجدة والمعونة ، من ذلك

---

٦٩ . فتري (جاك دي) : تاريخ القدس ، ص ٦٨٢.

٧٠ – الكامل في التاريخ ، ج١٠، ص ٦٩ . – ابن واصل : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، الجزء الثاني ، ص ٢١٨ والتي تليها . – باركر (ارنست) : الحروب الصليبية ، ترجمة السيد الباز العريني ، دار النهضة ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص ٨٦.

رسالتهم في شهر جمادى الأول ٥٨٣هـ تموز ١١٨٧م ، إلى فردريك بربروسا يطلعونه[٧١] على ما جرى في مملكة القدس على يد صلاح الدين[٧٢]، ورسالة تيريكوس Terricus في آب من العام نفسه إلى البابا أوربان الثالث[٧٣]، وإلى جميع المسيحيين، وكذلك رسالة فيليب كونت فلاندرز التي يذكر فيها أن صلاح الدين يحاصر صور بعد انتصاره عليهم في حطين[٧٤]، ومن ثم أخذ البابا غريغري الثامن على عاتقه مسؤولية إثارة الروح الصليبية بين شعوب الغرب الأوربي ، فوجه رسالة إلى جميع المسيحيين يناشدهم فيها ضرورة ترك الخلافات والانقسامات حتى يتفرغ لرد بيت المقدس الذي استولى عليه صلاح الدين واعتدى على كل الأرض المقدسة ، وأسر حتى صليب الصلبوت ، ولم ينج من الإخوة الصليبيين في الأرض المقدسة إلا القليل، هذا وقد قام البابا بشرح مآسي الصليبيين في الشرق ، وطلب من المسيحيين أن يهبّوا لنجدة قبر السيد المسيح[٧٥] الذي يناديهم ، وفي جمادى الآخرة سنة ٥٨٣هـ آب من عام ١١٨٧م أرسل الإسبتارية إلى أرخمبالدو Archumbaldo رئيس إسبتارية إيطاليا يخبرونه أن جيش صلاح الدين قد هزم جيوش الصليبيين ، وأن الملك غي قد وقع في الأسر ، ومعه مقدم الداوية والكثير من النبلاء ، وقد استولى صلاح الدين على الكثير من المدن الصليبية[٧٦] ، وبطبيعة الحال كان لهذه الرسائل والاستغاثات أثرها في إثارة ملوك أوروبا ونبلائها من جهة ، ومن جهة أخرى فهي كانت تدل على أن الصليبيين في الشرق كانوا ينقلون إلى أوروبا تطورات الوضع في بلاد الشام ، وقد كان الإسبتارية من الذين سعوا إلى نقل الأخبار إلى أوروبا أولاً بأول ، إذ إنهم أرسلوا إلى ملك

---

٧١ . فردريك بربروسا : هو إمبراطور ألمانيا والدولةالرومانيةالمقدسة(٥٤٧.٥٨٦هـ)/(١١٥٢.١١٩م) أنظر : أرنول ذيل تاريخ وليم الصوري ، ص ٣٥٤-٣٥٦.

٧٢ .Rohrieht: regesta regni, no 658,p,175.

٧٣ . بابا الفاتيكان في (٥٨١.٥٨٣هـ/١١٨٥.١١٨٧م) انظر: فرح (نعيم) : تاريخ أوروبا السياسي في العصور الوسطى، ص ٢٨٩. – : الكامل في التاريخ ، م١٠ ، ص٣٩ . – العماد الأصفهاني (محمد) : الفتح القسي ، ص١٠٠-١٠٤. – أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ، ج٣ ، ص٢٦٦ . – ابن واصل : مفرج الكروب ، ج٢ ، ص٢٤٢ .

216 Williamm,of Tyer ,op , cit , vol 1 ,p .88 .

٧٥ . انظر نص رسالة البابا غريغوري الثامن في الملحق رقم ٢.

٧٦ . Rohriehtr: regesta regni, no 658,p,178 .

انكلترا في ذي القعدة ٥٨٤هـ كانون الثاني ١١٨٨م يشرحون فيه وضعهم ووضع مملكة القدس التي انهارت على يد صلاح الدين ، ويخبرونه أنهم رغم سوداوية هذا الوضع قد استطاعوا هزيمة صلاح الدين في ٢٦ شوال ٥٨٣هـ كانون الأول ١١٨٩م أمام صور ، كما أرسل أيضاً هيرمنجر Hermenger أحد وكلاء الإسبتارية إلى ليوبولد دوق النمسا يعلمه فيها أن صلاح الدين استولى على طرطوس بالإضافة إلى مدن أخرى ، هذا فضلاً عن الرسائل وطلبات الاستغاثة الأخرى الكثيرة ، وفي أواخر سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧ م قام كونراد بإرسال جوسياس Josias رئيس أساقفة صور إلى أوروبا الغربية ليطلب من البابوية وملوك الغرب وأمرائه النجدة العاجلة[٧٧].

ويروي ابن واصل في مفرج الكروب أن الرهبان ، والقساوسة في المدن الصليبية ببلاد الشام لبسوا الحداد بعد استيلاء صلاح الدين على بيت المقدس ، وأن بطرك القدس (والصحيح رئيس أساقفة صور) أخذ جماعة منهم إلى الغرب الأوربي ، وطاف بهم البلاد مستنجداً بأهلها حاثاً لهم على استرجاع القدس ، وقد صوروا السيّد المسيح عليه السلام و معه رجل عربي يضربه بعصا ، والدماء تسيل على وجه ، وقالوا : (هذا المسيح يضربه محمد نبيّ المسلمين وقد جرحه وقتله)[٧٨] ليستنفروا بذلك الناس لحرب صليبية جديدة ، وأوّل ما وصلت هذه السفينة إلى بلاد الملك وليم أي إلى صقلية ، وكان الملك وليم هذا متزوجاً من ابنة هنري الثاني ملك انكلترا[٧٩].

علم جوسياس أنه قريب من مكان وجود الملك وليم ، فذهب اليه وحدثّه عن الخسارة الفادحة التي حلّت بأرض القدس ، فتألم كثيراً ولاسيّما أنه كان يدرك أن له يداً طولى في هذه الخسارة عندما

---

٧٧ . أرنول ذيل تاريخ وليم الصوري ، (١١٨٤– ١١٩٧) : ص ٣٤١ . – الصلابي (علي محمد) : صلاح الدين الأيوبي وجهوده في تحرير بيت المقدس ، ص ٥٥٢ . – حمزة (عادل عبدالحافظ) : العلاقات السياسية بين الدولة الأيوبية والإمبراطورية الرومانية المقدسة زمن الحروب الصليبية ، ص١٣٠.

٧٨ . : الكامل في التاريخ ، م١٠، ص ٦٩ . – ابن واصل : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، ج٢ ص ٢٨٨ . – غنيم (اسمت) : الدولة الأيوبية والصليبيون ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، مصر ، ط١ ، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م ، ص ٤٦ . – النويري (شهاب الدين أحمد) : ، ج ٢٨، ص ٤١٦.

٧٩ . هي جوانا ابنة هنري الثاني واليانور الملتهبة ، ولدت جوانا سنة ٥٦٠هـ/١١٦٥م ، وتزوجت من وليم ملك صقلية في سن ٥٧١هـ/١١٧٦م، انظر تاريخ الأسرة الانجيفية ، ص١٢٠ –١٦٤.

وجه قواته ومعهم الحجاج من أوروبا لمحاربة القسطنطينية[٨٠]، وهكذا ضعفت مملكة القدس، وعانت ما عانته وخسرت كل شيء أمام صلاح الدين[٨١]، لذلك كان وليم الثاني ملك صقلية النورماني[٨٢]، أول من استجاب لتلك الدعوة، فعقد صلحاً مع البيزنطيين في محرم ٥٨٠هـ/١١٨٨م ، وأرسل إلى بقية ملوك أوروبا يدعوهم للتضامن معه في مشروع حملة صليبية جديدة، إضافة إلى أنه لم ينتظر رد أولئك الملوك وإنما بادر بإرسال أسطول يحمل بضع مئات من الفرسان إلى طرابلس تحت قيادة أمير البحر مارجريت البرنديزي[٨٣] الذي نجح في منع صلاح الدين من الاستيلاء على طرابلس ثم جهز أسطولاً كبيرا من الشواني[٨٤] ومن مختلف أنواع السفن . إلا أنه لم يستطع أن يساهم بشكل شخصي في الحملة الصليبية لأن القدر لم يمهله طويلاً [٨٥]، وهكذا يبدو أن النورمان الذين حملوا لواء الحملة الصليبية الأولى وأسّسوا إمارة أنطاكية كانوا على استعداد للقيام بدور مشابه في الحملة الصليبية الثالثة ، ولكن إنشغالهم بالحرب مع بيزنطة ، ومعاجلة القدر لوليم الثاني حال دون ذلك، وبناء عليه صار لا بد للغرب الأوروبي من الاعتماد على غير النورمان من ملوك الغرب لإنقاذ البقايا الصليبية بالشام[٨٦]، ويشار إلى أنّ وليم الثاني

---

٨٠ - ذيل تاريخ وليم الصوري : ص ٣٣٩.

٨١ . .Rohricht (Reinhold): Regesta Hiersoly mitani (MxcII) Berelini,1892,no 658,p175-176.

٨٢ . وليم الثاني ملك صقلية النورماني (٥٦١هـ/٥٨.١١٦٦.هـ/١١٨٤م) انظر : فرح (نعيم) : تاريخ أوروبا السياسي في العصور الوسطى ، ص ٣٠٠ .

٨٣ ـ مارجريت البرنديزي : هوقائد صقلي جم النشاط كبير الهمة أرسله ملك صقلية وليم الثاني على رأس خمسين بطسة لنجدة الصليبيين في الشرق فاستطاع السيطرة على البحر وخافه المسلمون خوفا شديدا حتى إنهم لم يجرؤوا – إلى حين – على الخروج إلى عرض البحر تجنبا للاصطدام به وخوفا أن تدور عليهم الدوائر انظر : الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين ورتشارد) ، تر حسن حبشي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، د . ط ،١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ج١، ص .٤٩

٨٤ -الشواني : وهي جمع شيني ، أو شينية وهي أقدم أنواع السفن الرومانيه وزادت أهميتها في العصور الوسطى وكانت من أكبر السفن ، وأكثرها استعمالاًلحمل المقاتلة ، وعلها ابراجاً وقلاعاً للدفاع والهجوم . وكان متوسط ما يحمل عليها من الرجال مائة وخمسون رجلاً .أنظر : ابن مماتي : قوانين الدواوين، ص٣٤٠ .

٨٥ . أرنول، ذيل تاريخ وليم الصوري ، مصدر سالف ، ص ٣٤٠ .

٨٦ . .Setton:Ahistory of The crusad,op,cit, vol I,p,38.

وقبل وفاته أعطى جوسياس[٨٧] رئيس أساقفة صور بعض الخيول ، وكل ما يلزم من نفقات للذهاب إلى روما ليشرح للبابا حقيقة موقف الصليبيين في بلاد الشام، ويقال : إن البابا أوربان الثالث كان مسناً ، ومريضاً فلم يحتمل الأخبار المؤلمة التي سمعها ، وتوفي حزناً وكمداً ، وكان ذلك في ٥٨٣هـ / تشرين الثاني ١١٨٧م[٨٨]. وخلفه البابا غريغوري الثامن وقد بادر البابا الجديد إلى توزيع منشور بابوي في سنة ٥٨٣ هـ/ ٢٩ تشرين الثاني ١١٨٧م ٥٨٣هـ من فيرارا إلى جميع ابناء الأمة الكاثوليك، ودعاهم إلى حملة صليبية جديدة ، وأمرهم بصيام يوم في الأسبوع لمدة خمسة سنوات كما أمرهم بالامتناع عن أكل اللحم مرتين في الأسبوع[٨٩].

وقد تميز في هذا المجال الكاردينال أنريكو من البانو الرئيس السابق لدير كليرفووالذي تفرغ نهائياً لنشر هذه الرسالة . حيث تخلى عن التاج الحبروي ، وبدأ بالمواعظ التي تدعو إلى الإيمان المطلق ، فهزيمة حطين وسقوط البيت المقدس كان حسب رأيه بسبب ضعف الإيمان المسيحي ، والذي شكّل السبب الرئيسي لكل تلك الهزائم والانتكاسات[٩٠].

إضافة إلى كل ذلك فقد أصدر البابا غريغوري الثامن استغاثة سريعة للقيام بحملة صليبية جديدة واعداً جميع الذين يأخذون الصليب بالصفح عن ذنوبهم ، وأنهم سيذهبون إلى الجنة إن قتلوا ، لكن القدر لم يسعف غريغوري لإتمام مهمته فقد مات في أقل من شهرين بعد تسلّمه البابوية ، ولم يرَ ثمار جهده ، بينما كان يحاول إقامة سلام بين البيازنة والجنوبيين كي تتحرر المدينتان ، مما بينهما من عداوات وتنضما إلى حملة

---

٨٧ . جوسياس: هو رئيس أساقفة صور في (٥٨٢هـ/١١٨٦ك،٥٨٩هـ/١٢٠٢م) أنظر: بشاوي (سعيد) : الممتلكات الصليبية في مملكة القدس الصليبية، ص ٤٦٤.

٨٨ . ذيل تاريخ وليم الصوري(١١٨٤– ١١٩٧ م) : مخطوطة مكتبة ليون رقم٨٢٨ ، ص٣٤١ . – بردج (أنتوني) : تاريخ الحروب الصليبية ، ص ١٩٩.

٨٩ . زابا روف (ميخائيل) : الصليبيون في الشرق ، ص ١٩٣ .

٩٠ . بالار (ميشيل) : الحملات الصليبية والشرق اللاتيني من القرن الحادي عشر إلى القرن الرابع عشر ص ١٩٢.

صليبية جديدة[٩١]. ثم جاء بعده على الكرسي الرسولي كلمنت الثالث الذي أسرع إلى الاتصال بالإمبراطور فردريك بربروسا الذي دعا إلى اجتماع حضره كل الأمراء وأعيان البلد وكبار رجال الإمبراطورية ، وفي هذا الاجتماع أطلق غودفري رئيس أساقفة روتسبورغ كلمات أثارت حماس الحاضرين وشجعتهم على الحرب ، وبدأت هذه الروح الحماسية تنتشر في كنائس ألمانيا وأرسلت البابوية مبعوثيها إلى كل مكان يشكون ، ويستنجدون ويستغيثون ويشرحون المصير الذي آل إليه حال الصليبيين في الشرق . حدث كل هذا في الوقت الذي انتقل فيه رئيس أساقفة صور جوسياس إلى الغرب لمقابلة ملكي فرنسا وإنكلترا[٩٢]، وقد رأى الجميع أن الخروج بحملة صليبية هو الوسيلة الوحيدة لاسترجاع القدس إلى سلطان الصليبيين، وعامل حيوي لجذب أكبر عدد من صليبي أوروبا ، فقد قالوا : (سعداء الذين سافروا إلى القدس ، وسعداء أكثر الذين لا يرجعون)[٩٣]. وهكذا أصبحت فكرة حملة صليبية جديدة ضد الشرق الإسلامي هي المسيطرة على جميع العقول في أوروبا المسيحية.

المبحث الثاني

الصراع بين ملك القدس العتيق غي لويزنيان ، وكونراد مونتفيرات سيد صور[٩٤]

---

[٩١] . ذيل تاريخ وليم الصوري : ص ٢٤٧ بردج (أنتوني) : تاريخ الحروب الصليبية ، ص ١٩٩ . – رنسيمان (ستيفن) : تاريخ الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٢٠٠ .

[٩٢] . ذيل تاريخ وليم الصوري : ص٢٤٧ . – رنسيمان (ستيفن) : تاريخ الحروب الصليبية ، ج٣، ص٢٠ . – عاشور (سعيد) : الحركة الصليبية ، الجزء الثاني ، ص ٦٦٤ .

[٩٣] . Michoud: Historie de croisades, Tome 2,p74

[٩٤] – كونراد مونتفيرات: هو ابن وليم الثالث مركيز مونتيفيرات من أسرة أيطالية ويتصل بصلة قرابة بالإمبراطور فردريك بربروسيا، وهو أيضاً شقيق وليم مونيتفيرات الذي كان زوجاً للأميرة سبيلا وريثة الملكة الصليبية، وقد تزعم كونراد قيادة الصليبيين في صور. أنظر: أرنول ذيل تاريخ وليم الصوري، ص٢٦٣ . – وليم الصوري: أعمال أنجزت فيما وراء البحار، ج٢، ص١٢٣ . – الحرب الصليبية

قبل أن نتحدث عن الصراع الكبير بين غي لويزنيان ، وما مثّله من حزب البوليان[٩٥] وبين كونراد مونتفيرات الذي جاء من وراء البحار طامعاً في أمجاد شخصية له ولأسرته من بعده، يجب أن نبحث في أمرين أساسين:

الأمر لأول : من هو كونراد ، وكيف وصل إلى المنطقة وأصبح سيداً لصور ؟

الأمر الثاني : كيف أطلق سراح غي لويزنيان من الأسر ، وكيف جاء ليطالب بمملكته.

أ- نبدأ البحث بالأمر الأول لأن الإجابة عن هذا التساؤل من هو كونراد ؟ وكيف وصل إلى المنطقة ؟ وكيف أصبح سيداً لصور ؟ أسئلة تساعد في الدخول إلى موضوع الصراع بين غي وكونراد .

وكونراد مونتفيرات هذا هو ابن المركيز وليم الثالث[٩٦] (بونيفيس) ، وهو من أصول إيطالية ووالده وليم كان أسيراً حتى ذلك الوقت عند صلاح الدين .

جاء كونراد مع دفعة من الصليبيين بقصد الحج إلى الأراضي المقدسة ، لكن الظروف أجبرته على البقاء في القسطنطينية ، حيث كرّم هناك تكريماً عظيماً لأنه حسب ما قال عنه ابن شداد: (رجل ذو رأي، وبأس شديد في دينه ، وصرامة عظيمة)[٩٧]، وقال عنه أبو شامة : (وكان المركيز من أكبر طواغيت الكفر ، وأغوى شياطينه ، وأضرى سراحينة)[٩٨]. حيث حاول

الثالثة (صلاح الدين وريتشارد) : الجزء الأول، ص ٣٩٩ والتي تليها . – حامد زيان ، الإمبراطور فردريك الأول بربروسا والحملة الصليبية الثالثة ، القاهرة١٩٧٧، ص ٥ والتي تليها.

[٩٥] البوليان: هومصطلح استخدمه الكتاب الغربيون ليدل على الصليبيين المولدين في الأرض المقدسه والذين استقروا فيها تمييزالهم عن بقية الصليبيين الذين يجيؤون ثم يرحلون . انظر : بالار (ميشيل) : الحملات الصليبية والشرق اللاتيني من القرن الحادي عشر الى القرن الرابع عشر ، تر بشير السباعي ، عين للدراسات والبحوث الانسانيهوالاجتماعيه ، القاهره ، ط١ ،١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص١٥٦ .

٩٦ – ذيل تاريخ وليم الصوري ، ص٢٦٣ – غروسيه (رينيه) : الحرب الصليبية صراع الشرق والغرب، ترجمة أحمد ايبيش دار قتيبة ، دمشق ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص ٦٦.

٩٧ . النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية : ص ١٠٦. – الفتح القسي في الفتح القدسي ، ص١٠٣ . – – – مراة الزمان في تاريخ الاعيان ، ج٨ ، ص٤٠٠ .

_باركر(أرنست) : الحروب الصليبية ، تر السيد الباز العريني ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط ٤ ، د . ت ، ص٨٦ .

٩٨ . السرحان : هو الذئب ، أنظر: الروضتين ، ج٣، ص ٢٠٨ – مفرج الكروب ، ج ٢، ص ٢٠٧ والتي تليها .

إمبراطور القسطنطينية اسحاق الثاني أنجيلوس[٩٩] إبقاءه في القسطنطينية ، وبعد دخوله في لعبة الصراع على السلطة هناك، وقيامه بقتل ليفرناس اقرأ (أليكس برناس)[١٠٠] ، الأمر الذي أوجد له عداوة كبيرة ، حيث هدّده أهل ليفرناس ، لكن الإمبراطور قربّه ، وحماه ، وزوّجه أخته مكافأة له على قتل ليفرناس ، وفي الوقت نفسه كان الإمبراطور يحسب له ألف حساب ، بل كان يخاف منه لأنه ، وكما أسلفنا رجل شجاع باسل ، وربما تغريه السلطة ، أو يتحول ولاؤه إلى غيره فقرر الإمبراطور انتزاع عيني كونراد حتى يتخلص من دهائه وذكائه وشجاعته وطموحاته . لكن زوجته (أخت الإمبراطور) ، التي كانت تحب زوجها ، أخبرته بما يخطط له أخوها الإمبراطور من أذى ، فما كان منه ، إلا أن استدعى فرسانه الذين جاؤوا معه ، وأخبرهم بما يخطط الإمبراطور لهم جميعاً ، وله بشكل شخصي، وقرّر أن يغادر مع فرسانه باتجاه القدس ووضع خطة محكمة تتلخص بطلب الفرسان من كونراد أن يغادروا للذهاب إلى القدس من أجل إتمام ما جاؤوا من أجله (الحج) ، وألا يقبلوا أيّة إغراءات ، أو وعود لأن الموت وسمل العيون ينتظرهم[١٠١]، وفي اليوم التالي ، وبعد أداء التحية المعتادة للإمبراطور طلبوا من كونراد الإذن بالمغادرة إلى الديار المقدسة لأداء الحج ، وقام كونراد بتمثيل دوره كاملاً فترجّاهم أن يبقوا عند الإمبراطور، لكنهم رفضوا ، وأخبر كونراد بدوره الإمبراطور بطلب هؤلاء الفرسان بالمغادرة ، ففوجئ كيرساك بهذا الطلب ، وحاول أن يقف على الأسباب والدوافع وقدّم لهم إغراءات كبيرة من أجل أن يبقوا عنده ، لأنه كان بحاجة إليهم لكنهم رفضوا أن يبقوا يوماً واحداً أكثر مما بقوا ، وتابع المركيز كونراد التمثيل على الإمبراطور، وقال له : إنّهم وعدوه بالعودة إليه بعد أدائهم فريضة الحج ، وأنه باق عند الإمبراطور حتى عودتهم . عندها فقط قبل الإمبراطور هذا الوعد ،

---

[٩٩] -اسحق الثاني أنجيلوس: هو امبراطور بيزنطة في (٥٨١هـ/١١٨٥م – ٥٩١هـ/١١٩٥م) .

[١٠٠] - ليفرناس (أليكس برناس) : هو قائد بيزنطي أرسله الامبراطور اسحق الثاني أنجيلوسلمحاربة النورمانديين عندما أحدق خطرهم على الدولة البيزنطية فانتصر عليهم وطردهم من مدينة تسالونيك وغيرها من المواقع البيزنطيه لكن ليفرناس هذا عندما شعر بقوته تزعم ثورة نشبت في القسطنطينيه ضد حكم الامبراطور غير أنّ تلك الثورة أخفقت نتيجة تدخل الصليبيين (كونراد) حيث استطاع كونراد أنذاك من قتل ليفرناس فأصبح مقربا من الاميراطور الذي كافأه بتزويجه أخته . انظر : فرح (نعيم) : تاريخ بيزنطه السياسي ، منشورات جامعة دمشق ، مطبعة الاتحاد ،ص٣٠٠ .

١٠١ . أرنول، ذيل تاريخ وليم الصوري ، ص ٣٠٨ .

وأعطاهم الإذن بالمغادرة، فتجهّزوا ، وكان عند الإمبراطور قطعة بحرية لأهالي بيزا تريد الذهاب إلى سورية ، فطلب من البيزيين نقل هؤلاء الفرسان بعد أن زوّدهم بما يلزم للسفر . والمركيز أعطاهم ، كل ما يملك من أموال في القسطنيطينة ليس كرماً ، إنما تخطيطاً [١٠٢]. وعندما جهزت السفينة للإقلاع حاول كونراد إكمال ما خطط له ، فطلب من الإمبراطور الإذن بالذهاب إلى السفينة لأنه نسي أن يعطيهم بعض الأغراض الخاصة لوالده ، وعمه الموجودين هناك في سورية ، وفعلاً أعطاه الأذن ، وركب المركيز في زورق ، وذهب إلى السفينة التي أقلعت به ، وبفرسانه فوراً باتجاه عكّا . وعندما وصل إلى عكّا ، وكان لا يعرف ماذا حلَّ بها وبمملكة القدس التي لم يبق منها إلا صور[١٠٣]، رابه بل أخافه ما رأى من ترك عوائد الصليبيين عند وصول المراكب من إظهار ألوان الفرح ، والابتهاج وقرع الأجراس وغير ذلكً ، وما رأى من زي أهل البلد فوقف ، ولم يدر ما الخبر، وكانت الريح قد ركدت فأرسل الملك الأفضل ابن صلاح الدين بعض أصحابه ليبصروا من هو ومن يريدً [١٠٤]. وعندما أدرك ما حل بمملكة القدس وأهلها طلب من الأشخاص الذين أرسلهم الأفضل السماح له بما معه من متاع ومال بالدخول على عكّا فهو قد جاء اليها في تجارة ، فطلب له الإذن ، وأجيب إلى طلبه لكنه تحايل وكان كل مرة يطلب طلباً جديداً حتى سمحت له الظروف ، وهبت رياحه ، وسار إلى صور ، ولم تستطع شواني الملك الأفضل إدراكه ، وعندما وصل إلى صور ، كان أهلها قد شرعوا في مراسلة صلاح الدين ليطلبوا منه

---

١٠٢ – أرنول ، ذيل تاريخ وليم الصوري ، ص ٣٠٩ والتي تليها .

١٠٣ .الفتح القسي في الفتح القسي : ص ٧١ والتي تليها . ------

الروضتين في أخبار الدولتين : ج٤ ، ص٢٠٦ . – ---

مفرج الكروب في أخبار بني ايوب :الجزء الثاني ،ص٢٠٧ والتي تليها. – – –

ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ت ٨٠٨هـ/١٤٥٥م) : تاريخ ابن خلدون ، ٧ اجزاء ،مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، د ط ،١٣٩١هـ/١٩٧١م،ج٥،ص٣٠٨. – – – الحرب

الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد قلب الأسد) : ج١ ، ص ٣٩ والتي تليها .

١٠٤ . الكامل في التاريخ : المجلد العاشرص ١٥٢. –

الفتح القسي في الفتح الدسي ، ص٧١ . –

الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين ورتشارد) : الجزء الأول، ص ٣٩ والتي تليها .

الأمان لتسليمها إليه بعد أن اشتدّ بهم الجوع ، وانخفضت روحهم المعنوية[١٠٥]. وما إن سمعوا بوصول سفينة جديدة ، وعرفوا أنّ بها كونراد مونتفرات ، حتى ابتهجوا كثيراً وذهب عدد كبير من أهل المدينة إليه ، ورجوه أن يلتحق بهم، وأن يأتي لإنقاذ المدينة ، لا بل هددوه إذا لم يستجب لطلباتهم، فإنهم سيسلمونها إلى صلاح الدين ، فاستجاب كونراد لأهل المدينة، لكنه اشترط أن تكون له ، ولأولاده من بعده[١٠٦] فقبل أهل المدينة عرض كونراد وأقسموا له ، ولأولاده من بعده ، فنزل المركيز ، فقويت نفوس أهلها به ، لأنه وكما قال ابن الأثير : (كان من شياطين الإنس حسن التدبير.... له شجاعة عظيمة)[١٠٧]، وأقيمت له احتفالات كبيرة عبّر فيها أهل صور عن سعادتهم بوصوله، وأملهم في أن يشكّل ضمانة للصليبيين وإعادة أمجادهم ، وعندها هرب رينو صاحب صيدا الذي كان يفاوض صلاح الدين لتسليم صور، وذهب إلى طرابلس فغدا كونراد سيداً لصور، وبدأ مباشرة بتحصينها بما جاء به من أموال، وبمساعدة الجنوية الذين وقفوا على جانبه باستمرار ، لأنهم رأوا فيه أملاً في استعادة مصالحهم وامتيازاتهم في مدن الساحل السوري[١٠٨]، كما قام بضبط أمورها ، وحفر حولها خندقاً من البحر إلى البحر[١٠٩]، وهكذا أصبح كونراد سيد صور القوي ، وقبل الحديث عن الصراع بينه وبين الملك غي لويزنيان لا بدّ من العودة إلى النقطة الثانية وهي كيف خرج غي من الأسر .

---

[١٠٥] . ابن الأثير : المصدر السالف ، المجلد العاشر ، ص ١٥٣ . – العيني (بدر الدين) : عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، ص ٢٩٠ . – ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ، ج٢٨ ، ص ٧٣ .– عاشور(سعيد) : تاريخ الحركة الصليبية ، الجزء الثاني ، ص ٦٦ . – السرياني (القس إسحق أرملة) : الحروب الصليبية في الآثار السريانية ، ص ١٧٩ .

[١٠٦] . أرنول ذيل تاريخ وليم الصوري : ص ٣١١ . – ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٣٢٤ .– العماد الأصفهاني : الفتح القسي ،ص١٠٩ . – براور (يوشع) : عالم الصليبيين ، ص٦١ .

[١٠٧] . ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، المجلد العاشر ، ص ١٥٣ .– ابن الوردي (زين الدين عمر): تاريخ ابن ا لوردي ، ج ٢، ص ٩٥ .

[١٠٨] . كلاري (روبرت دي) : مذكرات روبرت دي كلاري ، تر حسن حبشي ، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ، د .ط ، د. ت ، ص٩٥ .

[١٠٩] . العيني (بدر الدين) : عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، ص ٢٩٧.

لقد تم التوضيح سالفاً أن الملك غي قد أسر في حطين مع الكثير من النبلاء والقادة ، وقد عومل من قبل صلاح الدين معاملة طيبة ، وكان صلاح الدين قد اتبع سياسة حكيمة في تعامله مع أسراه ، وأراد أن يستفيد من هؤلاء في الطلب منهم أن يدعوا فرسانهم ، وتابعيهم في المناطق الحصينة إلى تسليمها مقابل فك أسر قائد أو أمير أو ملك . وعندما حوصرت مدينة عسقلان طلب من الملك غي مخاطبة الحامية الموجودة فيها تسليم المدينة مقابل إطلاق سراحه، لكن كان رد الحامية وكما قال ابن الأثير: رداً قبيحاً[١١٠]، مما استدعى الحصار القاسي والمرير واستعمال شتى أنواع الحروب وخاصة النفسية[١١١] منها جنباً إلى جنب مع ضربات المنجنيق، وبالنهاية قبلوا أن يسلموا المدينة بعد أن يئسوا من استمرارية القتال ، ولكن غي بقي بعدها زمناً في أسر صلاح الدين حتى طالبت زوجته سيبيلا صلاح الدين بالوفاء بوعده وإطلاق سراح زوجها الأسير حسب الاتفاقية التي تمت بينه وبين الأمراء أثناء حصار عسقلان ، فأجابها الملك الناصر إلى ذلك ، وكان آنذاك يحاصر حصن الأكراد[١١٢]، وطلب إرسال الملك غي لويزنيان مع بعض الأسرى من دمشق إلى أنطرطوس (طرطوس) ، وهنا أخذ عليهم أيماناً مغلظة بألا يحملوا السلاح ضد الجيوش المسلمة ، وأن يركبوا البحر مغادرين خارج البلاد ، وأن يخلع الملك نفسه من الملك، وفعلاً هذا ما تم حيث ركب غي لويزنيان البحر لكن ليس للبر بقسمه ، والعودة إلى بلاده، إنما إلى أرواد ، والعودة ليتحلل من قسم أداه لصلاح الدين ، غير أن رجال الدين المسيحيين قد حللوا

---

١١٠ . الكامل في التاريخ : المجلد العاشر، ص ٥٨٣ . – الفتح القسي في الفتح القدسي : ص٧٣ .

١١١ . الحرب النفسية : هي استعمال الأفكار للسيطرة على العدو وتدمير معنوياته/ من دون إطلاق نار وأحياناً مترافقة مع النار/ وصولاً إلى تحقيق الهدف.

١١٢ . النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية : ص١٥٣ . – أقيم حصن الأكراد لتغطية الثغرة الواقعة بين كونتيه طرابلس الصليبية وبين مدينيتي حمص وحماه ، يتمتع حصن الأكراد بموانع أولها خندق حول الحصن ثم سور خارجي وآخر داخلي وثلاثة أبراج كبيرة ، كان كل منها بمثابة قلعة صغيرة ، وكان السور الداخلي أكثر ارتفاعاً من السور الخارجي الملاصق له مما مكن الجنود من مهاجمة العدو ، أعاد الاستباريه بناء هذه القلعة فجعلوا فيها ساحتين كبيريتين وأبواباً منيعة ، ومدخل القلعة مصمم بحيث أن الداخل إليها عليه أن يمر في طريق معرقل ، وكان لحصن الأكراد مداخل سرية حتى تتمكن الحامية من الخروج أو تلقي الرسائل بسهولة بعيداً عن عيون المحاصرين، كما كان للحصن جسر متحرك وخندق خارجي ومشربيات حجرية إلى جانب ما يسمى المتراس ، والحصن كله محاط من جهات ثلاث بموانع طبيعية ، وحصن الأكراد يسمى اليوم قلعة الحصن .

غي من قسمه ، هذا باعتباره أداه تحت الإكراه ولغير مسيحي ، وأنه لا يجوز المحافظة على العهود في الحالة التي يكون فيها الوطن بخطر ، وباعتبار أن أرض الميعاد قد أصبحت بيد الكفار ، وهي تستنهض وتستنجد وتستجير ، وأنه ليس على رأسها ملك أو حاكم وليس للحجاج الذين سيأتون قائد ولا يوجد للناس من يحميهم، فإنه من غير المفيد للمملكة ، ولا للشعب ، ولا للأرض المقدسة المحافظة على هكذا قسم[١١٣].

الصراع بين غي لويزنيان وكونراد مونتفيرات قبل حصار عكّا

بعد أن أطلق صلاح الدين الأيوبي سراح الملك غي لويزنيان من الأسر، وكان ذلك في ٥٨٤ هـ /شهر تموز ١١٨٨م مع حاشيته التي ضمت عشرة من أعيان الصليبيين ليكونوا رفاقاً وبطانه له[١١٤]. ذهب إلى طرابلس حيث أنصاره الذين التفوا حول زوجته سيبيلا التي جاءت إلى طرابلس حيث كان فيها عدو زوجها التقليدي ريموند الثالث . لكنه كان مريضاً، وبعد أن فارق الحياة ، أصبح بوهيموند الرابع بن بوهيمند الثالث صاحباً لطرابلس[١١٥]لكن من المفيد للبحث طرح السؤال التالي : باعتبار أن بوهيموند الرابع هو ابن عم صاحب طرابلس ريموند الثالث العدو التقيلدي

---

[١١٣] . وندوفر (روجر أوف) : ورود التاريخ ، ص ٣٢٧ .

– أرنول ذيل تاريخ وليم الصوري : ص٢٥٣ . باركر (ارنست) : الحروب الصليبية ، ص٨٧ .

– بردج (أنتوني) : تاريخ الحروب الصليبية ، ص٢.٨ . –عاشور (سعيد) : الحركة الصليبيةصفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الاسلامي ، ج٢ ، ص٦٧ .

[١١٤] . الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين الأيوبي وريتشارد) : الجزء الأول ، ص٤٧ . GROUSSET OP, CIT,vol 3, p18 .

.

[١١٥] . كان ريموند الثالث قد أوصى بكونتية طرابلس إلى ابنه بالمعمودية الابن الأكبر لبوهميوند الثالث ، لكن الأخيروبعد وفاة ريموند الثالث لم يرسل ابنه إلى طرابلس بسبب حاجته له في أنطاكية ، وأرسل ابنه الأصغر المدعو أيضاً بوهيموند تحت اسم بوهيموند الرابع الذي أصبح كونت لطرابلس .

لغي لويزنيان ، فيكف سمح بوهيموند هذا لأنصار سيبيلا من رجال غي لويزنيان أن يوجدوا في طرابلس ، ويلتفوا حول سيبيلا .

ألم يحسب لذلك أي حساب ؟ الإجابة عن هكذا سؤال تتعلق بمعرفة أوضاع الكونتية نفسها وشخصية الكونت الجديد (بوهيموند الرابع) . حيث عمل على تعزيز حدود طرابلس وصيانتها وربما فكر بالإفادة من هؤلاء وقوّتهم في هذا الإطار ، وبالتالي فوجودهم عنده ضرورة موضوعيه فرضتها طبيعة الصراع مع العدو وضرورة حماية حدود الكونتيه ، وبالتالي فهوبحاجة لهم ، و ممتن لوجودهم ، أو أنه رجل اليوم . لم يفكر بما جرى بالأمس ، ويريد أن يفتح صفحة جديدة مع الجميع . أو أنه لم ينطلق من مواقف مسبقه تجاه أحد وأن الجميع عنده سواسيه وقيمة كل واحد منهم بمقدار ما يقدم للجميع وللوطن من خدمات م وهذه احدى الفرضيات / أو أنه . وحسب ما وصفته بعض المراجع . متكاسل متراخ ولا مبال ، لا يهتم بكل هذه الأمور[١١٦]. إذاً غي لويزنيان أصبح الآن في طرابلس التي كان لها دائماً موقف منه ، لكن بوهيموند الرابع الذي أصبح سيداً لطرابلس لم يكن له الموقف نفسه ، لكن أيضاً يجب ألا يعوّل عليه كثيراً في المواقف الصعبة مع ما عرف عنه من صفات ، لذلك ذهب غي لويزنيان إلى أنطاكية[١١٧] بعد أن دعاه صاحبها إلى زيارتها على الرغم من أنه كان متحالفاً مع ريموند الثالث، لكن يبدو الآن أن التحالفات قد تغيرت . في هذا الوقت وصلت مجموعة من الصليبيين ، وعلى رأسها غودفريدي لويزنيان أخو الملك غي ، ومعه أندور دي برن . وكان رفيق سلاح لغودفري، ورافقهما عدد من الفرسان ، وعندما وصلوا إلى مدينة صور سمعوا بما حلّ بالمملكة والملك فتألموا كثيراً وسألوا كيف يستطيعون **أن** يجدوا الملك غي ؟ فقيل لهم : إنه في أنطاكية فذهبوا إليها والتقوا به هناك

---

[١١٦] . رنسيمان (ستيفن) : تاريخ الحروب الصليبية ، الجزء الثالث ، ص ٢٠٠ .

[١١٧] . أنطاكية : من أمهات المدن وأحد أهم العواصم المشهورة في الثغور الشامية ، تتصف بطبيعتها الجميلة والسياحية ، وهي مدينة عربية محتلة تقع الآن في تركيا .

أنظر البغدادي (صفي الدين ت ٧٣٩هـ/١٣٣٩م) : مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، تح ، علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م ، ص ١٢٤ والتي تليها .

فرح الملك غي بقدومهم فرحاً كبيراً ، وبعد التشاور فيما بينهم قرّر غي لويزينان : أن يذهب إلى صور ، ومنها ينطلق لاستعادة المدن الأخرى من مملكته المفقودة . وهنا لا أدري إن كان صلاح الدين قد خطط للإفادة من إطلاق سراح الملك الأسير حتى يبدأ الصراع من جديد في الجبهة الصليبية الداخلية ، أو على وجه أدق بين الملك غي لويزنيان وخصومه وبالتالي يضعف الجبهة الصليبية ويفتتها ، وخاصة في صور التي تجمّع فيها الكثير من الفرسان والمقاتلين ممن نجوا من المعارك التي خاضوها ضد صلاح الدين في المدن الأخرى بالإضافة إلى أنه قد تهيأ لهم قائد لديه إمكانيات مادية وعسكرية هو كونراد مونتفيرات ، وبكل الحالات فقد استفاد صلاح الدين من هذا الموضوع (اطلاق سراح غي) في شق صفوف الصليبيين فما إن وصل غي لويزنيان إلى أبواب صور حتى تعّقد الموقف فيها ، حيث رفض كونراد مونتفيرات أن يسمح لملك بيت المقدس بدخول المدينة التي تعدّ تابعة له ومن أملاكه[١١٨]، وهكذا بقي غي لويزنيان خارج أبواب صور ، ومعه زوجته الملكة سيبيلا يستجير ويطالب بدخول المدينة، لكن كان الرد قوياً من كونراد أنّ هذه المدينة لم تعد مدينة غي ، وأنه فقد مملكته، وأن كونراد نائب الملوك الذين وراء البحر ، وهم لم يأذنوا له بتسليم المدينة إلى أحد وطالت المراجعة لكن دون فائدة[١١٩] ، السؤال الذي يتبادر إلى الذهن : هل كان سكان صور جميعهم راضين عن تصرف المركيز كونراد ؟ الإجابة عن هذا السؤال بالتأكيد لم يكونوا كلهم راضين ، والدليل على ذلك أن الكثير منهم التحقوا بجيش غي لويزنيان الذي جاء متوجهاً إلى عكّا ، إضافة إلى الصراع الدموي الذي

---

[١١٨] . M aechoud ,op, cit, vol II,p.256. – مفرج الكروب : الجزء الثاني ، ص ٢٨٤ .– رنسيمان (ستيفن) : تاريخ الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٢٠.

.– باركر (ارنست) : الحروب الصليبية ،ص٨٦ –٨٨ .– بردح (أنتوني) : تاريخ الحروب الصليبية ،ص٢.٨ . - Grousset : op ,cit , 18 – عاشور(سعيد) :الحركة الصليبية ، ج٢ ، ص٦٧١ .

[١١٩] تاريخ هرقل : ج٢ ، ص١٢٤ .

حدث بين المركيز وبين البيازنة ، والذي سيتم التحدث عنه في الفقرة التالية .

الصراع بين المركيز والبيازنة:

كنّا نسمع دائماً عن الكثير من الصراعات التي تجري بين البيازنة والجنوية نتيجة للتنافس الكبير على المصالح التجارية ، وبعد سقوط القدس بيد صلاح الدين ٥٨٣هـ/١١٨٧م . تجدد الصراع بشكل لافت والسبب في ذلك أنّهم فقدوا الكثير من الامتيازات في مدن الساحل الفلسطيني، غير أنّه من الانتصارات التي حققها البابا غريغوري الثامن أثناء المدة القصيرة التي تولى فيها البابوية ما دار من مفاوضات لإيقاف الحرب بين الطرفين ، وبعدها بذل البيازنة الوعد بإرسال أسطول للاشتراك في الحرب الصليبية ، وخرجوا إليها فعلاً قبل نهاية سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م[١٢٠]، ووصل أسطول مؤلف من اثنتين وخمسين سفينة بقيادة يبالدو[١٢١] رئيس أساقفة بيزا تجاه صور في ٥٨٥هـ/ ٦ نيسان ١١٨٩م ، واستقروا في صور ، حيث كان لهم قسم غير ضئيل من المدينة ، غير أن يبالدو فيما يبدو قد تشاجر مع كونراد لأسباب غير معروفة ، ربما لم يكن راضياً عن طريقة تصرف كونراد في التعامل مع الآخرين وخاصة الملك غي لأنه انحاز إليه بمجرد وصوله إلى قبالة صور ، حيث يؤكد المؤلف المجهول لكتاب الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد) أنه كان للبيازنة رأي آخر غير رأي كونراد في قضية السيادة على المدينة ، وعدوا ذلك خيانة، وأنكروا على أنفسهم أن يساهموا في هذه الخيانة ، ورفضوا أن يكونوا شركاء لمدبّريها[١٢٢] فثاروا ضد سياسة كونراد واستقووا بما وصل من سفن وقوات ، وأرادوا أن يحافظوا على حقوق الملك المشروعة في الدخول إلى مملكته ، فكره المركيز من البيازنة موقفهم هذا فهاجمهم ، وأنزل بهم كثيراً من الخسائر الفادحة ، وأراد أن يشعل فتنة

---

120 . LANE POOL :SALADIN , LONDON ,1898 P126.

صبرة (عفاف) : العلاقات بين الشرق والغرب ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، د . ط ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م ، ص٣٦ .

١٢١ . يبالدو: رئيس أساقفة بيزا

١٢٢ . الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد) : ج١، ص ٨٨ .

صليبية[١٢٣] لكن يبالدو كان على درجة كبيرة من الحكمة والرويّة والشجاعة، فالتزم الهدوء وآثر عدم الاصطدام في تلك اللحظات العصيبة التي من المفترض أن يكونوا يداً واحدة، وغادروا المدينة ، وذهبوا إلى الجموع التي كان يحشدها خارج المدينة غي لويزنيان ، وانضمّ اليهم في حملتهم هذه كثير من الألمان الشرفاء ، والأخوة الطبرانيون ، وكانوا من أكثر الصليبيين البولان إخلاصاً[١٢٤]. ونيتجة لهذه الأحداث وغيرها وقع المركيز فريسة للمرض الشديد الذي كان يعاوده بين آن وآخر ، وإن كان في هذه المرّة أشد من كل ما سبق ، وساءت ظنونه بمن حوله حتى خُيّل إليه أنهم دسوا له السم في الشراب ،فأصدر قراراً شنيعاً ضد الأطباء الذين كانوا يشرفون على علاجه، وخامره الشك القاتل الذي أدى به أن يقوم بقتل هؤلاء الأبرياء مع أن علاجهم لم يكن فيه الهلاك بل كان ينطوي على ما فيه صحته وشفاؤه . وعلى الرغم من أن الكثيرين كانوا يلحون على الملك بمهاجمة المدينة إلا أنه آثر الحكمة (غير المعروفة عنده) ، وتجاوز عما لحقه من الإهانة ، وأسرع إلى حصار عكّا .

غي لويزنيان في منطقة عكا

ما إن خرج ملك القدس العتيق[١٢٥] من الأسر حتى وجد نفسه بلا مملكة بل بلا مأوى ، بعد أن منعه المركيز كونراد مونتفرات من الدخول إلى المدينة الوحيدة المتبقية من مملكة القدس مدّعياً أن ملكه انهار في حطين ، وأنه لم يستطع أن يدافع عنه ويحميه ، عندها شعر الملك بأسى

---

[١٢٣] . المصدر السالف : ج١ ، ص ٨٨ .

[١٢٤] . أمبرويز، صليبية ريتشارد قلب الأسد : ص ١٩٣ .

[١٢٥] . العتيق : بمعنى أن صلاح الدين أعتقه بمقابل شروط منها خلع نفسه من الملك ، والذهاب فوراً إلى ما وراء البحار، وألا يرفع سيفاً في وجه صلاح الدين ولا يقاتل وأن يبقى مملوكه وعتيقه ، غير أن رجال الدين الصليبين كانوا يرون أن هذه الاتفاقية لاغيه بطبيعة الحال ، لأنها تمت تحت القسر ولأن القسم أعطي لغير مسيحي وأخيراً لأن القسم لا يبر به إذا كان الدين في خطر كما هي الحال ، وبالتالي حلل الملك من هذه الاتفاقية، وحتى يبرر لصلاح الدين ، فقد ركب البحر وذهب إلى إرواد ثم عاد إلى طرابلس .
أنظر: وندوفر (روجر أف) : ورود التاريخ ، ص ٣٢٧ . – امبرويز، صليبية ريتشارد قلب الأسد: ص ١٨٥ .

وحزن عميق وألم عظيم ، وأن الموت بشرف أفضل بألف مرّة من حياة الذل التي تجرّع مرارتها مرات ومرات . ذل وألم ومرارة لملك متوّج لمملكة غير موجودة الآن ، وما تبقى منها فقد استولي عليه وطرد منه ، نعم إنه صراع الأقوياء تكون الغلبة فيه للأكثر حكمة وجرأة وصلابة وقوة . الأمر الذي أفتقد الكثير منه في شخصية الملك الذي توّجته زوجته بخديعة منها[١٢٦]. وأسهم الحظ بدوره من جديد في تلميع صورة الملك العتيق ، وعلو نجمه حيث وقف معه الكثير من البارونات ، ولاسيما أخوه غودفري الرجل المحارب القوي الشجاع ورفيق درب سلاحه أندرو دي برن الذان خففا عنه ، وأسمعاه كلاماً جميلاً عندما طرده المركيز وقالوا له إنه سيّدهم وملكهم ، وإن من يسيطر الآن على مدينة صور هم الغرباء ، وإن شعب صور معهم ، وإن النجدات من الغرب قادمة لا محالة ، فانفرجت أساريره ، وطابت نفسه وعندها سأل بعدما سمع ما سمع : هل أنتم جاهزون لتنفيذ كل ما أطلبه منكم ؟ فأجابوه : بأنهم ما جاؤوا إلا من أجل هذا ، وأنهم على استعداد للعمل حسب أوامره حتى الموت[١٢٧]، وعندما سمع الملك كلام هؤلاء السادة فرح فرحاً عظيماً ، وقرّر هذه المرّة ألا يحارب الصليبيين الذين منعوه عن مملكته وسلبوه حقوقه إنما قرر أن يتوجّه إلى عكّا ثاني مدن المملكة بعد القدس لاستعادة ملكه وكان قرار عقل ، وحكمة وشجاعة ، وأمر محير بالوقت نفسه ، إذ كيف يمكن لنا أن نفسر ذلك على الرغم مما عرف عنه من الضعف والتردد وقلة الحكمة ؟

الإجابة عن هذا السؤال تبقى في باب التوقع ، فربما أفاد من الدروس السابقة . ومنها درس حطين . ودرس الأسر عند صلاح الدين الذي بقي فيه عاماً كاملاً ، وربما من باب آخر تهيأت له بطانة جيدة أعانته ونوّرته وهدته وهيأت له المقدمات الصحيحة للوصول إلى القرار السليم،أو

---

١٢٦ . عندما توفي بلدوين الخامس الملك الطفل، كانت الوريثة الشرعية للمكلة هي أمه سيبيلا ابنة عموري وإغنس،وقد اشترط عندها البارونات لتتويجها ملكة على القدس أن تطلق زوجها غي لويزنيان لما عرف عنه من ضعف وتردد، واشترطت هي بالمقابل أن تعطي التاج لمن ترغب وتحب وتم الاتفاق، وعند تتويجها ملكة أخذت التاج ووضعته على رأس زوجها غي لويزنيان متوجه إياه ملكاً، أنظر أرنول: ذيل تاريخ وليم الصوري ، ص٣٤٧ .

١٢٧ . أرنول : ذيل تاريخ وليم الصوري ، مصدر سالف ، ص ٣٤٨.

أنّ ذلك كان على اتفاق مسبق ، وتهيئة للحملة الثالثة المقبلة ، وكان أخوه غودفريلويزنيان رأس هؤلاء ، وصديقه المحارب أندرو دي برن ، وغيرهما من البارونات الذين أرادوا جميعاً العمل بإخلاص وجدّ للوصول إلى نتائج حاسمة بما فيها ما يلي:

أولاً. إظهار غي لويزنيان أنه الملك الذي دافع عن مصالح الصليبيين وأرضهم ، وهو وحده من يعمل على استعادة المملكة وبنائها ، وعلى هذا توجه ضربة قوية إلى كونراد مونتفيرات من حيث لا يدري ، والذي سيضطر إلى العودة والركوع أمام الملك وتأدية الولاء والطاعة .

ثانياً . عندما تأتي النجدات المنتظرة من أوروبا ستجد الملك يقاتل المسلمين في عكّا وبالتالي يصبح لزاماً عليهم الانضمام إليه ، والوقوف إلى جانبه ضد صلاح الدين ، وفي حل جميع الخلافات الداخلية بين غي وكونراد لمصلحة غي .

ثالثاً . إن القتال ضد كونراد مونتفيرات يشق الجبهة الصليبية الداخلية الضعيفة أصلاً ويشتت قواها بالإضافة إلى أن كونراد قد حصّن صور ، وقوّاها بحيث استطاعت الصمود في وجه صلاح الدين أكثر من مرّة[١٢٨] ، وجمع غي لويزنيان كل ما يمكن جمعه من الفرسان الذين كانوا في المدن التي استولى عليها صلاح الدين على الرغم من أن قسماً كبيراً منهم ذهب إلى صور، لكن هناك أيضاً من ذهب إلى طرابلس وأنطاكية[١٢٩] وغيرها ، فعمل الملك غي على تجميعهم مع الفرسان النورمان الذين أرسلهم الملك وليم ملك صقلية والفرسان الذين جاؤوا مع أخيه غودفريلويزنيان، وبعض الفرسان الفرنسيين، وغيرهم ثم تقدّم على رأس هؤلاء جميعاً صوب عكّا في ٥٨٥هـ/ أواخر آب ١١٨٩م، ويصور لنا ابن الأثير ما لا قاه الصليبيون في زحفهم إلى عكّا بسبب سيطرة المسلمين على المعاقل ، والحصون الواقعة على الطريق إلى عكّا ، مما جعل الصليبيين مضطرّين لاتباع الطريق المحاذي لجانب البحر ، في حين سارت سفنهم على مرأى منهم تحمل أسلحتهم ، وأرزاقهم، ولزموا البحر في مسيرهم لا يفارقونه ومراكبهم تسير مقابلهم

---

[١٢٨] . الروضتين في أخبار الدولتين : ج٣ ، ص ٢٦٠.٢٥٨ . – السرياني (القس إسحق أرمله) : الحروب الصليبية في الآثار السريانية ، ص ١٧٦ .

[١٢٩] . المرجع السالف، ص ١٨١.

... فيها سلاحهم وذخائرهم ، ولتكون عدّة لهم إن جاءهم ما لا قبل لهم به ركبوا فيها، وعاداً ولو أدرك المسلمون خطر تلك الجموع لاستطاعوا حصرها عند النواقير[١٣٠]، أو عند ممرات الاسكندرونة[١٣١]، ولقضوا عليها قبل أن تصل مبتغاها ، ويستفحل خطرها، ولكن صلاح الدين كان مشغولاً في محاصرة قلعة الشقيف أرنون ، وعندما سمع بمسير الصليبيين إلى عكّا لم يصدق بل عد ذلك خدعة من أجل حمله على ترك حصار قلعة شقيف أرنون ، ولم ينتبه إلى حقيقة الأمر إلا بعد فوات الأوان ، وللحقيقة التاريخية نقول : إن صلاح الدين أراد أن يقضي على هذه الجموع أثناء زحفها من صور إلى عكّا عند المضيق ولكن أمراءه عارضوا ذلك ، وقالوا: بل نطلبهم طلب الغريمً وأنه من الأوفق مهاجمتهم أمام عكّا، فيكونون عندها بين جيوش صلاح الدين من ناحية وحامية عكّا من ناحية أخرى ، لكن ذلك كان خِطْئاً استراتيجيّاً كبيراً غيّر مجرى الصراع بين الطرفين لكن إلى حين .

ومهما يكن من أمر فإن الصليبيين أقاموا معسكرهم على مقربة من عكّا شرق المدينة فوق تل يدعى تل المصلبين ، ثم لحق بهم صلاح الدّين بعد يومين (٦ رجب ٥٨٥هـ/ ٢٩ اب ١١٨٩م) فعسكر على مقربة من منطقة عسكره الصليبيين وتحديداً على تل كيسان وتل العياضية[١٣٢]

ـ الصراع على وراثة العرش:

---

[١٣٠] - النواقير : بلفظ جمع النقيرة وأصله النواقرفأشبعت الكسرة حتى صارت ياءوهي فرجة في جبل بين عكّاوصور على ساحل بحر الشام . زعموا بأن الاسكندر أراد السير على طريق الساحل إلى مصر أو من مصر إلى العراق فقيل له أن هذا الجبل محيل بينك وبين الساحل فتحتاج أن تدوره فأمر بنقر ذلك الجبل واصلاح الطريق فيه فلذلك سمي بالنواقير . أنظر – الحموي (ياقوت) : معجم البلدان ، ج٥ ، ص٣٠٦ .

[١٣١] - الاسكندرونة : موقع بين عكّا وصور . انظر : معجم البلدان، ج١ ، ص١٨٢ .

[١٣٢] . الكامل في التاريخ : مصدر سالف ، م١٠، ص ٣.٤-٣.٧ . – أبو شامة (عبد الرحمن بن اسماعيل) : الذيل على الروضتين، ج٥ ، ص ١٦٤ والتي تليها .– مفرج الكروب : مصدر سالف، ج٣، ص ٢٥٨. ٢٦١ .– المختصر في أخبار البشر: ج ٢، ص ١٦٢ والتي تليها .– الذهبي (الحافظ شمس الدين أبو عبد الله ،ت٧٤٦هـ) : دول الإسلام ، ص ٣١١ .

– ابن الوردي (زين الدين عمر) : تاريخ ابن الوردي، مصدر سالف ، ج ٢، ص ٩٩ .

– المنصوري (بيبرس) : مختار الأخبار ، تاريخ الدولة الأيوبية ، ودولة المماليك البحرية حتى سنة ٧.٢هـ/١٣.٣م ، تح.د. عبد الحميد صالح حمدان ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م ، ص ٤٠ .

في شوال ٥٨٦هـ/١١٩٠م توفيت الملكة سبيبلا زوجة ملك القدس غي لويزنيان[١٣٣] وكانت في ريعان شبابها وأناقتها ، وكان قد سبقتها ابنتاها نتيجة الأمراض التي اجتاحت المنطقة وبموتهن فقد الملك غي لويزنيان المسوّغات الشرعية للمطالبة بالملك الأمر الذي سبب له ضربة قاسية أفقدته توازنه[١٣٤] . وهكذا بدأ الصراع من جديد على ولاية العرش ، حيث انتقلت المملكة بحق الميراث إلى إيزابيلا ابنة (الملك عموري والملكة آنا كومينوس) ، وأخت سيبيلا وزوجة همفري صاحب تيرون (تبنين)[١٣٥]. وسلف الحديث عن كونراد وطموحه في الاستيلاء على عرش مملكة القدس ، وكيف تصرف عندما جاء ملك القدس غي لويزنيان إلى صور ليدخلها لأنها جزء من مملكته، حيث قام كونراد بإغلاق الأبواب في وجهه ولم يسمح له بالدخول، وقال له : (إن مملكتك انتهت مع حطين عندما لم تستطع أن تدافع عنها وتحميها وإني أخذت صور باسم ملوك أوروبا الذين فيما وراء البحار ، وأنا نائبهم في هذه البلاد)[١٣٦] ولم يقف عند هذا الحد ، بل عمل على شراء النفوس ، وبذل الأموال ، وتدبير الدسائس مع بعض البارونات والفرسان الذين أضعفتهم شهوة المال وغيّرتهم أساليب المناورة والفتن والخداع[١٣٧]. والآن وقد جاءته الفرصة المناسبة لتحقيق طموحاته الكبيرة ، ففكر في كل الاتجاهات لكيفية الوصول إلى ذلك، لكن

---

١٣٣ . هناك اختلاف في المصادر التاريخية حول تاريخ وفاة سيبيلا ، فقد جاءت عند أرنول في ذيل تاريخ وليم الصوري في تشرين الأول ١١٩٠، أنظر ذيل تاريخ وليم الصوري – ص ٣٧١ ، وعند أمبرويز في صليبية ريتشارد قلب الأسد ، حصل موت سيبيلا فيما بين ١٧–٢٤ رجب ٥٨٦هـ الموافق ١٣ –٢٠ آب ١١٩٠م ، وفي مصدر آخر (congest of Jerusalem p .95) كانت وفاة سيبيلا في ٢٥ تشرين الأول ١١٩١م .

١٣٤ . أمبرويز: صليبية ريتشارد قلب الأسد: ص ٢٥٦ . – فتري (جاك دي) : تاريخ القدس ، ص ٢٣٨ . – جولات الراهب فيليكس فابري ورحلاته حوالي (١٤٨٣.١٤٨٠م) : ص ١١٥٠ والتي تليها – تاريخ هرقل : ص ١٥١ . – رنسيمان (ستيفن) : تاريخ الحروب الصليبية ، ح٢ ، ص٦٤

١٣٥ . فتري (جاك دي) : تاريخ القدس، ص ٢٣٨ . – عاشور(سعيد عبد الفتاح) : الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى ، ص ٦٩٥ . – رنسيمان (ستيفن) : الجزء الثاني، ص ٦٥ .

١٣٦ . النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية : ص ١٠٦ . – فتري (جاك دي) : تاريخ القدس ، ص ٢٣٥ – باركر (ارنست) : الحروب الصليبية ، ص ٩٠ .

١٣٧ . الفتح القسي في الفتح القدسي : ص ٣٣٣ – إمبرويز : صليبية ريتشارد قلب الأسد ، ص ٢٨٦ . – فتري (جاك دي) : تاريخ القدس ، ص ٢٣٨.

إيزابيلا الطريق الأسهل كانت متزوجة من همفري وتحب زوجها، إذاً ما هو العمل ؟ التخلص من هذا الزواج ؟ المفتاح الأساس لهذا الطريق هو والدة إيزابيلا التي تكره همفري ، فعمل معها من أجل إقناع ابنتها بالطلاق ، ووضعا خطة من أجل إقناع إيزابيلا لتوافق على الانفصال عن زوجها ، فعملت الأم مراراً وتكراراً وذكّرتها بأن السبب الذي يحول بينها وبين أن تكون سيّدة المملكة هو زوجها همفري ، وقالت لها :(إنه ما دام زوجاً لها لن تصل إلى هذه المكانة) ، وذكّرتها بأخطاء همفري خاصة عندما أراد كونت طرابلس ريموند الثالث مع مجموعة من البارونات الذين كانوا مجتمعين في نابلس تتويجها ملكة على القدس وتتويج همفري ملكاً رداً على تتويج سيبيلا ، وغي لويزنيان بعد موت الملك الطفل بلدوين الخامس . حيث هرب همفري إلى القدس ، ووضع نفسه في خدمة سيبيلا التي قامت بتوبيخه، واهانته لتأخّره عن الحضور، ولوجوده مع البارونات المعارضين في نابلس[١٣٨].

على الرغم من ذلك قام بطلب المغفرة ، وقدّم الولاء إلى الملكة والملك ، ووضع نفسه بتصرفهما وشرح أسباب مجيئه ، وكيف أن البارونات أرادوا تتويجه ملكاً بالقوة ، فهرب إليهم[١٣٩].

ووضحت لها أنها ما دامت زوجته لن تستطيع الحصول على المكانة والتشريف ، ولن تنال مملكة أبيها، وزادت على كل ما تقدم أن زواجها من همفري، هو زواج غير قانوني وغير شرعي، وأنها عندما تزوجت منه لم تكن في سن الزواج ، ولهذا يمكن الإدعاء ضد هذا الزواج أمام القضاء . ويتساءل الباحث عن سبب كره والدة إيزابيلا لهمفري زوج ابنتها ؟!.

تقول بعض المصادر إن همفري كان مخنثاً ضعيفاً ، وهناك إشارة إلى أنه شاذّ . لكن يشك في هذا الأمر ، فهو أحد الفرسان الأقوياء ، وصاحب اقطاعات كبيرة ، وقد شغل دوراً مهماً في المفاوضات بين ريتشارد قلب الأسد وصلاح الدين ، والأهم من كل ذلك أن زوجته تحبه ولا

---

١٣٨ . أرنول: ذيل تاريخ وليم الصوري ، ص ٢٦٩ والتي تليها . – السيد(عبد اللطيف) : الحروب الصليبية من خلال كتابات جاك دي فتري في أوائل القرن الثلاث عشر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م ، ص ٢.٨ . – رنسيمان (ستيفن) : الجزء الثاني، ص ٦٥ .

١٣٩ . أرنول : ذيل تاريخ وليم الصوري ، ص ٣٧٠.

ترغب بالانفصال عنه . فلو كان مخنثاً حقيقة لما رغبت به امرأة ، كما إن بعض المصادر أشارت إلى ان همفري من بداية زواجه من ايزابيلا رفض أن تقوم زوجته بزيارة أمها أو أن تقوم أمها بزيارتها وكان يفعل ذلك بمشورة أمه التي كانت سيدة قلعة الكرك (زوجة أرناط)[١٤٠] ومن هنا بدأت قضية الكره بين آنا كومينوس وبين همفري وبعدما غادر المركيز مدينة صور للمشاركة في حصار عكّا (حيث أقنعه ابن عمه فردريك دي سوابيا بالذهاب إلى حصار عكّا) .

تحدث المركيز مع فيليب أسقف بوفياس طالباً منه ومن رئيس أساقفة بيزا المساعدة والمشورة للحصول على الزواج الذي يوصله إلى عرش مملكة القدس ، وأغدق عليهم الهدايا والرشاوى وعمل مع غيرهم من أصحاب التأثير ، وبهذا يكون المركيز قد رتب كل شيء ، وهيّأ أجواءً مناسبة توصله إلى هدفه ، ولاسيّما أن البطريرك هرقل اشتدّ به المرض ، ولم يحضر الاجتماع وعيّن رئيس أساقفة كانتبري[١٤١] ليمثله فيه ، غير أن هذا الأخير رفض إلغاء الزواج لأنه يدرك أن سيّده الملك ريتشارد على علاقة ممتازة بأسرة لويزنيان ، فهم من أتباعه وأتباع والده قبله، لذلك أشار إلى أنّ زواج كونراد من إيزابيلا يعدّ من الزنا الصريح . غير أن رئيس أساقفة بيزا المندوب البابوي انحاز إلى جانب كونراد كلياً لأسباب سوف يأتي الحديث عنها، ومن المفيد هنا أن نوضح نقطة وردت عند أنتوني بردج ، وهي أن ريتشارد قلب الأسد قرر تأكيد مزاعم كونراد في الاستيلاء على السلطة ، لكن ليس هناك أيّة إشارة إلى ذلك في كل المصادر التي عاصرته ، بل الملاحظ أن ريتشارد فلب الأسد أنّب الذين طالبوا بالمركيز ملكاً ، وكره تقلب مواقفهم وذكرهم بما كانوا يقولون عنه ، لكنه قبل بذلك مكرهاً ، ونزولاً عند رغبة قادة جيشه[١٤٢].

---

[١٤٠] - أرنول : ذيل تاريخ وليم الصوري ، : ص٣٧٢ .

[١٤١] كانتربري : مدينة بريطانيه تقع في الجنوب الشرقي من بريطانيا على مضيق دوفر أما أسقف هذه المدينة أنذاك كات يدعى بلدوين وكان رجل دين متميز وعلى علاقة وديه مع رتشارد . توفي بلدوين سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م . انظر : رنسيمان (ستيفن) : تاريخ الحروب الصليبية ،ج٢ ،ص٦٧ .

[١٤٢] . الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد) : ج٢، ص ١٥٨ والتي تليها . – أنتوني بردج : تاريخ الحروب الصليبية، ص ٢١٨ . – ستيفين رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، جزء ٣ ، ص١٦٧ .

وما إن أقامت الملكة الأم آنا كومينوس دعواها ضد زواج ابنتها إيزابيلا من همفري حتى تم كل شيء كما تريد ، وتم الانفصال بدون عقبات ، وكانت مسوغات الدعوى التي رفعتها آنا أمام المحكمة التي ترأسها رئيس أساقفة بيزا (هيوبرت) ممثل روما مدَّعية أن عُمر ابنتها عند الزواج لم يكن يتجاوز ثلاث عشر سنة ، وثماني سنوات عند الخطبة ، وهي على هذا لم تكن في سن الزواج ، وبناء عليه تم استدعاء همفري لسماع دفاعاته على الدعوى المقامة ضد زواجه فنفى كل هذه الإدعاءات ، وقال: إن الزواج تم بموافقة السيدة ، وإن هناك شهوداً لكن هؤلاء الشهود وقفوا ضده وتحدّوه وكذّبوه ، وقالوا : إن السيدة لم توافق ، وإن الملك بلدوين زوّج ابنة أخيه إيزابيلا ضد إرادة السيدة وأمها[١٤٣]. وشعر همفري أنه طعن في الصميم ، ومع هذا تراجع ، ولم يجرؤ على التحدث ، وقام الذين أفسدتهم رشاوى المركيز ، وأشاروا على همفري ، وكأنهم يقدمون له النصيحة الأخوية الصادقة بفسخ هذا الزواج ، وأقنعوه أنه لن يستطيع حكم المملكة ، وصعّبوا عليه الأمر كثيراً فقام بفسخ هذا الزواج ، وانسحب منه وقام رجل الدين البيزاوي المخوّل بفسخ الزواج ، وفصل بين الزوجين . السؤال المهم ، ما هو موقف البارونات من هذا العمل ؟ هل كانوا راضين عما قام به كونراد ؟ تقول بعض المصادر : إن هذا العمل المهين قد أغضب الكثير من البارونات ، وجميع الحجاج لكهنم أخفوا غضبهم لأنهم كانوا بحاجة إلى كونراد الذي كان يسيطر بشكل كامل على مدينة صور ، والتي تشكل المصدر الأساس لإمداداتهم وأقواتهم[١٤٤]. السؤال الآخر المهمّ طالما أنه لم يكن هناك مسوغات مُقنعة لفسخ هذا الزواج ، وإيزابيلا لم تكن راغبة بذلك ، فلماذا قام رجل الدين البيزاوي بالموافقة والفصل ؟. والإجابة ربما تقول : إنه إضافة إلى ما وزعه المركيز من هدايا ورشاوى ، فإن البيازنة الذين اصطحبوا المركيز من القسطنطينية إلى صور ، وهم الذين ثبّتوه هناك ، وفكروا بالحصول على عرفان بالجميل ، وعطايا كبيرة من المركيز إذا أصبح ملكاً ويقال : إنه أعطاهم وعداً بامتيازات تجارية

---

[١٤٣] . أرنول : ذيل تاريخ وليم الصوري ، ص ٣٧٣ .

[١٤٤] جولات الراهب فيليكس فابري ورحلاته حوالي ١٤٨– ١٤٨٣ : ص ١٥٢ . – –

فتري (جاك دي) : تاريخ القدس ، ص ٢٣٨.

كبيرة[١٤٥]. أما أسقف بوفياس ، وهو ابن عم الملك فيليب أُغسطس الذي وقف دائماً إلى جانب المركيز لما بينهما من القرابة ، فقد وقف إلى جانب المندوب البابوبي (أسقف بيزا) للوصول إلى اتفاق عام بتطليق إيزابيلا ، وفي الوقت نفسه تولى هو إجراءات زواجها من كونراد في سنة ٥٨٦هـ/ الرابع والعشرين من شهر تشرين الثاني ١١٩٠م .

لكن هل استطاع كونراد أن يحصد قمحاً بعدما قام بزرع الرشاوى والمؤامرات والدسائس ؟ أكّدت المصادر التاريخية أن الملكة آنا كومانيا أحضرت ابنتها إلى المحكمة لتسمع رأيها ولتسمع هي قرار الحكم ، وفعلا جرت الأمور على ما تشتهي هي وكونراد ، وأخبرها رجل الدين البيزاوي أنها تستطيع الزواج من أي شخص تريده ، وبأن هذا القرار قد صدر وفقاً لأحكام الديانة المسيحية ، وخدمة لها ، وبعدها قام البارونات بتقديم الولاء لها في الوقت الذي قامت هي بالمطالبة بحقوقها في الميراث[١٤٦]. وتحدثت بحضور الجميع قائلة : ً إنني استرد جميع الممتلكات التي منحها لي أخي بلدوين الرابع عندما تزوج مني همفري . إن هذا ما يجب أخذ العلم بهً[١٤٧]. ويُقال : إنه بعد هذا الخطاب تزوج المركيز من إيزابيلا ، وانطلق معها للحاق بالحشود التي تحاصر عكّا[١٤٨]، وغضب مؤيدو غي لوزنيان لعقد هذا الزواج ، وعدّوه باطلاً شرعاً ، حيث ألغى حق غي في العرش (وتبين أن المركيز متزوج مرتين قبل هذ الزواج أي له زوجتان غير إيزابيلا) ، ولقي هؤلاء المؤيدون كل عطف من أتباع ريتشارد قلب الأسد القادمين من إنكلترا ، ونورماندیا ، وقام بلدوين رئيس أساقفة كانتروبري بقطع كل من له علاقة بهذا الزواج من الكنيسة ، وبذل الكثير من المؤرخين جهوداً كبيرة لتشويه كل ما تحقق لكونراد من شهرة[١٤٩]، بل إن غي لويزنيان نفسه ذهب إلى ما هو أبعد من ذلك فدعا كونراد إلى المبارزة لكنه لم يقبل ، ورفض مناقشة هذه المسالة لأنه أدرك أن الحق الشرعي قد أصبح إلى جانبه ، بينما عدّ مؤيدو غي لويزنيان عدم

---

[١٤٥] . رنسيمان(ستيفين) : تاريخ الحروب الصليبية ، الجزء الثالث ، ص ٦٦.

[١٤٦] . أرنول : ذيل تاريخ وليم الصوري ، ص ٣٧٣.

[١٤٧] . أرنول : ذيل تاريخ وليم الصوري ، ص ٣٧٤ .

[١٤٨] . أمبرويز : صليبية ريتشارد قلب الاسد ، ص ٢٥٩ .

[١٤٩] . رنسيمان(ستيفين) : تاريخ الحروب الصليبية ، جزء ٣ ، ص ١٦ .

استجابة المركيز للمبارزة لأنه رجل غير كفء وجبان . إضافة إلى كل ذلك فقد رفض هذا الزواج ليس فقط من قبل رئيس أساقفة كانتربري بل أيضاً من أسقف بوفياس الذي أيّده في البداية وقام بنفسه بكل اجراءات الزواج . بسبب ان المركيز تزوج مرتين قبل هذه المرة، لذلك عدّ هذا الزواج مخالفاً لتعاليم الدين المسيحي، وبالتالي غير شرعي ، وعندها عملوا على حرمان المركيز كنسياً ووقفوا ضدّه بكل صراحه وعدّوه أنه مقترف للزنا المضاعف ثلاث مرات ، وهذا مخالف لكل الأعراف والقوانين، على الرغم من كل الأبهة والاحتفالات التي قامت ، والولائم التي أولمت ، حيث أشار إلى ذلك أمبرويز قائلاً : ً فمن الزوجات الأحياء بات لديه ثلاث ، واحدة في الحشد وواحدة في البلاد ، وثالثة جاهزة في متناول اليدً[١٥٠]. وكانت هذه الخطوة التي عدّها كونراد أقرب الطرق للوصول إلى العرش قد جلبت الكثير من التمزق والأذى على الصليبيين ، والذي ظهر في اليوم نفسه ، لأن الذين كانوا في ذلك الاحتفال بعدما شربوا كثيراً خرجوا وتوجهوا للمثاقفات والمبارزات التي قسمتهم إلى قسمين : قسم مع المركيز ، وقسم آخر مع غي لويزنيان، الأمر الذي هيّأ كل الظروف الموائمة لإضعاف الصليبيين ، ولتقوية المسلمين الذين أغاروا على الصليبيين وأوقعوا بهم خسائر كبيرة . هنا شعر الحكماء من الصليبيين بأنهم خدعوا، وأنّ المركيز بدهائه ومراوغاته ومناوراته استطاع تضليلهم عندما غادر مصطحباً معه إيزابيلا وفرقته المسلحة عائداً إلى صور، لأنه استشعر أنه إذا بقي في عكّا قبضوا عليه وحاكموه ، وأعطوا صور إلى الملك العتيق غي لويزنيان تعويضاً عما عاناه في الأسر عند السلطان صلاح الدين من أجل نصرة المسيح ، ومن أجل خدمة الأرض المقدسة ، لذلك هرب المركيز إلى صور ، ومعه زوجته ، وريثة العرش إيزابيلا[١٥١] ، وحاول الملك غي لويزنيان والملك الفرنسي فيليب التحدث إلى كونراد ، وإقناعه بالعودة عن قراره ، وأنفذوا خلفه الوفد لكن دون جدوى ، الأمر

---

[١٥٠] . صليبية ريتشارد قلب الأسد : ص ٢٧٠ .

[١٥١] ابن شداد: النوادر السلطانية، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق، ص ٢٥٩ . – الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية : م٢ ، ج٤ ، ص ١٤٧.

الذي أدّى إلى سوء أحوال المعسكر الصليبي الذي يحاصر عكّا[١٥٢] ولم يقبل بالعودة إليها ، ومساعدة الصليبيين الذين يحاصرونها ، لأن غي لويزنيان رفض التنازل عن أي شيء من حقوقه .

والسؤال المهم بعد هذا العرض ، هل بقي الصراع بين الملك والمركيز دون حل ؟

لقد عقد اجتماع بين البارونات والقادة لتدارس الأوضاع العامة بين الصليبيين ، وخاصة ما جرى بين المركيز كونراد مونتفيرات والملك غي لويزنيان حول وراثة العرش ، وللحقيقة نقول: إنها قد توفرت الرغبة ، والإرادة عند جميع الحاضرين لحل هذا الإشكال الذي أضعف المعسكر الصليبي وقسمه إلى قسمين متناحرين ، معسكر المركيز الذي دعمه فيليب أُغسطس ملك فرنسا ، في حين وقف ريتشارد قلب الأسد إلى جانب معسكر غي لويزنيان عادّاً إياه الملك الحقيقي للبلاد ، أما عن سبب دعم ريتشارد لغي لوزنيان ، فربما يعود إلى أن لوردات لويزيان كانوا أتباعاً لملك انكلترا ابتداءاً من سنة ٥١٦هـ/١١٥٤م ، وهي صلة يمكن الاعتماد

عليها في تفسير هذا الدعم[١٥٣]، لكن وفي نتيجة النقاشات التي دارت في هذا الاجتماع خرج البارونات بالنتائج التالية :

١. يبقى الملك غي ملكاً للبلاد .
٢. اقتسام كل شيء بين الطرفين بمثابة موارد .
٣. تعويضاً للمركيز عما قدّمه في مساعدة صور ، يعطى بيروت وصيدا وصور ولقب كونت، وضرورة الاعتراف بزواج المركيز من وريثة عرش مملكة بيت المقدس[١٥٤].
٤. ينال غودفري لويزنيان كونتية يافا (عسقلان) لأنّه أخو الملك .
٥. في حال وفاة الملك غي قبل المركيز ، ينبغي أن يؤول التاج إلى المركيز مع أنه تزوج من وريثة العرش بشكل غير شرعي .

---

[١٥٢] . أمبرويز : ص ٢٧١ .

[١٥٣] . أديوري(بتر و) : قبرص والحروب الصليبية : ص ٣٩ .

[١٥٤] . الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد) : الجزء٢ ، ص ٤١ .

٦. إلا إذا حدث ، وتوفي المركيز ، وزوجته أثناء إقامة الملك ريتشارد في هذه المناطق عندها يترك للملك ريتشارد التصرف بمنح المملكة حسبما يشاء .

وعلى أساس هذه الشروط انتهى الخلاف[١٥٥]، ولكن لم ينته الصراع ، بل تجلى بأشكال مختلفة هذه المرّة ، وهذا ما سيتم بحثه من خلال الفقرة التالية .

الصراعات الصليبية الداخلية قبل الوصول إلى عكّا

استُمطرت عواطف الناس في أوروبا للاشتراك في الحملة الصليبية الجديدة ، وتعددت الرسائل والرسل التي وصلت إلى أوروبا طالبة المساعدة راجية اغاثة بيت المقدس ، وبغض النظر عن طبيعة الاستجابة لهذه الدعوات ، هناك ملاحظة لا بد من الوقوف عندها مقارنةً مع الحملات الصليبية السالفة : وهي أن القادة الذين استجابوا لقيادة هذه الحملة هم قادة علمانيون وليسوا دينيين ، وهم الإمبراطور الألماني فردريك بربروسا ، والملك الفرنسي فيليب أُغسطس والملك البريطاني هنري الثاني . وتمت الإشارة إلى هذا الموضوع في فقرة الدعوة إلى حرب صليبية جديدة، والأسباب التي دعت كل واحد من هؤلاء القادة إلى حمل الصليب .

لكن الملفت للنظر أن ريتشارد قلب الأسد كونت بواتو الابن الثالث لهنري الثاني (الملك البريطاني) هو أول من حمل الصليب بين بارونات فرنسا ، حيث تناوله من يد رئيس أساقفة تور ، دون أن يسأل أباه أو ينتظر موافقته أو حتى يسمع رغباته[١٥٦].

والسؤال المهم ما هو سر هذا الحماس للحملة الصليبية عند ريتشارد قلب الأسد الذي وصفته المصادر المعاصرة بأروع الأوصاف ؟ (لقد كان لريتشارد قوة هيكتور[١٥٧] وبطولة أخيل[١٥٨] ولم يكن دون الإسكندر[١٥٩] مقدرة أو أقل من رولاند[١٦٠] شجاعة) .

---

[١٥٥] . حملة الملك ريتشارد إلى أراضي القدس المقدسة : ص ٩١ . – بالار (ميشيل) : الحملات الصليبية والشرق اللاتيني، ص ١٩٩.

[١٥٦] . تاريخ الأسرة الأنجيفية: مؤلف مجهول ، ص ٢٠٧. .

ريتشارد هذا كان كونتاً لبواتو ، تحالف في كثير من المواقع مع الملك الفرنسي ضد والده الذي كان لا يحبه ولا يحب أمه أليانور ، لذلك وجد قلب الأسد في هذه الحملة مخرجاً لتحقيق طموحاته الشخصية الكبيرة في سلم المجد الذي تطلع إليه ، ومن هذا الباب حاول ريتشارد وبشتّى الوسائل أن يمنع والده من حمل الصليب (بذريعة كبر سنة)[١٦١] ليتطاول مع ملوك أوروبا ، وأباطرتها على قدم المساواة ، لكن هنري حمل الصليب مع الملك الفرنسي سنة ٥٨٤هـ/١١٨٨م من رئيس أساقفة صور (جوسياس) الذي جاء طالباً للنجدة مستغيثاً مستجيراً ، لكنه وجد أن الوضع العام في أوربا على غير ما يسر ، فالاقتتال البيني(الداخلي) على أشده ، وخاصة بين إنكلترا وفرنسا ، الأمر الذي لا يحتمل رسم الآمال العريضة ، فعمل جاهداً على تسوية الأوضاع ، ونجح بما امتلك من قدرة في إقناعهما بزرع الوئام ، فحل السلام وغشيت الطمأنينة ، وتلاشت ولو بشكل ظاهري الخصومات التي كانت بين الأعداء القدامى الحلفاء

---

[١٥٧] . هيكتور هو أحد أولاد الملك برياموس وأخو باريس الجميل ، تولى قيادة الجيش في حرب طروادة لذلك كانت شخصية هيكتور أحد أبطال قصة هوميروس الألياذة ، ويمثل القوة والعظمة والتجبر، أنظر العابد (مفيد رائف) : دراسات في تاريخ الإغريق دراسة في التاريخ السياسي والحضاري الباكر والكلاسيكي طبعة ثانية ، منشورات جامعة دمشق ، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م ، ص ١٤٨ .

[١٥٨] . أخيل هو أحد أبطال قصة هوميروس الألياذة التي محورها بطولة أخيل وغضبه والدمار الذي سخلق مؤدياً إلى موت الكثيرين من الرجال، فثمة قوة متفجرة تتعلق بالموت، تنطلق عارمة من محبسها عند أخيل والناس ترقبه في أنفاس مبهورة، وقد راح يحاكم كل شيء في طريقه ويتعارك مع كل من حوله ولا يهدأ له بال حتى يقضي على أعدائه، انظر : العابد(مفيد) : المرجع السالف ، الصفحة نفسها .

[١٥٩] . الإسكندر الأكبر، ولد الاسكندر في صيف ٣٥٦ قبل الميلاد، وكان ثمرة الزواج السياسي لفيليب الثاني من أولومبياس أخت إسكندر ملك إبيروس وتربى الإسكندر تربية خاصة لم يحصل عليها أي ملك من ملوك مقدونيا الأوائل، حيث تولى تعليمه وهو في الثالثة عشر الفيلسوف الكبير أرسطو (٣٨٤-٣٢٢ق.م) واستمد الإسكندر صفاته من مصادر ثلاثة حيث ورث عن أبيه الجلد والحزم والمهارة في معالجة الأمور، وعن أمه تأجج العواطف وسرعة الانفعال والغضب، وعن أستاذه أرسطو نضوح التفكير واتساع الأفق، أنظر: العابد (مفيد رائف): المرجع السالف، ص ١٤٩. .

[١٦٠] رولاند: هو ابن أخت شارلمان وأحد قادة حملته على سرقسطة سنة ١٦١هـ/ ٧٧٨م، وقتل في أثناء عودة الحملة بعد اخفاقها، حيث شن البشكتس غارة عليهم انتقاماً لما أنزله الفرنجة ببلادهم وعاصمتهم بنبلونه من التدمير والتخريب ورولاند هذا أصبح بطلاً أسطورياً في الأنشودة المشهورة التي نظمت فيما بعد وعرفت بملحمة رولاند التي تم ترجمتها في الموسوعة الشامية، أنظر: بوز(فارس): تاريخ العرب في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط غرناطة، منشورات جامعة دمشق، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ص ٦٩-٧٢. .

[١٦١] : الحملة الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد) : ص ١٨٧. .

الجدد . لكن ماذا حصل ؟ في التاسع والعشرين من شوال ٥٨٤هـ /الموافق الحادي والعشرين من كانون الأول ١١٨٨م قام غودفري لويزنيان ، وهو أحد البارونات في بواتو ، والأخ الأكبر لغي لويزنيان الملك الذي أعتقه صلاح الدين من الأسر ، قام غودفري بقتل صديق لريتشارد كونت بواتو ، وغودفري لويزنيان هذا هو أحد تابعي ريتشارد ، لذلك انزعج الكونت كثيراً، وحمل السلاح لانزال العقوبة بمقترفي الجريمة على الرغم من أنه حمل الصليب ونذر نفسه له. لذلك طلب من رجال غودفري حمل الصليب لمن يريد . أما الباقي فسيكونوا طعمة للسيف ، لكن غودفري تصدى له ، وصمد أمامه باعتماده على القوة والمال الذي كما قيل جاءه من الملك الإنكليزي هنري الثاني والد ريتشارد ، وهذا ما زاد الهوة بين الملك وابنه ريتشارد لإقدامه بالهجوم على جزء من مملكته ، واستيلائه على بعض القلاع والمناطق، فاتفق الملكان المتخاصمان فيليب أُغسطس ، وهنري الثاني على الوقوف ضد ريتشارد ، واتفقا على وضع أملاك هنري في فرنسا تحت وصاية فيليب الذي استغل الوضع وقام بإجراءات عديدة استطاع خلالها كسب ود حفظة بعض القلاع إلى جانبه ، مما أغضب هنري ، وأوجس في نفسه خيفةً من عدوه القديم فيليب ، فقاد جيش كبير إلى فرنسا ، وكان ذلك في ٢٥ جمادي الأولى سنة ٥٨٤هـ/٢٥ تموز ١١٨٨م لكنه لم يهاجم فرنسا ، وانتظر في نورماندي[١٦٢]. وتدخل العقلاء مرة أخرى، والتقى الملكان في مؤتمر يوم ٢٠ جمادي الآخر سنة ٥٨٤ هـ/ الموافق ١٦ آب ١١٨٨م في مكان ما بين غيسور ، وتراي في مرج جميل وواسع استمر ثلاثة أيام، لكنهما لم يتفقا ، وفي هذا المؤتمر جرت مناقشات لكثير من الخلافات الحديثة والقديمة ، لكن دون جدوى[١٦٣]، وقام هنري بغزو الأراضي الفرنسية لكن في النهاية تمت التسوية بين الطرفين بوساطة ريتشارد ، وكان ذلك في الأول من شعبان سنة ٥٨٤هـ/ الموافق ١٨ تشرين الثاني ١١٨٨م، وفيه تم الاتفاق على أن يعيد فيليب إلى هنري كل شيء استحوذ عليه منذ حمله للصليب ، وأن يبق كل شيء على ما كان عليه قبل حمله للصليب، وردّ عليه هنري بالدخول في سلام ثابت بدل من تطويل الخصومات بين الطرفين . ولم

---

[١٦٢] ديستو (رالف): صورة التاريخ ، تر وتحقيق د . سهيل زكار ، دار الفكر ، دمشق ، ط١ ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١ م ، ص ٢٠٨ .

[١٦٣] . أمبرويز: صليبية ريتشارد قلب الأسد : ص ٤٨ .

يكن ريتشارد راضياً عن هذا الاتفاق لأنه رأى أنه الخاسر الوحيد فيه ، فطلب من والده أن يزّوجه أخت الملك فيليب ، وتمليكه الأرض التابعة لهنري في المملكة الفرنسية على أساس أنه ولي عهده ، ووقف الملك الفرنسي إلى جانب ريتشارد في هذه المطالب التي رفضها هنري الثاني، مما دعا ريتشارد إلى تقديم الولاء للملك الفرنسي والتحالف معه ضد والده[١٦٤]، الأمر الذي أضعف هنري ، وقوّى فيليب الذي استغل الوضع أفضل استغلال ، فاستولى على بعض المناطق ، وحاول البعض الدخول في تسوية بين الملكين ، وفعلاً تم الأمر لكن كان فيها هنري الطرف الأضعف فوضع نفسه برأي فيليب[١٦٥] وإرادته . وأما الملك الفرنسي فقد قرر وضع أخته أليس التي كانت موجودة في بلاط الملك هنري تحت وصاية أحد خمسة بارونات يختارهم ريتشارد كونت بواتوالذي سيكون زوجاً لها بعد عودته من القدس ، وبالتالي حصل ريتشارد على كافة طلباته التي طلبها من والده قبل وقت قصير ، بما فيها تمليكه الأراضي وتبعية كافة الرجال فيها له كما اتفقوا على الذهاب في الحملة وأن يلتقوا في منتصف الصوم في مدينة فيزلي . لكن هنري الثاني توفي في ١٩ جمادى الأول سنة ٥٨٥هـ/ الموافق ٦ تموز ١١٨٩م[١٦٦]، وقد حاول ريتشارد أن يشارك في جنازة أبيه الأمر الذي كان غير مرغوب به، لأن الجميع يعرف العلاقة السيئة التي كانت بين الأب ، وابنه ، و لأن روح الملك كانت غاضبة منه ، فقد جاء في أحد المصادر (أن الكونت جاء مهرولاً ليستقبل الموكب ، ولدى وصوله أخذ الدم يتدفق من أنف الملك المتوفي ، وكأن روحه تحركت سخطاً)[١٦٧]. وبعد أن رتّب ريتشارد كافة المسائل على أحسن ما يرام لضمان الهدوء والسلام في مقاطعات أكوتين[١٦٨] وأنجو[١٦٩] ، وتورين[١٧٠] ، وحين

---

[١٦٤] تواريخ أسرة آل بلانتغنت: ص ٢٠٩. ٢١٣ . – وندوفر(روجر أوف) : ورود التاريخ ، ص ٢٣١ والتي تليها .

[١٦٥] تواريخ أسرة بلانتغنت : ص ٢١٤ .

[١٦٦] الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد قلب الأسد) : ج١، ص ١٨٥ .

[١٦٧] تواريخ الأسرة الأنجيفية ، ص ٣١٥ .

[١٦٨] أكوتين : وهي مقاطعه فرنسيه (دوقية أكوتين)تقع في جنوب فرنسا . وفرنسا أنذاك مقسمة الى دوقيات منها برجنديا في الشرق وامارة الفلاندرز في الشمال ودوقية بريتاني ودوقية نورماندیا في الغرب . انظر : فرح (نعيم) : تاريخ أوروبا السياسي في العصور الوسطى ، ص٨٢ .

[١٦٩] أنجو : وهي مقاطعه فرنسيهكانت من أملاك بريطانيافي فرنسا في العصور الوسطى . تقع الى الشرق من مقاطعة بريتاني التي تقع في وسط غرب فرنسا .

وصل إلى نورماندي بعد ثلاثة أسابيع من وفاة والده ، والتقى كلاً من رئيس أساقفة كانتربري ، وروان[١٧١] في سيز[١٧٢]، وسأل العفو، فتلقى الغفران عن اقترافه جريمة حمل السلاح ضد والده بعد حمله شارة الصليب ، ومن هناك ذهب إلى روان حيث تسّلم العلم والسيف لدوقية نورماندي من يدي رئيس أساقفة روان ، وحدث ذلك أمام المذبح في كنيسة العذراء المقدسة ، وبعدها ذهب إلى إنكلترا في ١٧ رجب سنة ٥٨٥هـ/ الموافق أول أيلول ١١٨٩م ، ورتب أموره ، وتُوج ملكاً في ١٩ رجب سنة ٥٨٥هـ/ الموافق الثالث من أيلول ١١٨٩م[١٧٣]. بعد ذلك قرّر الملكان أن يذهبا سوية في الحملة الصليبية ، وتعهد كل واحد منهما للآخر بالإخلاص ، وطلبا من جميع الذين حملوا الصليب أن يتأهبوا ، وقرّرا أن يتم الحفاظ على أملاك جميع النبلاء وأن تبقى سليمة دونما أذى كما لو أنها ممتلكات أحد الملكين ، وهنا إشارة مهمة على تخوف البارونات من ضياع أملاكهم . وتأخر مسير الحملة حتى ١٩ جمادى الأولى سنة ٥٨٦هـ/ الموافق الرابع والعشرين من حزيران ١١٩٠م ، وفي اليوم نفسه توفيت مارغريت ملكة فرنسا أثناء الولادة ، مما أخّر الحملة أكثر فأكثر ، عندها قرر الملكان اللقاء في فيزلي في الرابع والعشرين من حزيران ليذهبا إلى القدس[١٧٤]. وبعد أن رتب الملك الفرنسي فيليب أُغسطس أموره، انطلق نحو جَنَوةَ، وانطلق ملك انكلترا نحو مرسيليا حيث أقلع من تور في ١٥ رجب سنة ٥٨٧هـ/ الموافق التاسع من آب ١١٩١ م وبعد رحلة بحرية هادئة وصل إلى ميناء روما ، وجرى استقباله من قبل أسقف أوستيا مع رسل البابا ، وهنا وجّهت الدعوة إلى ريتشارد لزيارة البابا فرفضها لما بين الرجلين من عداوة ،

---

[١٧٠] تورين : مقاطعة فرنسيهتقعالى الشرق من مقاطعة أنجو .

[١٧١] - روان : مدينة فرنسيهتقع الى الشمال الغربي من باريسعلى تهر السين وهي تابعه لمقاطعة نورماندیا من أملاك الملك البريطاني في فرنسا . انظر : وندوفر : ورود التاريخ ، ص٣٣٧ .

[١٧٢] - سيز : - مدينة فرنسيه صغيرة في مقاطعة نورماندیا عرب فرنسا .

[١٧٣] الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد قلب الأسد) : ص ١٨٦ .

[١٧٤] . الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد) ، ص ١٩٠ . – بردج(أنتوني): تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٢.٤ والتي تليها .

جدير بالذكر أن وفاة ملكة فرنسا كانت في ٥٨٦هـ / ١٥ أيار سنة ١١٩٠. أنظر أمبرويز، ص ٥٦.

وخلافات وذهب إلى الجنوب عبر كابوا ، ومن المفيد هنا تقسيم الصراعات الصليبية الداخلية قبل الوصول إلى عكّا إلى الفقرات التالية : ١- الصراع الأنكلو – فرنسي في صقلية.

٢ – الصراع بين البيازنة والجنوية وبين ريتشارد قلب الأسد .

٣ – الصراع بين رتشارد قلب الأسد وإمبراطور قبرص.

الصراع الأنكلو فرنسي في صقلية :

توجه ريتشارد إلى مسّينا[١٧٥] قادماً من مرسيليا[١٧٦]، وكان لوصوله إليها هدفان :

الأول : السؤال عن الملك الفرنسي فيليب فيما إذا وصل إليها .

و**الثاني :** الذهاب لرؤية أخته جوانا ، وليتحدث إلى تانكرد الذي أصبح ملكاً على صقلية بعد وفاة ملكها وليم الثاني في سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م في شهر تشرين الثاني[١٧٧]. و وليم الثاني هذا كان قد تزوج من شقيقة ريتشارد قلب الأسد الصغرىً جواناً ، ولكن هذا الزواج لم يسفر عن ولي للعهد لأنه كان زواجاً عقيماً، وبذلك أصبحت وراثة العرش لكونستانس عمة وليم الثاني وزوجها هنري بن فردريك بربروسا[١٧٨]. لكنّ الشعب في صقلية كان غير ميال لأن يحكمه رجل ألماني لما كان من العداء بين البابوية ، والإمبراطورية الرومانية المقدسة ، وبحركة سياسية بسيطة ساندتها البابوية ، وعلى رأسها البابا كلمنت الثالث ، أدت إلى وصول تانكراد إلى وراثة العرش ، وتانكراد هذا هو ابن عم غير شرعي لوليم الثاني الملك المتوفي ، وكان تانكرد رجلاً ضئيل

---

[١٧٥] . مسّينا : بفتح الميم وكسر السين المشدده وسكون الياء المثناة من تحت وفتح النون ثم هاء ، وهي مدينة في الزاوية الشمالية من جزيرة صقلية ، وهي مدينة مشهورة بكثرة العنب والخمر . كانت هذه المدينة للمسلمين فخرجت عنهم ، وهي اليوم للنصارى . أنظر: (أبو الفداء) : تقويم البلدان ، ص١٩٢ والتي تليها .

[١٧٦] مرسيليه :بفتح الميم وسكون الراء المهملة وكسر السين الميهمة ثمّ مثناة تحتية ولام ومثناة تحتية ثانية وهاء في الآخر وهي فرضة من فرض الفرنج وهي غرب الأنبردية (لمبارديا) . أنظر : أبو الفداء (عماد الدين اسماعيل) : تقويم البلدان ، ص٢١٨ والتي يليها .

[١٧٧] – ذيل تاريخ وليم الصوري، (١١٨٤-١١٩٧)، ص ٣٦٧ . – بردج (أنتوني) : تاريخ الحروبالصليبية ص ٢.٥ . – بالار(ميشيل) : الحملات الصليبية والشرق اللاتيني ، ص ١٩٦ . بينما كانت وفاة ملك صقلية عند أمبرويز في سنة ٥٨٥هـ/١٦ أو١٨ تشرين الثاني ١١٨٩م ، أنظر : صليبية رتشارد قلب الأسد ، ص ٥٦ .

. بردج (أنتوني) : تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٢.٥ .

الجسم لا يثير الكثير من الاهتمام حيث وجد نفسه منغمساً في المشاكل . إذ أعلن المسلمون في صقلية الثورة عليه . وتعرضت بلاده من برّ إيطاليا للغزو من قبل الألمان ، وحتى يستطيع تثبيت حكمه استدعى سفنه التي كان قد أرسلها وليم الثاني إلى الأراضي المقدسة ، وبفضل هؤلاء استطاع تانكرد إنزال الهزيمة بأعدائه . عرف ريتشارد أن ملك صقلية الجديد حرم أخته جوانا أرملة وليم الثاني من حقها في الميراث ، ومن أملاكها وأبعدها عن الدور المؤثر الذي كانت تقوم به في حياة صقلية ، فأراد ريتشارد المطالبة باسترداد حقوق أخته جوانا التي سلبت منها. عندما سمع تانكرد بوصول ريتشارد قلب الأسد خرج لاستقباله، وسار نحو خمسة أميال خارج المدينة ، واستقبله استقبالاً لائقاً ، واستضافه في قصره مدة ثلاثة أيام[١٧٩] تبادلا خلالها الهدايا ، وهمَّ ريتشارد بالانتقال للإقامة في ضاحية المدينة حتى لا يضايق ملك فرنسا الذي يقيم هناك، بالإضافة إلى سبب آخر أفصح عنه ريتشارد عندما قال : (إنه كان يعرف أنّ الفرنسيين متكبرون متعجرفون ، والإنكليز حملان متواضعون ، لذلك آثر الإقامة في ضاحية المدينة حتى لايكون اختلاط بينهما وخلاف)[١٨٠] وعندما تعرف تانكرد عن قرب على ريتشارد ، ورأى فيه الصدق والوفاء والروحية الطيبة لم يستطع كتمان ما قاله فيليب له : حيث كان فيليب قد وصف ريتشارد بأقذع الأوصاف ، وبأنه لا يمكن الوثوق به ، وأن ريتشارد سيستخدم القوة والعنف ضد تانكرد وشعبه . رد ريتشارد بقوله : (السوء لمقترفي الشرور أنا لا يمكن أن أصدّق هذا لأن فيليب مولاي ، ورفيقي المربوط بقسم خلال هذا الحج) . تانكرد قال : صديقي رتشارد يجب أن تصدّق ما قلته لأنني سأريك الرسائل التي أعطاني إياها ، وعندما استلم ريتشارد الرسائل من يد تانكرد غضب غضباً شديداً ، وبدأ يفكر كيف سيتزوج أخت فيليب الذي خان القسم بهذه الطريقة ؟ كيف سأتابع هذه الرحلة معه ؟ أي بدأ الخوف يتسرب إلى قلبه ، وعندما عرف فيليب القصة التزم الصمت في البداية لكنه حاول أن يؤكد زيف هذا الكلام ، وأنه مخترع لاتهامه به وإن ريتشارد لا يريد الزواج من أخته، وعلى هذا ردّ ريتشارد إني لا أكرهها لكنني لن أتخذها زوجه:

---

[١٧٩] . تواريخ أسرة بلانتغنت : ص ٢٣٥ .

[١٨٠] . ذيل تاريخ وليم الصوري (١١٨٤-١١٩٧) : ص ٣٦٩.

لأن أبي قد عرفها ، ولها ولد منه ، وحصل الكثير من الأخذ والرد ، وبالنتيجة تحلّل الملك الإنكليزي من خطوبة أليس ، وأخذ براءة من الزواج منها[١٨١]. بعض المصادر أكدت أنه لم يسمح لقوات ريتشارد التي سبقته إلى مسّينا بالدخول إليها ، وبقي رجاله خارج المدينة ٠ لماذا لم يسمح لهم بالدخول ؟ ورد على لسان أحد المؤرخين الذين رافقوا حملة ريتشارد : أن ذلك كان بسبب صفاقة أهلها التي لا تحتمل لأن هذا الشعب شرير (كان يعرف بالغريفيين)أيً إغريق حسب اصطلاح الصليبيين اللاتين ،(وكانت أكثريته من أصل إسلامي وكانوا دوما يوجهون الإهانة إليهم بالإشارة بأصابعهم إلى أعينهم أي الى أعين الجنود ، وتسميتهم كلاب قذرة)[١٨٢] بينما يقول روجر أوف ويندوفر في كتابه ورود التاريخ :ً لم يسمح لهم بالدخول إلى المدينة لأن الفرنسيين كانوا خائفين من أن كمية الطعام المتوفر لن تكون كافية للحشود التي تبعت الملكينً[١٨٣](أي السبب اقتصادي) لذلك لم يسمحوا لهم بالدخول ، ومنعوهم بقوة السلاح وقرروا إغلاق الأبواب في وجوهم . كما استخدم أهل المدينة طرقاً متنوعاً لإهانة هؤلاء الجنود، وقتلوا بعضهم ، وألقوا بجثثهم في مجاري القاذورات ، وحدثت الكثير من الجرائم وهدّدوا بالتصدي لهم بمختلف الوسائل ، وبذلك كشفوا عما تنطوي عليه صدورهم من غلٍ ومقت أسود، لكن جنود ريتشارد حسب ما جاء عند صاحب كتاب حملة الملك ريتشارد قلب الأسد إلى أراضي القدس المقدسة لم يحاولوا الرد عليهم بسبب قلّة عددهم وعدم توفر الأسلحة اللازمة، وقلّة بأسهم مقارنة مع الغريفيين.

لكن الأمر قد تغير عند وصول الملكين فيليب أُغسطس، وريتشارد قلب الأسد، ومعهما قوة كبيرة فأول ما قام به ريتشارد بعد أن عرف ما حصل لقواته، أرسل وحدة من عساكره اجتازت مضيق مسّينا ، واحتلت مدينة باجنار الواقعة على ساحل كلابريا، وأنزل أخته جوانا فيها ثم هاجم جزيرة صغيرة تجاه مسّينا مباشرة ، وكان بها دير يتعبدالليونانيون فيه ، فأمر باستخدام العنف ، والأساليب الوحشية ضد القائمين على هذا الدير ، وطرد رهبانهم منه وأحّل عساكره مكانهم ، وما

---

[١٨١] . تواريخ أسرة بلانتغنت : ص ٢٣٨.

[١٨٢] . حملة الملك ريتشارد إلى أراضي القدس المقدسة : ص ٣٨ .

[١٨٣] . ويندوفر (روجر أوف) : ورود التاريخ ، ص ٣٦٢ والتي تليها .

لقيه هؤلاء الرهبان من معاملة سيئة روّعت سكان مسّينا الذين كانوا في غالبيتهم يونانيين ، وسوّغ المؤرخون الذين رافقوا رحلة رتشارد قلب الأسد هذه الأعمال بأنها رد فعل على المعاملة السيئة التي لاقتها قوات ريتشارد من أهالي هذه المدينة الذين وجدوا أنفسهم أضعف من مجابهة هذه القوة . وعلى الرغم من ذلك لم يتوقفوا عن أعمال الإهانة والتحدي للجنود ، وإيذائهم ، وشتمهم . وهنا نتساءل عن سبب ذلك ؟ الإجابة على ذلك تقع في باب الاحتمالات . ربما أسهمت الغيرة على زوجاتهم ونسائهم اللاتي كان الجنود يتحدثون معهن غالباً بمقاصد شتى ، وربما أنّ تانكرد كان يخاف تطور الموقف بينه وبين رتشارد الذي طالب بحقوق أخته جوانا لذلك قام بتحريض الناس وعمّق الحواجز النفسية بينهم وبين الإنكليز الموجودة أصلا وهذا ما سيتم توضيحه ، والبحث فيه . تطور الموقف بشكل مأساوي بين الطرفين لسبب أو لآخر ، وقد أوردت بعض المصادر قصّة حول امرأة تبيع الخبز للجنود وأنه حصل خلاف بينها وبين أحد الجنود على الوزن أو على السعر أو في الحد الأعلى أنه رفض أن يعطِ المرأة التي تبيع الخبز ثمن رغيف خبز اشتراه منها ، أو رفض أن يعطيها السعر الذي طلبته فانفعلت المرأة ، وأهانت الجندي بعبارات بذيئة ، وتجمّع عدد كبير من أهل المدينة لدى سماعهم صوت المرأة ، وشتائمها ، وولولاتها ، فأمسكوا بالرجل ، وضربوه ضرباً مبرحاً بلا رحمة ولا شفقة ونتفوا شعره وسببوا له جراحات كبيرة ، وداسوه بالأقدام وتركوه ليموت، وكان ذلك في ٦ ذي العقدة ٥٨٧هـ/ الموافق ٣ تشرين الأول ١١٩١م[١٨٤].

هذه القصة أوردت كسبب مباشر لاحتلال المدينة ، أو الاستيلاء عليها ، ولكن هل هذه القصة هي السبب الحقيقي لاحتلال المدينة ؟ أليس من حق المرأة أن تأخذ الثمن الذي طلبته ؟! ثم هل ثمن رغيف خبز كان يساوي قتل إنسان ؟

أليس من الأفضل ، والأجدى أن تعالج مثل هذه الأمور البسيطة بالطريقة المثلى ؟

وذلك بإعطاء التعليمات للجنود بألا يكونوا مصدر قلق وإزعاج للناس ولاسيّما أنهم جاؤوا لإنقاذ الأرض المقدسة ، ومساعدة المسيحيين .

ألم يكن اللومبارديون مسيحيين ؟ ألم يستحقوا من إخوانهم المسيحيين المعاملة الطيبة ؟ وبالمقابل لماذا تعامل اللومبارديون بروح عدائية مع قوات ريتشارد ؟

الموضوع يحتاج إلى تقصٍّ وبحث . فالحقيقة دائماً تحتاج إلى من يبحث عنها .

---

[١٨٤] . الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد) : ج١ ،ص ٢٠٥ والتي تليها .– بردج (أنتوني) : تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٢٠٥ .

الأمر بسيط ، إذا ما عدنا قليلاً إلى الوراء لنتذكر معاناة أهل صقلية واللومبارديين على وجه التحديد ، وما جرى من غزو لهذه الجزيرة من قبل روربرت جيسكارد[١٨٥]، وابنه روجر لجزيرة صقلية ، وإخضاعه لها بالقوة . لذلك كان عامل الخوف هاجساً حكم تصرفات اللومبارديين ، وقد صدق هاجسهم ، وما كانوا يحسون به ، وهذا ما أثبتته الأحداث اللاحقة من احتلال للمدينة ، وقتل أهلها، ولكن بعض المصادر صوّرت ريتشارد بأنه لم يأت إلى هذه المنطقة إلا من أجل المحبة والسلام ونصرة الأرض المقدسة ، ورفع الحيف عنها ، وليقم بأداء حجه ، وأنه لن يتوقف عن الصلاة حتى يعود كل فريق بهدوء إلى مقره[١٨٦] ، لكن لو كان هذا صحيحاً لما حدثت مثل هذه المخالفات ، وكان بإمكان ريتشارد ضبط قواته وهو الرجل القوي القادر ، ولكن مثل هذا لم يحصل أبداً بل تركت الأمور للاجتماعات والمؤتمرات التي لم تحل شيئاً ، حيث عقد اجتماع ضم الملك فيليب ملك فرنسا ، والملك ريتشارد ، وقضاة صقلية ، وأعيان المدينة من أجل معالجة الأمور موضع الاختلافات ، لكن دون فائدة ، حيث تجدد الخلاف بين سكان المدينة ، وقوات ريتشارد ، ويقول أحد المؤرخين المرافقين لحملة ريتشارد قلب الأسد واصفاً الموقف على الشكل التالي : بينما كان الملك ريتشارد في أحد الاجتماعات مع ملك صقلية ، وأعيانها جاء اليه أكثر من رجل ليخبره بأن سكان المدينة يقومون بذبح الجنود دون رحمة أو شفقة ، عندها خرج الملك ريتشارد مسرعاً على حد زعم مؤرخه لإيقاف النزاع بين المتخاصمين ، وعندما وصل وجد كلا الفريقين في حالة هياج شديد حتى أن اللومبارد بدؤوا بمهاجمة ريتشارد نفسه ، ووجهوا له الشتائم وعبارات الإهانة . الأمر الذي لم يتحمله ريتشارد ، فأخذ سلاحه ، وأعطى الأوامر بالهجوم على

---

[١٨٥] . روبرت جيسكارد: نورماندي الأصل شغل دوراً خطيراً في مضايقة الإمبراطورية البيزنطية وبخاصّة في عهد الإمبراطور ألكسيوس كومانينا مما جعل الأميرة آنا كومانينا تتناوله هو وابنه بالتفصيل في كتابها الألكسياد وقد بلغ روربرت جيسكارد من الخطورة على عالمه يومذاك أن خاف منه البابا فخلع عليه لقب دوق أبوليا وكلابريا وصقلية، هذا وقد كان موت روبرت جيسكارد سنة ٤٧٧هـ/١٠٨٥م وباعتبار أنه نورماندي والمعروف تاريخياً أن هنري الثاني والد ريتشارد قلب الأسد دوق نورمانديا والملك لإنكلترا في الوقت ذاته كان من نسل وليم الفاتح ودوق نورمانديا بعد الفتح النورماندي لإنكلترا وهزيمة سكانها في معركة هاستنجس، انظر الحرب الصليبية الثالثة ، مؤلف مجهول : تر حسن حبشي ، ج١، ص ٢٩٧، تهميش رقم ٣٢٠ .

[١٨٦] . حملة الملك ريتشارد إلى أراضي القدس المقدسة : ص ٣٩٠ .

المدينة من البر ومن البحر[١٨٧]. عندها طلب اللومبارديون الحماية من الملك الفرنسي فيليب أُغسطس الذي استجاب لذلك رغم العهود المعقودة بينه وبين ريتشارد قلب الأسد !. أليس هذا أمراً محيّراً . ولماذا طلب اللومبارد الحماية من فيليب دون غيره ؟ للإجابة عن هذا السؤال يجب أن نعرف أولاً من هم اللومبارديين ؟ اللومبارديون . حسب ما جاء في كتابٍ تاريخ اللومبارديينً للمؤرخ بولس الراهب[١٨٨]، وهذا الكتاب مؤلف من ستة أجزاء ترجم إلى اللغة الروسية تحت عنوان تاريخ العصور الوسطى . مصادر أصلية : هم قبائل بربرية جرمانية حيث كانوا يقطنون شمال نهر الألب في القرن الأول الميلادي، وفي القرن السادس أقاموا جنوب نهر الدانوب ، حيث سمح لهم الإمبراطور البيزنطي جيستيانوس الأول بالإقامة هناك ، وكان يريد من هذه السماحية الإفادة منهم في مراقبة قبائل الجيد الذين أسسوا مملكة شمال نهر الدانوب الأوسط .

بعد موت جيستنانوس قويت شوكة اللومبارديين، فزحفوا باتجاه إيطاليا، واستولوا على وسط إيطاليا وشمالها حيث أطلق على شمال إيطاليا اسم لومبارديا نسبة إليهم.

وفي أواخر القرن الثامن الميلادي جدد اللومبارديون نشاطهم الحربي بغية السيطرة على إيطاليا كلها، فاستنجد البابا بمملكة الفرنجة ، وأرسل شارلمان قوات عسكرية إلى إيطاليا احتلت عاصمة اللومبارديين مدينة بافيا . وأسرت الملك اللومباردي ، وأجبرت الأمراء الآخرين على إعلان الخضوع لسلطة شارلمان ، وهكذا سقطت مملكة اللومبارديين بيد الفرنجة بعد أن عاشت في إيطاليا نحو قرنين من الزمن ، واختفى اللومبارديون كدولة من صفحات التاريخ[١٨٩].

وهنا لابدّ من لفت النظر إلى ملاحظة مهمّة وهي أن بعض المصادر مثل أمبرويز ، وكذلك المؤلف المجهول الذي رافق حملة ريتشارد قلب الأسد استخدما كلمة اللومبارديين استخداماً غير دقيق للدلالة على جميع الإيطاليين أو للدلالة على جميع سكان إيطاليا ، وهم بالتحديد ليسو

---

[١٨٧] . أمبرويز : صليبية ريتشارد قلب الاسد ، ص ٧٧-٩٧ . - حملة ريتشارد إلى أراضي القدس المقدسة ، ص٤٠ .

[١٨٨] . بولس الراهب: تاريخ اللومبارديين، ترجمة إلى الروسية ف ي ستيبانوفاو : أ. يا. شيفيلنكو، طبعة موسكو، ١٩٦٩م، ج١، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م، ص ٢٤ والتي تليها ، تمت الاستفادة من ترجمة الدكتور نعيم فرح لنصوص من الطبعة الروسية إلى اللغة العربية .

[١٨٩] . فرح (نعيم): تاريخ أوروبا السياسي في العصور الوسطى ، ص ٣٣ والتي تليها .

كذلك . وكنا قد أوضحنا الخوف الكامن في قلوب اللومبارديين من النورماند وأسبابه[١٩٠]. هذا سبب، والسبب الآخر أن فيليب أُغسطس عندما وصل إلى مسّينا لم يظهر التعالي والفوقية والعدوانية تجاه أهلها ، بل أظهر المودّة والبساطة والمحبة ، ولم تكن له طلبات على عكس ريتشارد الذي ما إن وصل ، وعرف بمشكلة أخته جوانا التي استبعدت من المدينة ، وحرمت من حقوقها حتى بدأ يطالب بإعادة حقوقها من ملك صقلية ، لكن أليس مشروعاً أن يطرح السؤال التالي : لماذا لم يخف اللومبارديون من الفرنسيين ، وهم الذين أزالوا دولتهم من صفحة التاريخ ؟ نعم هذا حصل لكن في سنة ١٥٦هـ/٧٧٣م ، عندما استولى شارلمان على لومبارديا أعلن نفسه ملكاً على اللومبارديين ، ولم يعط البابا الأراضي التي استولى عليها من اللومبارديين، بل بقيت بأيديهم[١٩١]لذلك صار قريباًمنهم وعدّوه ملكهم . أما لماذا استجاب فيليب على الرغم من العهود بينه وبين ريتشارد على التعاون ، والإخلاص. فيبدو أن فيليب لم ينس الحروب القاسية والطويلة بين فرنسا و(إنكلترا . نورماندیا) ، وأقدر بأنه كان يفكر في التخلص من هذه العهود ، والعودة إلى بلاده ، والانقضاض على ممتلكات بريطانيا في فرنسا وإعادتها إلى السيادة الفرنسية. أقول : ربما كان يفكر بذلك في تلك اللحظة ، الأمر الذي أظهره فيليب فيما بعد وفور استسلام عكّا[١٩٢].

نعود الآن إلى ما جرى في مسّينا حيث بادر الملك فيليب بدعوة من رئيس أساقفة المدينة ومارجريتيوس أمير البحر الصقلي وجماعة من الأعيان الذين جاؤوا إلى قصره وتوجه بهم إلى ريتشارد لتهدئة الموقف . ريتشارد عندما رآهم تبادر له أن مؤامرة دُبّرت ضده، وخاصة بعد أن سمع من الناس الذين كانوا مجتمعين على تل مجاور، وهم يصيحون بالشتائم والسباب مقروناً باسم ريتشارد ، فاستشاط غضباً، وترك الاجتماع ، وأعطى أوامره بالهجوم على مسّينا .

---

١٩٠ . الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد) : ج١، ص ٢٤ و ص ٢٩٧ الحاشية رقم ٣٥ .

١٩١ . دكتور حاطوم (نور الدين) : تاريخ العصور الوسطى في أوروبا ، منشورات دار الفكر ، دمشق ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، الجزء الأول ، من أواخر العصر الروماني إلى القرن الثاني عشر ، ص ١٥٤.

١٩٢ . العماد الأصفهاني (محمد بن محمد) : الفتح القسي في الفتح القدسي ، ص ٣٥٧ .– ابن شداد (أبو المحاسن يوسف) : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، ص ١٨٨ .

أما اللومبارديون فقد أغلقوا الأبواب ، وعزّزوا الدفاعات خلف الأسوار التي ألقوا من فوقها على جيوش ريتشارد الحجارة ، والنشاب من قسيهم مثل زخات المطر، وحققوا إصابات بالغة في صفوف قوات ريتشارد ، ولاسيّما أن الملك الفرنسي كما يقول أمبرويز : أعطاهم المزيد من العون ، مما شجعهم أكثر ، وزاد الاضطراب داخل المدينة التي كان الفرنسيون موجودين فيها، ويبدو أن مجموعة منهم خرجت من المدينة ، وحملت على إحدى المناطق حيث يسكن هيو دي برن ، وكانت حملة قوية، لكنهم ما إن سمعوا بقدوم ريتشارد حتى انهاروا وتراجعوا وهربوا إلى باب خلفي حاولوا الدخول منه إلى داخل الأسوار ، لكن ريتشارد هاجمهم ، وقتل الكثير منهم[١٩٣]، وهنا أدرك اللومبارديون أن الأمور سوف تزداد تعقيداً وأن ما حصل ما هو إلا مقدمة لما سيأتي لذلك عملوا على تقوية الدفاعات ، وحاولوا استنزاف قوات ريتشارد عبر الرمايات من فوق الأسوار . حاولت قوات ريتشارد الاستيلاء على الميناء المواجه للقصر ومحاصرة المدينة من ناحية البحر، ولكن ملك فرنسا الذي كان يقيم في القصر حال دون ذلك، لكن الهجوم من ناحية البر أنزل ضربات قوية في صفوف اللومبارديّين ، وحاولوا فتح الأبواب دون فائدة ، وتنبهوا إلى الباب الخلفي حيث وجد بدون حراسة، فهاجم ريتشارد من تلك الجهة ، ودخلوا إلى المدينة ، وحطموا الأبواب ، مما ساعد على دخول بقية الجيش الذي اقتحم المدينة[١٩٤] دون عناء ، أو مقاومة تذكر من قبل الأهالي الذين اكتفوا برمي القذائف من فوق الأسطح ، ومن الاستحكامات المنصوبة على أبراجهم، وغرفهم العالية ، وهذا لم يمنع من دخول عشرة آلاف جندي وعلى رأسهم ريتشارد إلى المدينة التي كان يدافع عنها حوالي خمسون ألف جندي من أهلها متعاونين مع الفرنسيين[١٩٥]. وهذه الأرقام مبالغ فيها كثيراً والدليل على ذلك أن اللومبارديين لم تنقصهم الشجاعة ، فعندما اقتحم ريتشارد المدينة ، ودخل جنوده البيوت ، قفز اللومبارديّون من فوق الأسطح ، ومن الأدوار

---

[١٩٣] . أمبرويز : صليبية ريتشارد قلب الاسد ، ص٨٠ والتي تليها .

[١٩٤] . الحملة الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشاردقلب الأسد) : ص ٢١١ . – أمبرويز : صليبية ريتشارد قلب الأسد : ص ٨٤ . – حملة ريتشارد إلى أراضي القدس المقدسة ، ص٤٠ .

[١٩٥] . أمبرويز : صليبية ريتشارد قلب الأسد ، ص ٨٣ .

العليا ليموتوا خوفاً من الوقوع في الأسر، مهما كانت الأسباب فهذه شجاعة من يمتلكها يقاتل ذوداً عن نفسه وعن بلده ولو كان عددهم كبيراً كما ذكرت المصادر الموالية لريتشارد لما استطاع جيشه دخول المدينة التي تم الاستيلاء عليها بسهولة ، كما قال أحد المؤرخين (بأبسط من تراتيل الصباح ينشدها القسيس مع إطلالة الفجر)[١٩٦] واستباحوا كل شيء ، هؤلاء الذين جاؤوا باسم الصليب واستحوذوا على أنبل نساء المدينة، واتخذوهن متاعاً.هذا من جهة ومن جهة ثانية لو كان عدد المقاتلون فيها خمسون ألفاً لكان عدد سكانها خمسة أضعاف على الأقل وهذه أرقام مبالغ فيها ويجب الوقوف عندها . الفرنسيون عندما شاهدوا الملك ريتشارد وبيارقه ترفرف على أسوار البلد وأبراجها تذكروا أنهم شركاء في كل شيء ، فأراد فيليب أن يشارك ريتشارد فيما حققه (مقاسمته الغنائم) ، على الرغم من أنه أحجم عن مدّ يد المساعدة إليه ، وهو في أصعب الظروف ، بل على العكس ، إذ جاهر بالوقوف ضده ، ونقض كل المواثيق ، ونكث بإيمانه وعهده وظل يقف بشتى الوسائل حتى منعه من الاستيلاء على الميناء ، والمدخل المؤدي إلى المدينة ، والآن وبعد أن حقق ريتشارد ما حققه ، وشاهد الرايات تخفق على الأسوار ، أكلته الغيرة ، فتشاور مع رجالاته ومستشاريه، فاتفقوا على أن يطلب من ريتشارد بأن ينزل أعلامه ورایاته باعتباره تابعاً لفيليب ، الأمر الذي أغضب ريتشارد ، ولم يرد على هكذا طلبات وعدّها أنها أقل قيمة من أن يُرد عليها ، ولاسيما وأن فيليب تجاهل حقوق الزمالة في عمل مشترك، ونكث في أيمانه وعمل عكس ما تفرضه هذه الأيمان[١٩٧]. وتدخّل بعض القوم لحل الإشكال بين الملكين، واستجاب ريتشارد، ورفعت رايات الملكين جنباً إلى جنب على الأسوار ربما يكون ذلك دليلاً على أن الملك الفرنسي لم يشترك في القتال إلى جانب اللومبارديين، الأمر الذي أكد حدوثه أمبرويز ، والمؤلف المجهول في كتابه الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين

---

[١٩٦] . الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد) : الجزء الأول، ص٢١١ . – حملة الملك ريتشارد إلى أراضي القدس المقدسة : ص٤٠ والتي تليها . – بردج (أنتوني) : تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٢.٥ والتي تليها..

[١٩٧] . صليبية ريتشارد قلب الأسد : ص٨٦ والتي تليها .– الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد) : ج١، ص٢١٢ والتي تليها .– حملة الملك ريتشارد إلى أراضي القدس المقدسة : ص ٤١ .

وريتشارد قلب الأسد) ، بل ربما يكون قد اكتفى بموقفه السلبي (أي لم يشترك بالقتال إلى جانب ريتشارد قلب الأسد) ، لذلك نراه أيضاً يطالب بحصته من الغنائم التي تم الحصول عليها ، حسب الاتفاق المبرم بين الملكين . لكن ريتشارد أجبر سكان المدينة على أن يقدّموا له الرهائن ليضمن نوعية سلوكهم تجاه قواته وخضوعهم التام، وتقديم الولاء المطلق والطاعة وعدم انقلابهم عليه وأعلن أنه على استعداد أن يستولي على كل الإقليم إذا لم يستجيبوا لطلباته ، وفي هذه الأثناء شيّد قلعة ضخمة من الخشب خارج المدينة أطلق عليها من قبيل الازدراء والاحتقار اسم (M M ategrifon)، أي لحام اليونانيين[١٩٨] ، وما حصل أقلق الملك الفرنسي، فأرسل ابن عمه دوق برنغنديا ليحذر الملك تانكرد ويعرض عليه المساعدة إذا ازدادت الأحوال سوءاً ، لكن تانكرد استطاع هذه المرة أن يقرأ الواقع كما هو ، ويقّدر الموقف بشكل جيد ، ولاسيّما أنه علم أن هنري السادس (إمبراطور ألمانيا) يوشك الإغارة على بلاده ، وأدرك أن أتباعه ليسوا في موضع ثقة ، وأن فيليب كغيره من ملوك فرنسا تربطه علاقات ودّية وطيبة مع أباطرة ألمانيا . ولهذا كله آثر تانكرد تحالفه مع ريتشارد على تحالفه مع فيليب ، ولاسيّما وأنه أدرك ضعف فيليب قياساً بريتشارد ، فرفض التحالف معه ، ودخل في مفاوضات مع الإنكليز وتمت التسوية بين الرجلين على أمور محددة، منها حقوق أخته جوانا ، ثم وافق ريتشارد بعد ذلك على أن يخطب لولي عهده الشاب آرثر(دوق بريتاني) إحدى بنات تانكرد ، وبعد أن كشف تانكرد ما كان يخطط له فيليب ، والاقتراحات التي عرضها عليه، قبل ريتشارد عن طيب خاطر أن تنظم هذه الشروط التي سبق الاتفاق عليها في معاهدة ، وتقرر أن يطلب من البابا أن يكون ضامناً لها كما تم رد جميع المنهوبات من مسّينا[١٩٩] نتيجة لصدور فتوى عن وولتر رئيس أساقفة روان Rouen قضت أن كل من لا يعيد المنهوبات التي أخذها سيكون خاضعاً للحرمان واللعنة[٢٠٠]. وعلى الرغم من الهزيمة المعنوية التي استطاع ريتشارد أن يلحقها بالملك فيليب ، إلا أن الأخير لم يظهر

---

[١٩٨] . أمبرويز ، المصدر السالف : ص ٩٢ .

[١٩٩] أمبرويز: المصدر السالف: ص٩١-٩٧ .

[٢٠٠] . حملة الملك ريتشارد إلى أراضي القدس المقدسة : ص ٤٣ .

اعتراضه علناً على ذلك ، وبعد أن تم إعداد المعاهدة بين تانكرد وريتشارد جاء فيليب إلى رفيق دربه الملك الفرنسي ، وتناقشا في الخطة المقبلة لسير الحملة ، وتقرر وضع قواعد لضبط أثمان المؤن ، والتزام الرجال بخدمة ساداتهم، وتخصيص نصف أموال الفارس لسد حاجات المحاربين الصليبيين وتحريم لعب القمار إلا على الفرسان ورجال الدين، فإذا أسرفوا وجب إنزال العقوبة بهم . وعلى الرغم من كل هذه التسويات بقيت الكثير من الأمور العالقة بين الملكين لم تحل، ولم يتم تسويتها، ومنها مشكلة أليس أخت الملك فيليب وزواجها من ريتشارد ، الأمر الذي رفضه ريتشارد كما أسلفنا ، للأسباب التي تحدثنا عنها، فغضب فيليب، وأراد أن يرحل إلى الشرق، لكن الظروف كانت غير مواتية ، مما أجّل الرحلة إلى أول ربيع الأول سنة ٥٨٧هـ الموافق ٣٠ آذار ١١٩١م. وفي الآونة الأخيرة التي طالت فيها إقامة الجيوش الإنكليزية ، والفرنسية في مسّينا تذمّر الناس، وخاصة الفرسان من جيش ريتشارد، لأن الإقامة كلفتهم الكثير من النفقات، وخاصة بعد ما أعيدت منهوبات مسّينا إلى أصحابها ، فضجّ الجميع بالشكوى إلى أن وصلت إلى الملك ريتشارد الذي عمل على معالجة الأمر بالكثير من الحكمة والجديّة ، خوفاً من تطور الأوضاع وأن تصل إلى مرحلة التمرد ، فأغدق العطاء ووزعه على الجميع كل حسب مرتبته إلى حد أن كل شخص ، وإن لم يكن فارساً أخذ منة قطعة نقدية ، وحتى النساء أخذن نصيبهن[٢٠١].(ويبدوا أن هذا الرقم مبالغ فيه). وهذا التذمر لم يشمل فقط جنود ريتشارد ، بل أيضاً جنود الملك الفرنسي الذي قام بدوره باسترضائهم وتوزيع الأعطيات لهم كل حسب مرتبته[٢٠٢] كما تضرر من هذه الإقامة الطويلة الجنود من أصول جنوية وبيزية ، وهم من الذين كانوا يشتغلون بالتجارة ، فأضرّتهم هذه الإقامة الطويلة ، مما أدى إلى قيام صراع بينهم وبين حراسات ريتشارد قلب الأسد ، وهذا ما سيتم بحثه في الفقرة التالية .

. الصراع بين البيازنة ، والجنوية من جهة ، وريتشارد قلب الأسد من جهة ثانية: تذكر بعض المصادر أن البيازنة

---

[٢٠١] . الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد) : ج١ ،ص ٢٢١ والتي تليها .– أمبرويز: صليبية ريتشارد قلب الأسد ، ص ٩٩.

[٢٠٢] . المصدر السالف : ص ١٠٠ .

والجنوية وبعد أن تمادوا في الشرب في احتفال عيد الميلاد الذي أقامه ريتشارد قلب الأسد ودعا إليه الملك الفرنسي فيليب ، قاموا بالهجوم على حرس الأسطول الإنكليزي الراسي في الميناء ، وأعملوا فيهم السيف فقتلوا الكثير وجرحوا عدداً كبيراً في تلك الليلة ثم أعادوا الكرة في صباح اليوم التالي وكأنّهم يريدون القضاء على من تبقمنهم أحياء[٢٠٣]، إذاً الأمر ليس صدفة ، أو نتيجة للتعاطي المفرط في الشرب ، ولو كان الأمركذلك لما أعادوا الكرة في صباح اليوم التالي ، فالأمر مخطط له كما يبدو ، ولو دققنا في هذا الموضوع لمعرفة الأسباب الكامنة وراء هذا الحادث لاستطعنا القول : باعتبار أن البيازنة والجنويين هم الأكثر اهتماماً بالتجارة ، والربح وتحصيل الأموال ، وقد وعدوا بالحصول على الكثير منها ، واستعادة مكانتهم التجارية وممتلكاتهم التي فقدوها في المدن الساحلية الفلسطينية[٢٠٤]، لكن الإقامة الطويلة في صقلية ، والحروب المفتعلة هناك والخلافات بين الملكين جعلت هؤلاء يشكون فيما وعدوا به ، وأدركوا أنهم سيكونون حطباً لمعارك ليس لهم فيها ناقة أو جمل ، لذلك عبرّوا عن مكنوناتهم بهذا العمل . هذا من جهة ومن جهة ثانية ربما المئة قطعة النقدية التي حصل عليها كل فرد في جيش ريتشارد لم تطل البيازنة والجنوية فكانت ردة الفعل هذه .

وغضّ أمبرويز الذي كان شاهد عيان في احتفال عيد الميلاد النظر عن هذه الحادثة ولم يذكرها ، ولا ندري ما الأسباب التي جعلت أمبرويز يفعل ذلك سوى أنه أحد المعجبين بريتشادرولا يريد إبراز مثل هذه الحوادث .

- الصراع بين ريتشارد قلب الأسد وبين إمبراطور قبرص إسحق كومينوس :

وبعد هذه الإقامة الطويلة في صقلية ، والتي كان من نتائجها ما تحدثنا عنه كان لا بد من التوجه إلى عكّا ، فأبحر فيليب أُغسطس من مسّينا بداية ربيع الأول سنة ٥٨٧هـ/ نهاية شهر آذار ١١٩١م ليصل إلى صور حيث رحب به قريبه كونراد مونتفيرات ترحيباً شديداً ثم صحبه

---

٢٠٣ . الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين ريتشارد قلب الأسد) : ص٢٢٢ .

٢٠٤ - صبره(عفاف سيد) : العلاقات بين الشرق والغرب ، دار التهضة العربية للطبع والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط١ ،١٩٨٣ م ، ص١٨٦ .

إلى قبالة عكّا ، وكان ذلك يوم السبت ١٢ ربيع الأول من سنة ٥٨٧هـ/ الموافق ١٠ نيسان ١١٩١[٢٠٥]، وكان لوصول فيليب إلى قبالة عكّا أثر طيب بين صفوف الصليبيين الذين انتظروا طويلاً هذا الوصول ، فأظهروا الفرح والسرور[٢٠٦]، وعلى العكس من ذلك بدأ المسلمون يتوجسون خيفةً من وصول هذه القوة الجديدة ، ولا سيما أن ملك فرنسا كما يقول أبو شامة : عظيم عندهم ، ومن كبار ملوكهم ينقادون له بحيث إذا حضر حكم على الجميع[٢٠٧] لكن قوة الملك ليست كما كانوا يتوقعون ، فقد كانت قواته قليلة العدد ، حيث كان وصوله في ست بطس[٢٠٨] على حد قول ابن الأثير والعماد الأصفهاني وأبو شامة ، وهذا ما هدأ من روع المسلمين، وخفف من قلقهم ، وجعلهم أكثر تفاؤلاً ، فقد كانوا يتوقعون مجيئه بجيوش جرارة كثيرة العدد وافرة العُدّة ، إضافة إلى ذلك لم تسر الأمور كما اشتهى الصليبيون ، فبوصول فيليب أُغسطس إلى عكّا تعمق الشرخ ، و ازداد الصراع القائم بين الصليبيين ، ولاسيّما أنّ فيليب هذا انحاز كليةً إلى قريبه كونراد الذي بدأت أطماعه تتوضح أكثر ، فأكثر، في السلطة التي كان يخوض صراعاً مريراً من أجلها ضد الملك العتيق غي لويزنيان ، الذي ما إن علم أن ريتشارد قد وصل إلى قبرص حتى فرّ مسرعاً إليه طلباً في كسب ودّه ، وكسب عطفه وتأييده ضد الكارهين لآل لويزنيان ، وعلى رأسهم كونراد مونتفيرات الذي احتمى بفيليب أُغسطس ملك فرنسا[٢٠٩]، وما إن وصل غي إلى قبرص حتى أخبر

---

[٢٠٥] . ابن الأثير (أبو الحسن علي): الكامل في التاريخ ، م١٠، ص ٢٠٤ . – ابن شداد(أبو المحاسن يوسف): النوادر السلطانية،ص ٢٣٤ .– أبو شامة(عبد الرحمن بن اسماعيل): الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، ج٢، ص ١٨٣ .

[٢٠٦] . ذيل تاريخ وليم الصوري (١١٨٤–١١٩٧) : ص ١٥٥ .

[٢٠٧] . ابن شداد (أبو المحاسن يوسف): النوادر السلطانية والمحاسن السلطانية ، اختار النصوص وقدم لها محمد درويش، منشورات وزارة الثقافة دمشق ١٩٧٨ ، طبعة ثانية ، ص ٢٣٤ .– الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية : جزء٢ ، ص ١٨٣ .

[٢٠٨] . البطس: جمع بطسة ، وهي مأخوذة عن الإسبانية، وتعني السفينة الكبيرة ، والأصل أن تستخدم للحرب وقد تستخدم للتجارة ، وترد أحياناً بطسة، فقد ذكر ابن واصل خبر أعداد بطسة عظيمة في بيروت من قبل السلطان صلاح الدين وأودعها....، أنظر ابن واصل : فرج الكروب في أخبار دولة بني أيوب، ج٢ ، ص ٣٣٠ والتي تليها . – المقريزي : السلوك، الجزء الأول ، قسم أول ، ص ٧٧ .

[٢٠٩] . حملة الملك ريتشارد إلى أراضي القدس المقدسة : ص ٦١ .

– Norgate(K)Richard The lion heart london ,1924,p145. – عاشور (سعيد عبد الفتاح): قبرص والحروب الصليبية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، د . ط ، ١٤٢٣هـ/٢..٢م، ص٢٧ .

ريتشارد عن كونراد وفي روايات أخرى ذكر أن ريتشارد نفسه طلب المساعدة من القوات التي تحاصر عكّا من أجل الاستيلاء على قبرص ، فأرسلوا اليه نجدة بقيادة غودفري أخي الملك العتيق غي لوزنيانً[٢١٠] وصحب غي إلى قبرص بوهيموند الثالث أمير إنطاكية ، وغيره من الفرسان ، بينما شذ عن هؤلاء رئيس الإسبتارية لأنه أراد أن يضع حداً لهذه الخلافات المريرة والصراعات القاسية وأراد أن تصرف كل الجهود لمواجهة صلاح الدين وجيوشه ، ومساعدة الصليبيين الذين يحاصرون عكّا ، لكن يبدو أن هؤلاء القادة قد انصرفوا إلى طموحاتهم الشخصية ، وانشغلواعن الأمر الأساسي الذي جاؤوا من أجله، كما يقول المؤلف المجهول في كتابه حملة الملك ريتشارد إلى أراضي القدس المقدسة: إن ملك فرنسا لن يقوم بالهجوم على عكّا....، وإنه أضاع جهوده في مهام عبثية ، وإنه يتولى بلا توقف تعذيب مسيحيين أبرياء ومطاردتهمً [٢١١]. ونعلم انحياز مؤلف هذا الكتاب إلى ملكه ريتشارد ، لكن أيضاً يبدو أن فيليب أُغسطس ملك فرنسا بدوره انغمس في الصراعات الدائرة بين الصليبيين بانحيازه إلى كونراد مونتفيرات فهو قريبه أولاً ، ورأى أن يقف إلى جانبه ضد غي لويزنيان الذي تربطه بريتشارد روابط كثيرة أقلها أن آل لويزنيان هم من أتباعه ، وعزز كل ذلك الخلاف الذي نشأ بينهما في مسّينا أصبح كل منهما يحمل الكثير من الخوف والتوجس تجاه الآخر على خلفية الصراع بين بلديهما وبذلك عاد شبح النزاع بين الملكين الفرنسي والإنكليزي ليخيم على كل شيء، وانعدمت الثقة على الرغم من كل ما أظهراه من اتفاق أمام الناس ، حيث التقيا، وقدم كل منهما احترامه للآخر .

ولكن كيف وصل ريتشارد إلى عكّا ؟ انطلق من مسّينا في ربيع الأول ٥٨٧هـ/ الموافق نيسان ١١٩١/ قاصداً عكّا ، غير أنه على الرغم من الخطة التي وضعها لمسير أسطوله والتي تضمن بقاء السفن متقاربة بعضها من بعض . هبّت رياح قويّة صباح الرابع عشر من ربيع الأول ٥٨٧هـ/ والموافق الثاني عشر من نيسان ١١٩١م، ففرقت السفُن وبعثرتها وبعد خمسة أيام

---

[٢١٠] . العماد الأصفهاني(محمد بن محمد) : الفتح القسي في الفتح القدسي ، ص ٣٢١.

[٢١١] . حملة الملك ريتشارد إلى أرض القدس المقدسة : ص ٦٤.

وصل ريتشارد إلى جزيرة كريت ، وعلم أنّ خمساً وعشرين من سفنهِ مفقودة ومن بينها التي تحمل أخته جوانا ، وخطيبتهُ برنغاريا[٢١٢]. لذا إتّجه ريتشارد إلى رودس[٢١٣] للبحث عن سفنه الضالة ، فلم يجدها هناك، بعدها توجه إلى قبرص[٢١٤]، حيث جنحت بعض السفن الإنكليزية إليها ، وكان في قبرص حاكمٌ بيزنطي اسمه إسحق كومينوس[٢١٥] الذي ما إن علم بجنوح تلك السفن حتى أسرع إلى مصادرتها ونهبها وأسرِ بعض رجالها ، وتكبيلهم بالحديد وفقاً لسياسته التقليدية ضد الصليبيين[٢١٦] حيث انطلقت سياسته دائما من موقع الشك والريبة انطلاقا مما كانوا يقدمون عليه دائما من نهب وسلب وقتل في معظم الأراضي التي مرّوا بها ، ثم وصلت إلى ميناء ليماسول في ٢٧ ربيع الأول سنة ٥٨٧هـ/ الموافق ٢٥ نيسان ١١٩١م ثلاثة سفن أخرى من سفن ريتشارد تحمل إحداها أخته جوانا وخطيبته برنغاريا ، وجزءاً كبيراً من المتاع الملكي[٢١٧]، فلما علم

---

[٢١٢] . Norgate(K)Richard The lion heart , london ,1924,p141- وبرنغاريا هي ابنة ملك نافار (في اسبانيا) حيث قامت اليانور والدة ريتشارد قلب الأسد بخطوبتها لابنها ريتشارد في سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م انظر: Stubbs : op , cit , p 185.

[٢١٣] – رودس : جزيرة في بحر الروم فتحها المسلمون في زمن معاوية – امتداد الجزيرة من الشمال إلى الجنوب بانحراف نحو خمسين ميلا وغرضها نحو نصف ذلك وتقع إلى الغرب من قبرص بانحراف إلى الشمال . انظر :أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص١٩٤ والتي تليها .

[٢١٤] . قبرص:جزيرة في وسط الركن الشمالي الشرقي من البحر المتوسط، بين خطي عرض ٣٤درجة و٣٦ درجة شمالاً ، وخطي طول٣٢ درجة و٣٥ درجة شرقاً ، سماحتها ٣٥٨٤ ميلاً مربعاً ، مما جعل الجغرافيين العرب يعتبرونها من أعظم جزائر بحر الروم (المتوسط) ، انظر ابن خرداذبة (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله) : المسالك والممالك ، ليدن،١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م، ص ٢٣١، ويذكر ياقوت الحموي أن قبرص وافقت من العربية القبرص ، وهو النحاس الجيد (أي أن اسمها اشتق من اسم النحاس الجيد ، أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، الجزء السابع ، ص ٢٦٠ .

[٢١٥] اسحق كومينوس : هو ابن شقيق الامبراطور البيزنطي عمانوئيل الأول (٥٣٧هـ/١١٤٣م -٥٧٦هـ/١١٨٠م)كان اسحق كومينوس حاكما في كليكيا في منتصف القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي . وعلى اثر ثورة قام بها الأرمن هناك استولوا على السلطه خلالها وسجنوا اسحق كومينوس وبقي في السجن حنى سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م. على أن الذي جرى بعد ذلك غير واضح فالمؤرخ اليوناني نيكيتاس كونياتس يقول : انه زور رسائل عيّن فيها نفسه حاكما على قبرص . وهنا يقول بترو ادبوري في كتابه قبرص والحروب الصليبية أن نيكيتاس كان يكره اسحق كومينوس ويخاصمه لذلك كانت كتاباته في هذا الموضوع مثيرة للشك .وهناك من يقول : إن اسحق كومينوس عين بصورة شرعيه حاكمالقبرصمن قبل الأوصياء على ابن عمه الكسيوس الثاني الصغير السن (أمه كانت وصية عليه)وسمى نفسه امبراطور . وبعد ذلك أعلن عصيانه اثر الانقلاب الذي قام به أندرونيكوس على الكسيوس الثاني وأمه الوصية عليه ، وتحالف اسحف كومينوس مع صقليه لمواجهة أندرونيكوسالذي استولى على السلطة في القسطنطينية . انظر : أديوري (بترو) : قبرص والحروب الصليبية ، ص١١ والتي تليها .

[٢١٦] . Matthaw Of Westminister: history of crosadis(4vols) Paris 18.7 vol2.p115 – ذيل تاريخ وليم الصوري (١١٨٤–١١٩٧) ، ص ٣٨٥ . – ويندوفر(روجر أوف) : ورود التاريخ ، ص ٣٦٩ .

[٢١٧] . أرنول: ذيل تاريخ وليم الصوري (١١٨٤–١١٩٧)، ص ٣٨٢ .

إمبراطور قبرص بذلك ذهب بنفسه إلى ليماسول ، وطلب من الأميرتين النزول إلى البر ، ولكنهما أصرتا على الرفض ، وأخبرتا أنهما لا تستطيعان النزول بدون إذن الملك ، وعندئذ فكر إسحق باستخدام القوة لإنزالهما ، وما زال يهدد ، ويرعد ، ويتظاهر ببعض سفنه في الميناء حتى قبلت الأميرتان النزول إلى الشاطئ خوفاً ، وبينما هن كذلك تستعدان للنزول ظهرت سفن ريتشارد قادمة من بعيد ، فتغير الموقف تماماً[٢١٨]، ذلك أن ريتشارد أرسل إلى الإمبراطور محتجاً على ما حدث ، وطلب منه تقديم الإعتذار ، لكن الإمبراطور رفض ، وأهان الرسول ، فعزم ريتشارد على تأديبه ، واستولى في الحال على خمس سفن في ميناء ليماسول ، ثم أنزل رجاله إلى البرّ، وأعطاهم الأوامر للإستيلاء على المدينة ، وأعقب ذلك في اليوم التالي هجوم على إسحق وجنوده في سهل مجاور ، فانهزم القبارصة ، وفر إسحق تاركاً رجاله وذخيرته وخزائنه ورايته الإمبراطورية للإنكليز ، واختار ريتشارد أن يكلل ذلك النصر بالزواج من خطيبته برنغاريا[٢١٩]، وكان ذلك في العاشر من ربيع الثاني سنة ٥٨٧هـ/ الموافق الثامن من أيار ١١٩١م ، عندها حزن الإمبراطور إسحق كومينوس حزناً عميقاً ، وشعر بالمذلة والمهانة لما فقده من رجال ، ولأنّ قواته لم تستطع الصمود في وجه قوات ريتشارد ، ولأنّه لم يمتلك الحكمة والرأي ، الأمر الذي جعل الأمور تصل إلى هذه النتيجة ، ويبدو أن رئيس الإسبتارية الذي وقف على الحياد في القضية توسط بين إسحق وريتشارد ، وانتهى الأمر إلى إيجاد تسوية

تستند إلى النقاط التالية:

١. أن يقوم الإمبراطور إسحق كومينوس بتقديم الولاء لريتشارد ، وأن يقسم على ذلك .

٢. أن يقوم بتقديم تعويضات عما خسره الملك ريتشارد في هذه المعارك .

٣. تقديم ٥٠٠ فارس ، وإرسالهم إلى الحرب في الأرض المقدسة تحت قيادة ريتشارد .

- Norgate(K)Richard The lion heart london ,1924,p141. -

[٢١٨] . تاريخ هرقل ، ص ١٦. والتي تليها . - ذيل تاريخ وليم الصوري (١١٨٤-١١٩٧) ، مصدر سالف، ص ٣٨٣.

[٢١٩] . أمبرويز: صليبية ريتشارد قلب الأسد، ص ١٣٦ . - ذيل تاريخ وليم الصوري (١١٨٤-١١٩٧) : ص ٣٩٣ . - ستيفين رونسمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج٢ ، ص ٩٢ . - بردج (أنتوني) : تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٢٠٧ .

٤. تقديم ضمانات للملك ريتشارد منها وضع القلاع في قبرص بما تحتويه من ميراث غني تحت تصرف ريتشاردقلب الأسد وحراسته .

٥. دفع تعويض عن كل رجل فرنجي قُتل في أثناء الاضطرابات مقداره ٣٥٠٠ مارك[٢٢٠].

وتم الاتفاق بعد أن تشاور ريتشارد مع كبار مستشاريه ولورداته الذين وافقوا على هذه الشروط ، وعندها قدّمَ الإمبراطور إسحق يمين الولاء للملك ، وأعطاه الضمانات التي تم الاتفاق عليها ، ولكن اليوم نفسه، وبعد أن قام أحد رجال الإمبراطور بتحريضه وإقناعه بأن الملك ريتشارد لن يعدّه إلا أسيراً من الأسرى . فر الإمبراطور بعد أن امتطى ظهر حصانه وسار مسرعاً بعيداً ، وكأنه ذاهب إلى حفلة فرح ، وعندما علم الملك ريتشارد بذلك لم يلحق به ، إنما أمر بالتماسه براً وبحراً ، والبحث عنه من قبل غلاييننه [٢٢١] التي كانت تبحر في تلك الليلة، ووصل الملك إلى فيما غوستا[٢٢٢] بعد ثلاثة أيام ، ومعه الملك غي ، وكان ريتشارد راغباً في تسوية الأمور . لكنه أمر بتشديد المراقبة في كل الاتجاهات ، والأماكن حتى لا يستطيع أحدهم الفرار ، في هذه الآونة وصل إلى الملك ريتشارد رسولان من الملك الفرنسي يستحثانه للإسراع إلى عكّا التي تنتظره بفارغ الصبر , لكنه رفض وأكّد أنه لن يذهب قبل أن يسحق القبارصة ، وتحرك مباشرةً إلى نيقوسيا[٢٢٣]، حيث سمع أن الإمبراطور مختبئ قريباً من هناك ، ويبدو أنه كان للإمبراطور بعض العيون تخبره بالوضع ، حيث عندما علم بقدوم قوات الملك ريتشارد فاجأها بهجوم سريع مباغت بقوة تقدر بسبعمائة رجل تركت الطليعة تتقدم ، وهاجمتها من الأجناب، في الوقت الذي اندفع الإمبراطور باتجاه الساقة لأنه ، وكما يبدو كان يعلم أن الملك ريتشارد فيها ، واندفع الملك باتجاه الإمبراطور الذي فر في الحال إلى كانتارا حيث قلعته الحصينة ، لكن الملك توجه إلى نيقوسيا التي أعطته ولاءها ، وأمر كل رجل فيها أن يحلق لحيته للدلالة على خضوعهم

---

[٢٢٠] . أمبرويز: صليبية ريتشارد قلب الأسد ، ص ١٣٢. .

[٢٢١] . الغلايين: جمع غليون، وهو مركب حربي قديم، وكان يتسع لزهاء ألف من الجنود ، وهو في الأصل إسباني، أنظر زكي (عبد الرحمن) : السلاح في الإسلام ، دار المعارف بمصر ، د .ط ، د . ت ، ص ٤٦.

[٢٢٢] . فيما غوستا : مدينة قبرصية تقع على الساحل الشرقي للجزيرة أنظر : قبرس والحروب الصليبية ، ص٩٧ .

[٢٢٣] . نيقوسيا : مدينة قبرصية وهي عاصمة الجزيرة حاليا .أنظر : المرجع السالف الصفحة نفسها .

وولائهم[٢٢٤]، وعندما سمع الإمبراطور بذلك غضب غضباً شديداً ، فأساء معاملة كل من جاء في طريقه ، أمّا من استطاع أخذه من رجال ريتشارد، فقد قطع أيديهم ، وبتر أرجلهم ، وجدع أنوفهم، وسمل عيونهم . عندها تطورت الأمور فقسم ريتشارد جيشه إلى ثلاثة أقسام كل قسم يعمل وحده ، وألقى الحصار على ثلاث قلاع ، واستولى بسرعة على اثنتين ، وتوجه أحد الجيوش إلى(كيرينا وهي مدينة حصينة تقع على الساحل الشمالي للجزيرة) ، حيث كان يقود هذا الجيش ملك القدس غي لويزنيان الذي حاصر القلعة من البر والبحر إلى أن استسلمت ، وأسر ابنة الإمبراطور وانتقل منها إلى ديو دامورً قلعة القديس هيلاريونً وهي قلعة حصينة لكن الملك غي شدّد الحصار عليها إلى أن تم الإعلان عن استسلامها. وفي هذه الآونة كان الملك ريتشارد يعاني من مرض أقعده في نيقوسيا، وعندما شعر بالتحسن ذهب وحاصر قلعة بوفانتو ، وكانت حصناً واسعاً جداً ، ويبدو أن الإمبراطور كان متحصناً في كنتارا ، وعندما أدرك أن الحصن أصبح محاصراً وأن ابنته أصبحت من تعداد الأسرى أدرك أن لا مفر من الاستسلام ، فنزل من كنتارا ، وذهب إلى ريتشارد مستسلماً طالباً الرحمة التي منحه إياها الملك ، وبهذا استولى ريتشارد على قبرص كاملةً ، وأسر الملك وابنته ، وبعدما استولى ريتشارد على جزيرة قبرص باعها إلى الداوية بمبلغ مائة ألف دينار إسلامي . والداوية أرادوا أن يتعاملوا مع سكان قبرص كتابعين إقطاعيين لهم، وإجبارهم على الخضوع لإرادة مجموعة منهم لا تتجاوز العشرين فرداً من رهبان الداوية ، لكن القبارصة وما يكنونه من حقدٍ ، وكراهيةٍ للصليبيين رأوا أنّ هؤلاء جاؤوا لإذلالهم ونهب ثرواتهم، فهبوا ضد هؤلاء ، وحاصروهم في قلعة نيقوسيا الأمر الذي لم يستطع الداوية التصدي له أو منعه ، بل رأوا أنّهم لا يستطيعون أن يحموا أنفسهم وإنهم سيتعرضون للقتل دون رحمة ، لذلك طلبوا من القبارصة أن يسمحوا لهم بالخروج عن طيبة خاطر ، لكن القبارصة رفضوا ذلك، وقرروا الانتقام من الصليبيين اللاتين[٢٢٥]، لكن يبدو أنهم تدبروا أمر خروجهم ، وذهبوا إلى عكّا في الوقت الذي يقول صاحب كتاب ذيل تاريخ وليم

---

[٢٢٤] . أمبرويز : المصدر السالف، ص١٤٧ . – ذيل تاريخ وليم الصوري (١١٨٤–١١٩٧) : مصدر سالف ، ص ٢٠٧ . ٢٢٣ .

[٢٢٥] . ذيل تاريخ وليم الصوري، (١١٨٤–١١٩٧) : ص ٤١٢ والتي تليها .

الصوري : إنهم قاتلوا القبارصة ، وانتصروا عليهم ، وخرجوا إلى عكّا ، ولو كان ذلك صحيحاً لبقوا في قبرص وسيطروا عليها وقمعوا أهلها وحكموهم بالقوة ، لكن ذلك لم يتم ، بل ذهبوا إلى ريتشارد ، وطالبوه باسترجاع أموالهم وأنهم لا يستطيعون الإقامة في الجزيرة والإحتفاظ بها ، في البداية رفض ريتشارد ، لكنه استعادها منهم ، وباعها إلى غي لوزنيان الملك العتيق الذي فقد كل شيء ، فبقي بدون إرث ، وبدون مملكة ، فأراد أن يُمَنيَ نفسه بإقامة مملكة له فيها ، أما ريتشارد فقد تجهز هو وجيشه للإبحار إلى عكّا بعد أن عين من رجاله من يقوم بحكم الجزيرة، وأوصاهم بإرسال المؤن والدقيق والمواشي والنبيذ وغيرها من غلات الجزيرة إلى الصليبيين بالشام[٢٢٦]، وأبحر بعد ذلك إلى عكّا فوصلها في ١٣ جمادي الأولى ٥٨٧هـ/ الموافق التاسع من حزيران ١١٩١م ، وبصحبته الإمبراطور إسحق الذي أرسله إلى حصن المرقب ، حيث بقي في حراسة الإسبتارية حتى وفاته سنة٥٩١هـ/١١٩٥م[٢٢٧]، وكان سبقه إلى عكّا الملك الفرنسي الذي وصلها يوم السبت ١٢ ربيع الأول ٥٨٧هـ/ الموافق ٨ نيسان١١٩١م

وصول فردريك دي سوابيا والاضطرابات الداخلية

كان فردريك السوابي ابن الإمبراطور فردريك بربروسا قد وصل إلى أنطاكية في ١٦ جمادى الأولى سنة ٥٨٦هـ/ الموافق للحادي والعشرين من حزيران ١١٩٠[٢٢٨]م مع بقايا جيش والده الذي لاقى حتفه في نهر سيليف (silifke)[٢٢٩] ، حيث قام أمير أنطاكية بوهميوند بتسليم المدينة

---

[٢٢٦] . Hill(G) A History of Cyprus (3vols) cambridage,194.-1948,p.148. .

[٢٢٧] . تاريخ هرقل : ص ١٦٨ والتي تليها .– باركر (أرنست) : الحروب الصليبية ، مرجع سالف ، ص ٨٩.

[٢٢٨] .. , Setton(K.M) Ahistory of the crusad,vol1,london 1962,p.89 – ذيل تاريخ وليم الصوري (١١٨٤–١١٩٧) : ص٣٧٥ . – العريني (السيد الباز) : الشرق الأوسط والحروب الصليبية ج١، ص ٨٨٧ .

[٢٢٩] -ذكرت المصادر العربية ان فردريك بربروسا عندما وصل الى طرسوس سبح في نهرهاوكانت المياه بارده فمات. انظر : -

أبوشامه : الروضتين في أخبار الدولتين ، ج٤ ، ص٧٦ .

ابن كثير : البدايه والنهايه ، ج١٢ ، ص٣٧٨ .

سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ،ج٨ ، ص٤٠٣ .

وذكر غروسيه أنه مات في نهر سلوقيه silifke في ١٠ حزيران سنة ١١٨٩م . انظر : غروسيه : الحروب الصليبية ، تر أحمد ايبش ،ص٢٩ .

وجميع حصونها إلى الدوق إيماناً منه بأن هذا التسليم هو الأفضل من أجل الحفاظ عليها والأكثر فاعلية من أجل حمايتها والإبقاء عليها[٢٣٠]، لكن يذكر ابن شداد أن فردريك السوابي أرغم بوهيموند الثالث أمير أنطاكية على تسليمه إياها (يشك في هذا لأن فردريك دي سوابيا عندما وصل إلى أنطاكية كان مريضاً ، وجيشه قليل العدد ، لكن يبدو أن بوهيموند أراد أن يستفيد من هذا الجيش في المحافظة على إمارته) أو ربما أراد أن يستولي على خزائن فردريك السوابي ، التي كان يحملها معه ، فهو سيضعها في أنطاكية ، وعندما يغادر إلى الأرض المقدسة لن يعود ، وتبقى هذه الخزائن بما فيها لبوهيموند[٢٣١] فلما تسلّمها غادرفردريك السوابي إلى طرابلس ، وأقام فيها حتى استجم عسكره مما لاقوه من متاعب أثناء الانتقال إليها ، وأرسل إلى النازلين في محيط عكّا يخبرهم بقدومه إليهم ، ولكنهم انزعجوا وأصابتهم الحمى من ذلك الخبر، لأنَّ المركيز صاحب صور هو رب مشورته وأقرب الناس إلى قلبه[٢٣٢]، ولكن قبل أن يأتِ إلى طرابلس أرسل الأمراء المحاصرون لعكّا وفداً إليه ، وأشاروا عليه أن يبقَ حيث هو في أنطاكية وشرحوا الأسباب الموجبة ، وألحوا عليه في هذا الطلب ، وإنَّ فتح جبهة جديدة من جهة الشمال ، ومهاجمة المدن، والقرى الإسلامية، ومشاغلة جيوشهم في مناطق متعددة وفي وقت واحد سيضعف من قوة المسلمين ، ويشتت جهودهم، ويبعثر طاقاتهم[٢٣٣]، وفي هذه نظرة تكتيكية واستراتيجية مهمة ، لأن ذلك كان يعني تخفيفاً للضغوط التي تعانيها الجيوش الصليبية التي

ومن خلال تقاطع المعلومات ومقارنتها ومن خلال العودة الى المصورات الجغرافيه لتلك المنطقه يمكن أن يكون هذا النهر نهر سيحون أو نهر جيحون .

[٢٣٠] . Vinsofs(G): op,cit, plol 34. _ حمزه (عادل عبد الحافظ) : العلاقات السياسية بين الدولة الأيوبية والإمبراطورية الرومانية المقدسة ، ص ١٦٩.

[٢٣١] . أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين، الجزء الرابع ، ص ٧٩ .– ابن واصل : مفرج الكروب الجزء الثاني ، ص ٢٢٢ والتي تليها.– ابن الفرات (ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات) ، تاريخ ابن الفرات ، ٩ مجلدات ، عني بتحرير نصه ونشره الدكتور حسن محمد الشماع ، مطبعة حداد ، البصرة العراق ، م٤، ج١، ص ٢١٩ .– سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ٨، ق١ ، ص ٣.٤ . – النويري (شهاب الدين أحمد) : نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ٤٢٤ . – رنسيمان (ستيفن) : تاريخ الحروب الصليبية ج٣ ، ص ٤٢٠ .

[٢٣٢] . ابن شداد(أبو المحاسن يوسف) : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، ص ١٥٠ .

[٢٣٣] . الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد) : ج١ ، ص١٣١ .

تحاصر عكّا، هذا من جهة ، ومن جهة أُخرى كان الملك غي صاحب الكلمة الأولى في معسكر الصليبيين ، ولكنه وكما قال ابن شداد كان يخاف من قدوم فردريك السوابي ولاسيما إذا ما انضم إلى المركيزأو تحالف معه فإن ذلك سيشكل خطراً كبيراً على مستقبله في حكم المملكة : لأنه مع قدوم الألماني لا يبقى له حكمٌ[٢٣٤] ، وبمجرد سماعه بقدوم القوات الألمانية حاول أن يعطلَ هذا القدوم ، فأرسل وفداً برئاسة أحد أقرباء فردريك السوابي ، وهو المركيز صاحب صور لإقناعه بالبقاء في أنطاكية شارحاً له أهمية بقائه هناك في خدمة المملكة الصليبية . وهنا ربما يكون الملك غي أراد أن يتخلص من رجلين خطيرين عليه،

وعلى حكمه في المستقبل ، عندما أرسل إليه ابن عمه المركيز كونراد مونتفيرات[٢٣٥] رسولاً إلى أنطاكية لإقناعه بالبقاء فيها ومهاجمة ثغور المسلمين هناك ، ولكن المركيز كان سفيراً سيئاً، فقد قرأ الرسالة بطريقة جيدة ، وفهم مضمونها ، وأسرَّ ذلك في قلبه ، وفي عقله حتى وصل إلى الدوق فأعطاه الرسالة ، وقام بتفسيرها إليه تفسيراً كما فهمها ، فأدخل الشكوك في عقله بأن الأمراء لا يرغبون بوصوله إلى عكّا ليشتركَ في القتال ، وأن سبب ذلك هو ما يحسونه من الغيرة في نفوسهم وطمعهم في أن ينفردوا وحدهم بشرف الاستيلاء على المدينة فيذهبون دونه بالمجد ، ويؤكد بعضهم أنه كان لصلاح الدين دور كبير في ذهاب دوق سوابيا إلى عكّا ، وأنه أعطى المركيز ستين ألف بيزنط لقاء إقناع ابن عمه دوق سوابيا بأن يترك أنطاكية ويذهب إلى عكّا[٢٣٦]. ولكن يبقى السؤال مطروحا اذا كان الأمر كذلك ألم يجد الملك غي رجلاً غير المركيز ليكون رسولا له إلى فردريك السوابي وهو يعلم مابين الرجلين من قرابة ؟ جاء الدوق إلى عكّا وراح يثير القلاقل والاضطرابات نظراً للنزاع القديم بين الفرنسيين ، والألمان والمنافسة الشديدة بينهما حول السيادة على البابوية بين فرنسا والإمبراطورية الرومانية المقدسة ، وكان وصوله إلى عكّا على ما

---

٢٣٤ . النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، ص ١٥٠ .

٢٣٥ . صلة القربى هي أن أم المركيز هي أخت لكونراد الثالث ملك المانيا، ولفردريك هوهنشتاوفن، وعن ذهابه إليه أنظر ابن الفرات (ناصر الدين محمد) : تاريخ ابن الفرات ، م٤ ، ط١ ، د . ت ، ص ٢٢٦ .

٢٣٦ . الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد) : ج١، ص ١٣٠ . – رنسيمان (ستيفن) : تاريخ الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٤٢ والتي تليها .

ذكر ابن شداد والعماد الأصفهاني في السادس من رمضان سنة ٥٨٦هـ/ الموافق ٨ تشرين الأول ١١٩٠م[٢٣٧]. ولم يكن لوصوله وقع كبير في نفوس المسلمين ، ولا في نفوس الفرنجة ، حيث قالوا : ليته لم يصل إلينا ، ولم يقدم علينا فإنه لو أقام في موضعه وأمدَّنا بفيضه من منبعه ، لهِيبَتْ عظمته وعَظُمَتْ هيبته، وأرعب روعه وراع رعبه ، ورجي منا ، وخشي من المسلمين قربه ، وقد طمع بنا منذ وصولهً[٢٣٨]، ومنذ وصوله أراد أن يكون مميزاً ، فبدأ بتوبيخ القادة ، وتعنيفهم على طول مقامهم دون أن يقوموا بعمل ذي فائدة ، وكان الرأي عنده أن تقومَ الجيوش الصليبية بالهجوم والاستيلاء على المدينة أو الهجوم على جيوش صلاح الدين ، وطردها و محاصرة المدينة والاستيلاء عليها ، لكن الأمراء والقادة الذين يعرفون حق المعرفة قوة صلاح الدين وصلابته خوَّفوه من عواقب الأمور ونتائجها ، وضرورة تقوية المعسكر الصليبي أولاً ، والانتظار حتى تأتي النجدات من أوروبا ثانياً . لم يقبل بهذا الطرح على الرغم من أنه أحسَّ بأهميته، فقال : لا بد من الخروج على اليزك (طليعة القوات الإسلامية) لأذوق قتال القوم ، وأعرف مراسهم وأتبصر أمرهم، فليس الخبر كالعيان ، فخرج على اليزك الذي صمد له رغم أنه شرذمة قليلة، وأذاقه طعم الموت ، فنكص على عقبيه يجر أذيال الهزيمة، ولم تقم له بعدها قائمة[٢٣٩]. وفي هذا الوقت الذي كثرت فيه الخلافات والصراعات التي أدت بشكل أو بآخر إلى خلخلة الصف الصليبي وضعفه ، أصبح أملهم الوحيد في وصول نجدات من وراء البحار ، وحتى تصل هذه النجدات كان على القوات الصليبية أن تمكثَ طويلاً في ظروفٍ صعبةٍ ، وقاسية مما أدَّى الى ظهور صراعات جديدةٍ تجلت في خروج السيرجانتيَّة على قادتهم ، و هذا ما سيتم البحث فيه في الفقرة التالية .

---

٢٣٧ . الفتح القسي في الفتح القدسي : ص ٢٨٦ .- النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية : ص ٣٢ - نهاية الأرب في فنون الأدب : ج ٢٨، ص ٤٤٦ .

٢٣٨ . العماد الأصفهاني : ص ٢٨٦ . - نهاية الأرب في فنون الأدب : ج ٢٨، ص ٤٢٨ .

٢٣٩ . العماد الأصفهاني : المصدر السالف ، ص ٢٨٧ - النوادر السلطانية : ص ١٥٠ والتي تليها - الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد) : ج١، ص ١٢٩والتي تليها - ابن الفرات : م٤ ، ج١ ص ٢٢٧.

الصراع بين السيرجانية[٢٤٠] والفرسان الذين كانوا يحاصرون عكّا:

عندما توجه غي لويزنيان لحصار عكّا لم يكن كونراد راضياً عن هذا الوضع، بل عارضه بشدة، ووقف إلى جانبه رئيس أساقفة رافينا ، وعدد كبير من المسيحيين[٢٤١]، لكن وبعد فترة ليست طويلة استطاع البعض إقناع المركيز كونراد بالذهاب إلى عكا شرط ألا يقاتل تحت قيادة الملك غي ، وربما كان ذلك حتى لا يظهر الملك غي بأنه الملك المدافع عن المملكة كما أشرنا من قبل ، ثم جاءت الكثير من النجدات بعد حصار سنة كاملة حدثت فيها الكثير من المعارك التي كانت تدور فيها مرة على الصليبيين ومرة على جيوش صلاح الدين ، لكن هذه النجدات لم تكن على مستوى تغيير موازين القوى ، وحسم المواقف بين الطرفين على الرغم من أهمية هذه النجدات التي وصل فيها الكونت هنري دي شامبين[٢٤٢]، والكونت ثيبوت دي بلوا[٢٤٣] والكثير من البارونات والكونتات وهؤلاء جلبوا معهم أدوات حصار ومساعدات أخرى.

في تلك السنة عانت المنطقة من غلاء عظيم جعل الجيش الصليبي الذي حاصر عكّا ، والذي لم يعد العدة الكاملة لذلك، ولم تكن له مصادر إمدادات كافية وخاصة بالمواد الغذائية ولاسيّما أن

---

[٢٤٠] -السيرجانتيه : - ذكر العماد الأصفهانيفب حوادث سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م أن السيرجاندي كراروبفهم من كلامه أنه فارس خفيف يستخدم للهجوم . انظر : الفتح القسي في الفتح القدسي ، ص٤٣ .

وذكركلود كاهن أن السيرجانتيه كانوا يركبون الخيل وهذا يعني أنهم من الفرسان .انظر : cahen,(c):la Syria du nord aiepeque de croisades at la prineipaute franque d,anioche , paris ,1940 ,p328 .

وذكر يوشع براورأن السيرجانتيه من رجال المشاة في بعض الأحيان وأحيانا أخرى يكون من الفرسان .انظر : براور (يوشع) : مملكة القدس الصليبية ، ص١٦٣ .

[٢٤١] . تواريخ أسرة بلانتغت : ص ٢٢٥.

[٢٤٢] . هنري دي شامبين: هو ابن هنري الأول كونت شامبين، وهو ابن أخت ريتشارد قلب الأسد، وابن أخت فيليب أُغسطس ملك فرنسا، ذلك أن أمه ماري كانت ابنة أليانور دوقة أكوتين من زوجها الأول لويس السابع ملك فرنسا، فلما انفصلا عن بعضهما، تزوجت أليانور من هنري دي أنجو الذي أصبح فيما بعد ملكاً لانكلترا، وولدت منه أربعة أولاد ثالثهم ريتشارد قلب الأسد الذي يعدّ أخاً لماري، أما أم فيليب أُغسطس فكانت زوجة لويس السابع الثالثة ، وقد آلت مملكة القدس إلى هنري دي شامبين بعد زواجه من وريثتها إيزابيلا سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م. أنظر : الحرب الصليبية الثالثة ،ج١ ، ص٢٨٨ ، تهميش رقم ١٥٤ . – رنسيمان (ستيفن) : تاريخ الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص٦٢ .

[٢٤٣] . ثيبوت دي بلوا: هو كونت بلوا . فرنسي الأصل، كان سنشال فرنسا (القائد الحربي لقواتها) ثم اصبح كونت بلوا وشارتر في سنة ٥٤٧هـ/١١٥٢م.

أسعارها ارتفعت ارتفاعاً هائلاً بسبب الحصار وقلة الامدادات وعدم توفر الموارد ، حيث وصل ثمن المكيال الواحد من القمح ثلاثين بيزنطاً[٢٤٤]، ومكيال الطحين ستين بيزنطاً[٢٤٥]، وإذا كان هذا هو حال القمح والطحين ، فكيف يكون حال بقية المواد مثل اللحوم والخضار والفواكه ، وكانت المجاعة كبيرة ، وشاملة وقاسية، حتى إن الفقراء كانوا إذا ما وجدوا حيواناً ميتاً أكلوه بِنَهَمٍ ، ووصل ثمن البيضة الواحدة أحد عشر بيزنطاً، وأفضل لحم أكله الجنود هو لحم الخيول ، أو البغال ، أو الحمير، هذا عن الإمدادات الغذائية ، أما الإمدادات الأخرى من أسلحة وغيرها ، فكانت متعلقة بآمال وآمال فقط ، أن تأتي من الغرب الأوربي ، لكنها لسبب أو لآخر تأخرت إذا لم نقل إنها لم تأت، فكونراد الذي تحصن بصور كان له موقف معاد لملك القدس غي الذي يحاصر عكّا فهو خصمه اللدود ، والعقبة الكبيرة التي تقف في طريق وصوله إلى منصب ملك مملكة القدس، أما الإمارات الأخرى، فهي كانت لا تمتلك القدرة ، ولا الإمكانيات لدعم هذا الحصار، وإمداده ، وبالتالي كان للجنود الصليبيين الذين يحاصرون عكّا معاناتهم التي ازدادت كلما تقدم الزمن ، وبدأت الشكوى تُفصح عن نفسها على شكل صراعات واتهامات ليس بين القادة هذه المرة فقط ، وليس على المغانم أو المناصب ، إنما بين الجنود وقادتهم . فالجنود هم القاعدة الأساس التي تحمل السلاح ، وتحقق الإنجازات ، وتبني الأمجاد لهؤلاء القادة والسادة وعندما طال الحصار وقلّت الإمدادات ارتفعت صرخاتهم لعدم توفر المؤن وأبسط الإحتياجات، وزاد الطين بلة أن همة هؤلاء بدأت بالفتور لبقائهم زمناً طويلاً بلا عمل ، وأتاح هذا الكسل لإظهار ما طبعت عليه سريرتهم من حبٍ للنهبِ ، والسلبِ وأخذ الجنود يعلنون نقدهم للسادة

---

[٢٤٤] . البيزنط bizant- bezant وهي عبارة عن عملة ذهبية بيزنطية سميت بهذا الأسم نسبة إلى بيزنطة وكانت هذه العملة متداولة بكثرة في العصور الوسطى ، حتى منتصف القرنالرابع الهجري / الثالث عشر الميلادي على وجه التقريب وكان البيزنط أحياناً يعادل العملة الأرمنية المعروفة (تاهجان) Tahgane وكانت تقسم إلى عشرة أقسام مثلها مثل التاهجان، وكانت البيزنط قديماً تعرف بالهيبروبون Hypreperon، وكانت تمتاز باستقرار قيمتها الذهبية، وكانت البيزنط تعادل ثلاثة ونصف غرام من الذهب، انظر جوزيف نسيم ديب : العدوان الصليبي على مصرهزيمة القديس لويس التاسع في المنصورة وفارسكور، الطبعة الأولى ،الإسكندرية ١٩٦٩، ص ٢١٦.

[٢٤٥] . جاك دي فتري : تاريخ القدس ، ص ٢٣٧. .

وكبار القادة الذين شاركوا بالحصار ، ولاموهم ووجهوا إليهم التهم وصولاً إلى حدِّ الخيانة وعدم الرغبة بالزحف ضد صلاح الدين الذي غرر بهم فأثناهم عن مواقفهم وجعلهم مترددين غير قادرين على الفعل ، وكذبوا على جنودهم وتاجروا بأرواحهم ، ودمائهم وتوترت النفوس وحقد هؤلاء على قادتهم وصولاً إلى أن أياً من الفرسان على حد تعبير واضع كتاب ذيل تاريخ وليم الصوري حيث قال : (لم يجرؤ على التحرك من مكان لآخر في معسكره لأن كل واحد منهم بات عرضة للشتم والإهانة بالكلام)[٢٤٦]، فقد تمرد السيرجانتية ، والجنود على الفرسان واعتقدوا أن لا قيمة للفرسان وأنهم لم يعودوا بحاجة إليهم ، وخُيِّلَ إليهم أنهم يستطيعون لوحدهم خوض الحرب ضد صلاح الدين ، ولا حاجة أبداً لمساعدة الفرسان[٢٤٧]، ولم يقف الخلاف عند هذا الحد ، بل طلب السرجانتية من الملك مراراً وتكراراً بأن يسمح لهم بالخروج من المعسكر لمواجهة صلاح الدين ، لكن هذه الطلبات لم تلق أذناً صاغية من قبل قادتهم، وبالمقابل أيضاً لم يستطع هؤلاء القادة أن يقنعوا جنودهم بما يخططون ، وبما يفكرون، وحاولوا كبح جماح هؤلاء ولكن دون فائدة، ووقف البطريرك إلى جانب القادة ودعا الجنود ، وما سماهم بالغوغاء والرعاع بالانصراف عن التفكير في الحرب ، وهددهم بأنه سيصدر ضدهم قراراً بالحرمان إن هم أصروا على الحرب وحذرهم من محاولة الاقتراب من العدو، أو خوض المعركة معه دون رأي القادة والأمراء . وفي ٢٠ جمادى الأولى سنة ٥٨٦هـ/ الموافق الخامس والعشرين من حزيران عام ١١٩٠م خرج ثلاثون ألفاً من جنود الصليبيين في عدهم وعديدهم دون أوامر قادتهم أو موافقتهم[٢٤٨]، وقالوا : (سنخرج مهما كانت النتيجة خيراً ، أو شراً) . لأن الأمر سواء فنحن ميتون في كل الأحوال، فلا طعام، ولا مؤن، ولا نجدات ترجى من أحد، وهذه المغامرة غير المحسوبة استغلها صلاح الدين الذي أفرغ أمامهم جزءاً من معسكره متظاهراً بالهزيمة ، فأسرعوا باتجاهه مطمئنين واثقين ،

---

[٢٤٦] . أرنول : ذيل تاريخ وليم الصوري ، ص ٣٧٠.

[٢٤٧] . الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد) : ج١، ص ١٢٢.

[٢٤٨] . جاك دي فتري : تاريخ القدس : ص ٢٣٧.

وعندما تأكد صلاح الدين أن لا وجود للفرسان معهم انقض عليهم ، وقتل منهم أعداداً كبيرة[٢٤٩] وعندما سُئل أحد القادة عن هؤلاء قال : إن الرب انتقم من رعونتهم ، وكانت هزيمتهم النتيجة الطبيعية لتمردهم على فرسانهم وسادتهم[٢٥٠]، (وهذا أبعد ما يكون عن الحقيقة ، لأن للنصر مقوماته ، ولكل معركة ظروفها ، وخروج هؤلاء أمر طبيعي لأن البطون الفارغة لا يمكنها إلا أن تفكر بكيفية سد رمقها من الجوع والعطش أولاً وقبل كل شيء) . وقال عنهم آخرون : إنهم كانوا زمرة رائعة من المحاربين الشباب ، وكانوا فتية مغاوير ، لم يقبلوا الرضوخ لأحد ، ولم يستكينوا لرأي غير رأيهم . فيا ليت كان لهم كبيرٌ يتزعمهم يسألونه النصيحة عن عملٍ قد ينطوي على خطورة فيهديهم هذا الكبير من أمرهم رشداً[٢٥١]. المفارقة العجيبة أن صراخ هؤلاء المنهزمين وصل إلى كل اتجاه ، لكن الجميع قد صم أذنيه كيلا يسمع ، فإخوانهم الأمراء الذين هالهم ما جرى على رفاقهم ، تظاهروا بأنهم لم يروا شيئاً ولم يسمعوا شيئاً فيا لقسوة هؤلاء القادة وإنعدام الشفقة لديهم ، لقد كانوا يشاهدون إخوانهم، والسيوف تمزق أجسادهم إرباً إرباً دون أن يبذلوا أية محاولة لإنقاذهم من الهلاك ، فأين هي الأهداف الكبيرة التي وضعوها باسم الرب، وباسم الصليب ، وما هو مدى القرب من الرب وتعاليمه عند هؤلاء الذين جاؤوا من وراء البحار حاملين شارات الصليب مرصعة على ثيابهم، لكن في عقولهم أشياء أخرى ستظهر كلما تقدمنا في البحث . وفي هذه الآونة وصل فردريك السوابي الذي استلم راية الحملة الألمانية عن والده الذي مات غرقاً قبل وصوله في أحد الأنهار قليلة العمق في كليكيا ، ووصول هذا الدوق مع ما تبقى من حملة والده أثار الكثير من الاضطرابات بين صفوف الصليبيين المحاصرين لعكّا ، وهذا ما سيتم البحث فيه في الفقرة التالية .

---

[٢٤٩] . أمبرويز : صليبية رتشارد قلب الأسد ، ص ١٧١ . – أرنول : ذيل تاريخ وليم الصوري ، ص ٣٧١.

[٢٥٠] . ذيل تاريخ وليم الصوري (١١٨٤–١١٩٧) : ص ٣٧١ .

[٢٥١] . الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد) : الجزء الأول ، ص ١٢٣.

الصراع الأنكلو - فرنسي في أثناء حصار عكّا[٢٥٢]

وصل ريتشارد إلى عكّا بعد أن رفضت مدينة صور أن تفتح له أبوابها بناء على توجيهات كونراد مونتفيرات وفيليب أُغسطس ، وكان وصوله إلى عكّا في ١٣ جمادي الأولى سنة٥٨٧ هـ/ الموافق ٨ حزيران ١١٩١م[٢٥٣]، فازدادت بذلك قوة الصليبيين في حين ساء موقف حامية عكّا الإسلامية أمام ضغط تلك الجموع[٢٥٤]، وبوصول ريتشارد إلى عكّا أصبح الانقسام واضحاً بين جموع الصليبيين ، حيث انقسموا إلى فئتين، حاولت كل فئة كسب الودّ ، والثقة من أكبر عدد من الصليبيين المحاصرين لعكّا ، فعمل فيليب على شراء إرادة الناس ، وذلك عن طريق إعطاء كل جندي ثلاث قطع ذهبية كل شهر ، ويقول أمبرويز إن هذا التصرف قد جلب له الكثير من الأتباع[٢٥٥]، وما إن سمع ريتشارد عن ذلك حتى أدرك لعبة فيليب، فأرسل المنادين ليذيعوا أو يبلِّغوا الناس أنَّ كل من أراد الدخول في خدمة ريتشارد بصرف النظر عن الأمة التي ينتمي اليها سوف يعطيه ريتشارد أربع قطع ذهبية في الشهر[٢٥٦]. إذاً هي الحرب بين الرجلين لشراء ولاء الجنود وكسب وُدَّهم للانضمام إلى أحدهم ضد خصمه ، حيث يقول أمبرويز : لقد استطاع ريتشارد خلق مناخات رائعة بين صفوف الجنود ، وخاصة إذا ما أدركنا طبيعة الحصار ، وما

---

[٢٥٢] . عكّا: مدينة حصينة على ساحل البحر الأبيض المتوسط، فتحها المسلمون سنة ١٥هـ/٦٣٦م، وأعاد الفرنجة احتلالها سنة ٥٨٧هـ/ ١١٩١م، وصارت قاعدة ملكهم إلى حين تحريرها من قبل السلطان المملوكي الأشرف خليل سنة ٦٩٠هـ/١٢٩١م، أنظر: الحموي (ياقوت): معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت، ج٤، ص ١٦٢ والتي تليها . – القزويني (زكريا، ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣م): آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت ، د . ط ،١٣٨٠هـ/١٩٦٠م، ص ٢٢٣.

[٢٥٣] . ابن الأثير (أبو الحسن علي): الكامل في التاريخ، مجلد ١٠، ص ٢.٥ .– ابن شداد (أبو المحاسن يوسف) : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، ص ٢٥١ . – النويري (شهاب الدين أحمد): نهاية الأرب في فنون الأدب: ص ٢٨، ص ٤٣١ . – أبو شامة(شهاب الدين عبد الرحمن) : الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، مصدر سالف ، م٢، ج٤، ص١٤٥ . – ابن الفرات، المجلد٤، ج٢، ص ٦.

[٢٥٤] . ذيل تاريخ وليم الصوري (١١٨٤–١١٩٧) ، ص ١٦٩–١٧١ .

[٢٥٥] . أمبرويز: مصدر سالف ، ص ٢٩٤.

[٢٥٦] . حملة الملك ريتشارد إلى أراضي القدس المقدسة : ص ٧٤ . – أمبرويز : ص٢٩٤ .

يعانيه الناس من ضيق ذات اليد ، وقلة الإمدادات ونفسية الذين قدموا في هذه الحملة ، وحبهم للمال ندرك أهمية هذه الإجراءات من قبل الملك فيليب ، ثم من قبل ريتشارد قلب الأسد الذي استطاع أن يحوز على ثقة عدد كبير من هؤلاء[٢٥٧] الأمر الذي سَيترتب عليه معطيات جديدة ، وأسس جديدة لتعميق الخلافات بين الرجلين ، وهذا ما سنراه . وبعد عدة أيام من وصول ريتشارد إلى عكّا مرض مرضاً شديداً يدعى أرنولديا Arnoldia (وهو محصلة تغيير المناخ، ويترك آثاراً كبيرة على الجسم، حيث ينجم عنه فقدان أظافر اليدين والقدمين وسقوط الشعر وبعض الآثار على الجسد) ، وما أن عرف فيليب أُغسطس بذلك حتى استغل الأمر لمصلحته ، وأراد أن يكون سيد الموقف ، ويبرهن أنه قائد الجيوش فأبلغ شريكه ريتشارد بأن الفرصة مناسبة للهجوم على عكّا والاستيلاء عليها، لكن ريتشارد رد سلباً بسبب عدم قدرته الصحية، وعدم وصول رجاله وسفنه ، لكن فيليب لم يقتنع بالأسباب التي قدمها ريتشارد ، وأصر على ما خطط له وأمر بالإعلان عن الهجوم على عكّا ، وفعلاً تم ذلك يوم الاثنين بعد عيد ميلاد القديس يوحنا المعمدان سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م[٢٥٨]. ولكن الهجوم أخفق[٢٥٩]، وكانت نتائج ذلك (استبداد الغضب ، والحنق بملك فرنسا ، وغرق في حالة من مرض الوهن والأسى والاضطراب والرعب حتى إنه لم يعد يجرؤ على امتطاء ظهر حصانة)[٢٦٠]. وهنا يقول أمبرويز : بقي الهجوم بدون ثمار ، ولم يسلم الملكان من الشتم واللعن من الذين انتظروهم طويلاً عند أسوار عكّا ، ونفس كل واحد منهم تقول : كم كانت نتائج انتظارنا لهؤلاء هزيلة فغشيهم السخط والقنوط واليأس وعمَّ الاضطراب صفوف الصليبيين وعاشوا حالة من المرارة لم يُغير طعمها سوى وصول نجدات

---

[٢٥٧] . أمبرويز : المصدر السالف ، ص ٢٩٥ .

[٢٥٨]– حملة الملك ريتشارد إلى أراضي القدس المقدسة : ص ٧٥ . – الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد قلب الأسد) : ج ٢، ص ١٥ .

[٢٥٩] - الكامل في التاريخ : م١٠ ،ص٩٤والتي تليها . مفرج الكروب في أخبار بني أيوب : ج٢ ، ص٣٤٢ . غروسيه (رينيه) : ملمة الحروب الصليبية ، تر ساميه زغيب ، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م ، ص٢٢٥ .

[٢٦٠] . الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين ورتشاردقلب الأسد) : ج٢ ، ص ٧٧ . – أمبرويز : صليبية ريتشارد قلب الأسد ، ص ٣٠٠ .

جديدة من بقايا أسطول ريتشارد يحمل الكثير من المحاربين الاشداء ، وذكر أمبرويز الكثير من الأسماء اللامعة والتي كان لها دور مميز[٢٦١].

ويبدو أن أمبرويز والمؤلفان المجهولان اللذان رافقا حملة ريتشارد إلى الأرض المقدسة قد بالغوا سلباً في ذكر نتائج المعركة ، والدليل على ذلك أن مرض فيليب أُغسطس الذي ذكره مؤلف كتاب رحلة إلى أراضي القدس المقدسة ، وكذلك أمبروز لم يبق طويلاً وإن جيشه استمر حسب رواياتهم في القتال ، وبعد أيام استطاع أن يفتح ثلمة في السور الرئيسي لعكّا وسبب فيه دماراً عظيماً[٢٦٢]. وكان قد أعد من أجل ذلك الكثير من أدوات القتال مثل المنجنيقات وأعطاها أسماء غريبة مثل Malvoisne (جار السوء) . كما أن الملك فيليب نفسه صنع قلعة على شكل سنور (وسماها مؤرخ آخر بالقطة) بنفقة عالية جداً ، ومظلة اسمها سيركيليا (الكوخ المستدير) سترها ، وغطاها بالجلد المدبوغ بشكل جيد وغالباً ما كان يجلس تحتها يرمي من قوسه العقار، وهذا دليل على أن ما كتب عن الملك الفرنسي مبالغ فيه ، وإن هؤلاء الذين يركزون على غضب الملك ، وحالته النفسية السيئة ، وإبراز ذلك ، وكأنه مصاب بالاكتئاب تارة ، وفاقد لأعصابه تارة أخرى يصب لعناته على جميع الذين أخذوا المال منه ويصدر وهو في أعلى حالات انفعالاته دون تفكير ، ودون وعي مراسيمَ تتعلق بالحرب والاستراتيجيا[٢٦٣]. فكيف يستقيم ذلك من قائد كبير مثل فيليب أُغسطس ؟ ! ربما أرادوا أن يقولوا : إنَّ فيليب أُغسطس أحمق متهور لا تجوز مقارنته بريتشاردقلب الأسد القائد المتميز بكل المجالات . على الرغم من كل ذلك بذل فيليب ، وقواته جهوداً كبيرة للضغط على عكّا من خلال محاولة خرق الأسوار ، أو لغمها ، أو تسلّقها بواسطة سلالم التسلق لكن الصمود البطولي لحامية عكّا من جهة و ضغط قوات صلاح الدين من جهة أخرى أفسد كل هذه المحاولات ، وعلى الرغم من أن الفرنسيين حققوا تقدماً كبيراً في الوصول إلى أحجار أساسات السور حيثوا قاموا بالحفر تحتها وملئ هذه الحفر بالأخشاب واضرام النار فيها،

---

[٢٦١] . أمبرويز : صليبية ريتشارد قلب الأسد ، ص ٣.٢ .

[٢٦٢] . المصدر السالف: ص ٣.٣ .– جاك دي فتري : تاريخ القدس ، ص ٢٣٩.

[٢٦٣] . مؤلف مجهول : رحلة ريتشارد إلى أراضي القدس المقدسة ، مصدر سالف ، ص ٧٩ .

الأمر الذي جعل هذه الأساسات تميل بعض الشيء لكنها لم تسقط كلها كتلة واحدة ، واستخدم الفرنسيون السلالم للصعود إلى السور المهدم جزئياً وحاولوا الدخول إلى المدينة لكن دفاع المدينة كان قوياً وصامداً وفعالاً . إذاً نلاحظ أن فيليب أُغسطس استقتل في الحصول على إنجاز يحققه في الوقت الذي كان فيه ريتشارد مريضاً لكن الحظ وأشياء أخرى لم تسعفه ، وعندما سمع ريتشارد بمحاولات فيليب هذه ، وأنه استطاع أن يفعل شيئاً ، أو كاد أمر ريتشارد بنقله ، وهو على فراشه مريضاً إلى منطقة الحصار بعد أن أمر بصنع آلة لعبور الخندق ، وهنا اشتدت عزيمة رجاله الذين تمكَّنوا من حفر نفق تحت البرج، وعلَّقوا الأخشاب عليه وأضرموا النيران فيها ثم قصفوه بالمنجنيق ، الأمر الذي أدى إلى سقوط البرج إلى الأرض ، وبعد أن حقق الملك ريتشارد أول هذه النجاحات (بسقوط البرج) عمل على استخدام كل الوسائل المتاحة ، والاستعانة بكل القوة الممكنة ، فعمل على إثارة عقول جنوده الشباب ، ووعدهم بالجوائز ، وابتعد عن لغة التهديد والتحريض ، والأوامر الشديدة، كما كان يفعل فيليب ، وأمر المنادي أن يعلن عن جائزة قدرها قطعتين ذهبيتين ثم أربعة لكل من يوقع منجنيقاً من على الأسوار ، ودفع مكافأة قدرها أربع قطع ذهبية لكل من ينتزع حجراً من السور[٢٦٤]، وهنا نرى أنَّ ريتشارد كان مدركاً لطبيعة فرسانه وجنوده ونفسياتهم ، وماذا يفعل الذهب في نفوسهم ، وهنا أيضاً يمكننا البناء على ذلك بالقول : إن مشاركة هؤلاء الجنود والفرسان لم تكن بدافع الإيمان وحماية المقدسات والدفاع عنها وإبراز القوَّة من أجل ذلك بقدر ما هي وسيلة لتحقيق مكاسب مادية في مناطق أخرى[٢٦٥]، وهذا يُفسر أيضاً إعطاء البيازنة التأييد ، والولاء لريتشارد قلب الأسد فور وصوله إلى عكّا ، كيف لا، وهم تجار يسعون إلى الذهب قبل كل شيء إضافة إلى أنهم ناصروا الملك غي لويزنيان أثناء مجيئه إلى صور ، عندما لم يسمح له كونراد بالدخول إليها . نعود إلى الخلاف بين الرجلين فعندما

---

[٢٦٤] . رحلة ريتشارد إلى أراضي القدس المقدسة : ص ٨٣ – –––––

أمبرويز : صليبية ريتشارد قلب الأسد ص ٣١٣ والتي تليها .

[٢٦٥] . السيد (عبد اللطيف عبد الهادي) : الحروب الصليبية من خلال كتابات جاك دي فتري خلال النصف الأول من القرن الثالث عشر ، ص ١٤٣ .

شعر ريتشارد بشدة مراس الجيوش الإسلامية ، وقوتهم وصبرهم وإقدامهم حاول أن يغيَّر من خططه الحربية ، وتكتيكاته العسكرية، فأنفذ رسولاًَ إلى صلاح الدين يطلب الاجتماع به ليتعرف عن قرب على قوة النفس عنده، فعندما سمع السلطان بذلك ردَّ على طلبه من دون تفكير قائلاً الملوك لا يجتمعون إلا عن قاعدة ، وما يحسن الحرب فيهم بعد الاجتماع والمواكلة ، وإذا أراد ذلك فلا بد من تقرير قاعدةً[٢٦٦]، وعاد بذلك رسول ريتشارد ، وقعد مدة طويلة عاود الطلب ذاته بعد أن ناقشوا رد صلاح الدين فيما بينهم ، واختلفوا في ذلك ، وأنكروا على ريتشارد ما يقوم به وقالوا : هذه مخاطرة على دين النصرانية ، لكن في النهاية اضطروا إلى العودة الطلب نفسه ثانية مما أوقع رسولهم في حرج ، وقام بتوضيح تأخره بقولهِ لا تظنن تأخري بسبب ما أشيع عن خلاف بيننا أو أنني لا امتلك زمام أمري بل على العكس ، فالأمر مفوض لي ، وأنا أحكم ولا يحكم عليَّ وهكذا استمرت الأمور بين أخذ ورد حتى ضعف موقف المسلمين المحاصرين في عكا ، وعندما طلبوا الاستسلام شرط أن يسمح للموجودين في المدينة بالمغادرة أحراراً ، أعلن الملك الفرنسي ، وجميع الحضور من الفرنسيين موافقتهم على ذلك ، لكن الملك ريتشارد ومن معه رفض بإصرار هذا العرض[٢٦٧]. والسؤال المهم هو لماذا وافق فيليب ، ورفض ريتشارد ؟ الجواب ببساطة لقد لاحظ الملك الفرنسي فيليب أُغسطس أن الملك ريتشارد ، وقواته على وشك تحقيق إنجاز كبير سيعزز مكانته التي بدأت تشق طريقها بشكل واثق بدءاً من مسّينا في صقلية إلى قبرص إلى ما تحقق في عكّا ، أما الاستسلام فسيقلل من وهج الانتصار ويحسب للقائدين ، ولكن النتيجة وباعتبار أن القضية برمتها قضية حسابات ، وكسب وغنائم ، فقد وافق الملكان على استسلام المدينة ودخلاها ، وتم اقتسامها حسب الاتفاق الموقع بين الرجلين بالمناصفة[٢٦٨]، حتى الأسرى قُسموا فيما بينهما بالقرعة ، غير أن هذا الوفاق لم يدم طويلاً ، حيث نشب نزاع حاد بين الملكين أساسه موقف الرجلين من كل من المركيز كونراد مونتفيرات والملك العتيق غي

---

[٢٦٦] . ابن شداد (أبو المحاسن يوسف) : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، ص٢٥٧.

[٢٦٧] . حملة الملك ريتشارد إلى أراضي القدس المقدسة : ص ٨٧.

[٢٦٨] . حملة الملك ريتشارد إلى أراضي القدس المقدسة : مصدر سالف : ص ٨٩.

لويزنيان . حيث كان ملك فرنسا يؤيد بقوة كونراد ، ويقف إلى جانبه ، لدرجة أنه . أي ملك فرنسا . قرر منحه كل نصيبه من الأرض المقدسة ، وما سيحصل عليه في المستقبل ، أما الملك ريتشارد ، فقد وقف إلى جانب الملك العتيق غي لويزنيان ، وأيد دعواه بحقه في الملك لذلك رأيناه لا يوافق على عطاء فيليب أُغسطس لكونراد ، لأنه رأى أن هذا من حق الملك غي وهو ملكٌ له ، وعاش الملكان بعد هذا في فراق حول هذه المسألة لبعض الوقت حتى تدخَّلَ المقدمون والنبلاء والقادة[٢٦٩].

الفصل الثاني

.

* – الفصل الثاني .(الصراعات الصليبة الداخلية بعد سقوط عكّا بيد الصليبيين) .
* الصراع الأنكلو – فرنسي بعد سقوط عكّا .
* الصراع الأنكلو – فرنسي بعد عودة فيليب أُغسطس إلى بلاده .

[٢٦٩] . الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد) : ج٢ ، ص ٤١ . – حملة الملك ريتشارد إلى أراضي القدس المقدسة : ص ٩١.

* الصراع بين المركيز كونراد مونتفيرات ، ورتشارد قلب الأسد *

الصراع بين الملك رتشارد قلب الأسد ، ودوق برغنديا .

* الصراع بين البيازنة ، والجنوية .

* مقتل المركيز كونرادمونتفيرات ، وتجدد الصراع عاى العرش

* حكومة هنري دي شامبين .

* الصراع بين هنري دي شامبين ، وغي لويزنيان وأخوه أمالريك على ولاية العرش .

* هنري دي شامبين ، وتدخله في صراعات شمال سورية .

* : الصراع بين هنري دي شامبين ، والبيازنة، وبين هنري ورهبان الضريح المقدس.

* مصرع هنري دي شامبين ، وتجدد الصراع على ولاية العرش .

-الصراع الأنكلو – فرنسي بعد سقوط عكّا بيد الصليبيين:

بعد أن استسلمت عكّا، وكان ذلك في ١٧ جمادى الآخر سنة ٥٨٧هـ/ الموافق ١٢ تموز ١١٩١م دخلها الصليبيون ، وعمت الفرحة أرجاء دنياهم[٢٧٠]، وما ان تم تقاسم المدينة بين

---

[٢٧٠] . الفتح القسي : ص ٣٤٦ والتي تليها .- الروضتين في أخبار الدولتين : ج٤ ، ص ١٥٥ . - (صليبية ريتشارد قلب الأسد) : ص ٣٢٩.

-ابن الفرات (ناصر الدين محمد) : تاريخ ابن الفرات ، م٤ ، جزء٢ ، ص ١٣ .

- ابن تغري بردي (أبو المحاسن يوسف) : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج٦ ، ص ٤٢ .

- أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر، ج٢، ص ١٦٥.

- الذهبي : العبر في خبر من عبر ، مصدر سالف ، ج٢، ص ١٩٨ .

الملكين حسب الاتفاق المبرم بينهما . أقام الملك الفرنسي في القلعة ، ونزل ريتشارد قلب الأسد بدار الداوية ، أما بقية الفرسان فقد نزلوا في بيوت أعيان الصليبيين الذين فقدوها نتيجة لفتحها من قبل صلاح الدين سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م ، والآن أراد هؤلاء أن يعودوا إلى بيوتهم وممتلكاتهم ، فمنعهم الفرسان الذين استولوا عليها ، وأقاموا فيها ، فخرجوا صفر اليدين وكانوا كالمستجير من الرمضاء بالنار . فلا هم نزلوا في بيوتهم ، ولا هم حصلوا على ما فقدوه من ممتلكات ، وتبخَّرت آمالهم أدراج الرياح بعد أن مَنَّوا النفس كثيراً بعودة الأملاك والديار عندها ذهب هؤلاء إلى ملك فرنسا ورفعوا إليه ظُلامتهم ، وطلبوا منه المساعدة ، وقالوا : (قدمتم يا مولاي لاسترداد مملكة القدس ، ومن غير المعقول أن تحرمونا من ممتلكاتنا ، ذلك أن الفرسان قد احتلوا بيوتنا ، ويقولون إنهم استولوا عليها من المسلمين)[٢٧١]. فقام الملك الفرنسي وطلب عقد مؤتمر أو اجتماع يضم الملكين، وبقية البارونات ، وفعلاً عُقد الاجتماع وعندها توجه فيليب أُغسطس بالخطاب إلى السادة الذين رفعوا إليه ظلامتهم قائلاً : (أيها السادة الذين طالبوا بإعادة بيوتهم وممتلكاتهم ، نحن لم نأت لاحتلال أراضي الآخرين أو أملاك أو بيوت ، إنما قدمنا من أجل الرب وفي سبيله ولتقديم المساعدات لجيوشنا ولاسترداد مملكة القدس التي اغتصبها المسلمون وانتزعوها من المسيحيين وإعادة ممتلكات المسيحيين إليهم)[٢٧٢]، وغضب فيليب غضباً شديداً، وطلب من رجاله أن يكونوا بكامل جاهزيتهم ، وأن يحملوا السلاح لنصرة هؤلاء الذين فقدوا ممتلكاتهم، وإذا لم يستجب الفرسان فيجب أن يكونوا مستعدين لمهاجمتهم ومهاجمة ملكهم ريتشارد ، ولكن تدخل بعض البارونات ، ووساطاتهم هدَّأت الخواطر بين الطرفين وأزالت الغضب من النفوس[٢٧٣]، ووافق ملك إنكلترا والبارونات على ما اقترحه ملك فرنسا لكنهم طالبوا أن يُبرز كل من يطالبْ ببيته أو أملاكه البرهان على ما يقول، ثم أصدروا الأوامر للفرسان بإخلاء البيوت التي استولوا

– ابن الوردي : نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج٢٨، ص ٤٣٣.

[٢٧١] . ذيل تاريخ وليم الصوريً مخطوطة فلورنساً : ص ٣٩٧.

[٢٧٢] . المصدر السالف : ص ٤٠٠ والتي تليها .

[٢٧٣] . المصدر السالف : ص ٣٩٧ .

عليها ، وإعادتها إلى أصحابها، ولم يكن هذا الخلاف الوحيد بين الصليبين بل اختلفوا على كل شيء وبدأت الشجارات والنزاعات حول الأسبقية ، ومن ينبغي أن يعيش هناك ، كما بدأ يقف بعضهم ضد بعضهم الآخر ، وعندما رفع دوق النمسا رايته على أسوار عكّا سحبها الجنود الإنكليز ورموها في الخندق عند السور بعد أن داسوها بالأقدام مما أغضب الدوق الذي قرَّر وهو في قمة غضبه أن يعود إلى بلاده بعد أن أُهينت كرامته وجُرح كبرياؤه[٢٧٤] ، بعد وقت قصير أصيب كونت فلاندرز بمرض خطير شعر أن هذا المرض سيودي بحياته ، ويبدو أنَّه كان يحتفظ ببعض الأسرار الخطيرة ، لذلك أرسل إلى ملك فرنسا ، وطلب منه أن يأتي إليه فاستجاب الملك ، وقدِم لعيادته، وقد تحدثا معاً ، حيث أباح له ببعض الأسرار الخطيرة ومنها أن عليه (أي على الملك الفرنسي) الاحتراس الشديد من الآخرين ، وأن يكون حذراً لأن في الجيش مجموعات أقسمت الإيمان على التخلص منه وقتله ، واهتم الملك بهذا الكلام وأخذه على محمل الجد، لكنه أيضاً تركه سراً في داخله ، ولم يبحْ به ، ولم يقمْ بأي تحقيقات للتأكد من صحة ما سمع ، ويبدو أنه كما قال أرنول في كتابه ذيل تاريخ وليم : سيطر الخوف على سلوكه لدرجة أنه أصيب بمرض شديد من جراء ذلك ، وفي أثناء هذا المرض عمل ريتشارد قلب الأسد على حبك مؤامرة لقتل الملك الفرنسي بشكل سري، أي أن يُقتلَ الملك الفرنسي دون أن يبدو أن لريتشارد يداً بذلك[٢٧٥]، لكن يبدو وفي اللحظة الأخيرة قبل التنفيذ حصل عند ريتشارد قلب الأسد صحوة ضمير ، فقد شعر أنه أساء لهذا الملك كثيراً ، فقد كذب عليه ونكث بوعده ، ولم يتزوج من أخته على الرغم من كل الاتفاقات ، بل تزوج ابنة ملك نافار ثم اجتذب رجاله بالعطايا والهدايا والوعود المختلفة مع إزعاجات كثيرة أخرى سبَّبها له في أثناء حصار عكّا ، لكن هذه الصحوة في ضمير ريتشارد لم تكن كاملة ، وتحول من التخطيط للقتل المباشر إلى التخطيط للقتل غير المباشر، فقد قرر أن يعزِّزَ الضغط النفسي على فيليب أُغسطس بغية النيل منه ، ولاسيّما أنه مريض ، فقد أشاع عن موت ابن الملك الفرنسي وانتشرت هذه الشائعة إلى أن

---

[٢٧٤] . بردج (أنتوني) : تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٢١٢ .

[٢٧٥] . ذيل تاريخ وليم الصوري ، مخطوطة فلورنسا : ص ٤٠٥ .

وصلت إلى فيليب أُغسطس فزادت مرارته وكبرت أحزانه وتألَّم ألم الأب المفجوع، مما أخر في شفائه ، واستدعى باروناته واستشارهم وطلب منهم أخباره إذا كان لديهم علم بما حلَّ بابنه في مملكته ، فقال له أحدهم :ً مولاي منذ أن قدمنا لحصار عكّا لم يأت مركب من بلاد ما وراء البحار لينقل مثل هذا الخبرً[٢٧٦]، وأوضحوا له أن هذه مجرد شائعة عمل على نشرها ريتشارد ليبقَ الملك الفرنسي غارقاً في همه ، تقتله أحزانه ومرضه ، وهذا يندرج في إطار الحرب القائمة بينهما، لذلك قرر فيليب أُغسطس العودة إلى بلاده مدعياً أن سبب هذه العودة هو المرض ، وقال :(إنه وفى بوعده بقدر ما استطاع) . لكن السؤال المهم : هل كان مرضه فعلاً سبباً كافياً لترك عكّا بعد أن استسلمت للصليبيين ؟ (وكان ذلك في يوم الجمعة ١٧ جمادى الآخر سنة ٥٨٧هـ/ الموافق ١٣ تموز ١١٩١م)[٢٧٧] . يبدو أن الاكتفاء بقبول المرض سبباً وحيداً للعودة دون إنجاز المهام المتفق عليها ، وترك ما أُنجز منها على الرغم من صغر حجمه في هذه الأرض غير مقنع ، ربما ما عاناه فيليب أُغسطس من ريتشارد ومكائده شكلت سبباً إضافياً أكدت له أن ريتشارد ربما يذهب إلى أكثر من ذلك، وبالتالي التآمر على حياته، وقد بدأ يشك بالاتصالات التي جرت بين ريتشارد وبين صلاح الدين لتسوية الأوضاع بين الرجلين، فإذا ما تحقق ذلك لريتشارد سوف تُجيَّر كافة الانتصارات والإنجازات التي تحققت له دون غيره، وسوف يتفرغ لمكائده ضد فيليب إضافة إلى سبب آخرقد يكون سبباً رئيساً في اتخاذ ذلك القرار ، و جعله يرغب بالعودة إلى بلاده هو الاستيلاء على مقاطعة فلاندرز التي توفي كونتها في أثناء حصار عكّا وبقيت من دون حاكم ، وحاول كلا الطرفين الفرنسي والإنكليزي ثَنْيِهِ عن قراره بالعودة ، لكنه رفض التراجع، ولم يستجبْ لالتماساتهم بالبقاء، لذلك حصلت عند الفرنسيين ردة فعل عنيفة ضد ملكهم، فأنزل عليه البعض كل أنواع اللعنات وأماني السوء ، ومع ذلك أصرَّ

---

[٢٧٦] . ذيل تاريخ وليم الصوري ، مخطوطة فلورنسا : ص ٤٠٥ .

[٢٧٧] . ابن الأثير(أبو الحسن علي) : م١٠ ، ص٢٠٥-٢٠٧ .- العماد الكاتب (محمد بن محمد): البستان الجامع، تحقيق د. سهيل زكار، دمشق، ط١ ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م ، ص ٣٨٣ .

على العودة ورتّب الأمور مع دوق برغنديا ليكون نائباً له[٢٧٨]، لكن ريتشارد قلب الأسد الذي لم ينسَ بعد ما كان بين والده وبين فيليب أُغسطس ، وما كان بينه شخصياً وبين فيليب أُغسطس بعد موت والده ، رأى : أن هذه العودة موجهة ضِدّه ، وأن فيليب قرَّر الاستيلاء على كل أملاكه في ما وراء البحار ، لذلك طلب وعلى مرأى ومسمع القوم أن يقوم فيليب بالتعهد وأداء اليمين بأنه لن يؤذي بلاده أو رجاله هناك ، ما دام الملك ريتشارد باقياً في الأرض المقدسة ، واستجاب الملك الفرنسي وأدّى اليمين ، وأعطاه دوق برغنديا والكونت هنري بمثابة رهينتين مع خمسة أو ستة آخرين حسب ما جاء في كتاب حملة الملك ريتشارد إلى أراضي القدس المقدسة[٢٧٩] وارتحل الملك الفرنسي وتلقى عوضاً عن التبريكات والأماني الطيبة سوء المنقلب واللعنات من جميع الحاضرين ، وأبحر نحو صور تاركاً القسم الأكبر من جيشه مع الملك ريتشارد واصطحب معه بعض البارونات والأسرى الذين كانوا ضمن حصته ، وقدّر أنه سوف يحصل مقابل فديتهم على مائة ألف قطعة ذهبية ، أو أكثر مما سيكفي جيشه الذي تركه خلفه . لكنه لم يحصلْ على شيء مقابل ذلك[٢٨٠]، لذلك قامت المشاحنات بين أفراد جيشه الذي تركه دون مصدر للإنفاق ، مما أدى أن يقوم ريتشارد قلب الأسد بمحاولة استمالة هذا الجيش عبر إغرائه بسد نفقاته[٢٨١]، لكن هل نستطيع أن نقرر أن الصراع الأنكلو فرنسي قد انتهى بين الفئتين ؟

البحث في هذه المسالة على غاية من الأهمية ولاسيّما أن الجيش الفرنسي قد تُرك بدون تغطية مالية . كيف يستطيع القائد الجديدأن يلبي احتياجات جنودهسيما أن ما تحتاجه الحرب كثير فهل يستطيع دوق برغنديا أن يغطي ذلك مالياً ؟ أم أنه سيعترف بوليّ نعمةٍ جديد هو ريتشارد قلب الأسد ؟ دون أن يفعل شيئاً من أجل فرنسة أو من أجل قائده (فيليب) الذي تركه نائباً عنه في هذه المنطقة ؟ وهل أن ريتشارد قلب الأسد على استعداد لتغطية مصروفات القوات

---

٢٧٨ . صليبية ريتشارد قلب الأسد ، ص ٣٣٣-٣٣٥ – زاباروف(ميخائيل) : الصليبيون في الشرق، ص ٢٠٩.

٢٧٩ . مؤلف مجهول، مصدر سالف، ص ٩٢-٩٤ .- صليبية ريتشارد قلب الأسد ، ص ٣٣٤.

٢٨٠ . أمبرويز: المصدر السالف ، ص ٣٣٥.

٢٨١ – المصدر السالف ، ص ٣٣٦ والتي تليها .

الفرنسية وهل يمتلك الإمكانيات لذلك ؟. قبل الإجابة عن هذه التساؤلات لا بد من ذكر أن صلاح الدين حاول أن يدخل على خط هذه الخلافات لتعميقها والإفادة منها في تعميق شقة الخلاف بين الطرفين الفرنسي والبريطاني من جهة ، ومن جهة ثانية معرفة كوامن ما في نفس فيليب ، والأسباب الحقيقية لهذا القرار المفاجئ بغية توظيف ذلك في صراعه مع الصليبيين ، وتقوية الروح المعنوية لقواته التي تلقت ضربةً قاسية في عكّا ، فما إن علم أن فيليب قد غادر إلى صور ، حتى أرسل وراءه الرسل محملة بالهدايا الثمينة التي تليق بملك عظيم مثل فيليب أُغسطس[٢٨٢] وبهذا يظهره صديقاً لصلاح الدين ويدخل الشك حتى في قلب جنوده الفرنسيين .

نعود إلى الإجابة عن التساؤلات التي طُرحت سابقاً ، ففي البداية أرسلت من قبل ريتشارد قلب الأسد إلى صور عدة رسائل إلى المركيز لكي يعود إلى الجيش ، وليجلب معه الرهائن الذين كانوا من حصة فيليب أُغسطس ، والذين تركهم في عهدته، وذلك من أجل الحصول على فديتهم لتغطية نفقات القوات الفرنسية ، رد المركيز على هذه الرسائل ردوداً فيها الكثير من الرعونة وقلة الرويّة والحكمة، وقال : إنه لا يتجرأ على العودة والمثول بحضرة ريتشارد لأنها مغامرة قد تودي بحياته ، وزيادة على ذلك حمَّل الرسل طلبات أخرى جديدة قائلاً : إنه إذا ما جرى استرداد الصليب يتوجب على ريتشارد أن يسلِّم نصفه إلى المركيز ، وهو حصة ملك فرنسا وأنه لن يتخلى عن الرهائن[٢٨٣]، حاول الرسل إقناع المركيز بكل الوسائل الممكنة واستعملوا معه كل أشكال الوعظ ، وعرضوا عليه أن يتركوا واحداً منهم (أي واحداً من الرسل بمثابة رهينة) وذلك كضمانة له في أثناء الرحلة ، وأن ريتشارد يضمن أمنه وسلامته، لكنهم لم يفلحوا في إقناعه . لا بل أشفع رده بعدم العودة بيمين معظم لهذا عادوا مخفقين ، وخالي الوفاض ، بعد ذلك أرسلوا اليه دوق برغنديا مع بعض النبلاء الآخرين بسفارة ثانية ، وطلبوا منه الطلب نفسه ، لكنه وبالطريقة نفسها رد عليهم ، وعندما حاولوا إقناعه بحجج دامغة وبراهين حقيقية بأنَّ كل طروحاته واهية ، وأن عليه الانصياع ، والعودة إلى الجيش لكن دون جدوى ، وكل ما تمكنوا من الوصول

---

٢٨٢ . الفتح القسي في الفتح القدسي : ص ٣٥٧ . – ابن شداد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، ص ١٨٨.

٢٨٣ . أمبرويز : صليبية ريتشارد قلب الأسد ، ص ٣٤٠.

اليه نقطة واحدة هي أنه بإمكانهم أن يأخذوا معهم الرهائن المسلمين إلى الملك ريتشارد[٢٨٤]، لأن هواجس خوفه كانت أقوى من كل التعهدات ، ويبدو أنه كان محقاً بذلك، فقد قُتل بعد مدة ، وهذا ما سنبينه لاحقاً .

لكن هل تمت الإفادة من هؤلاء الأسرى ، وتحصيل فديتهم ، وتغطية نفقات الجيش الفرنسي الذي تركه فيليب أُغسطس بقيادة دوق برغنديا ؟

ببساطة الإجابة بالنفي ، لأن صلاح الدين أدرك بقدرته الكبيرة ، وبحدسه الرائع أن ريتشارد كان يبيّت له الكثير من المكائد ، وأنه يريد أخذ الفدية ، واستعادة الأسرى الصليبيين صليب الصلبوت دون أن يرجعَ الأسرى ، فطلب منهم بعض الضمانات ، وأعطاهم ضمانات أخرى ، ومنها ضمانات معنوية مثل : أن تضمن الداوية الاتفاق بينه وبين ريتشارد ، لكن ريتشارد لم يقبل، وقام بقتل الأسرى جميعهم، وكان ذلك في السادس والعشرين من رجب سنة ٥٨٧هـ/ الموافق في ١٥ آب ١١٩١م[٢٨٥]، بينما قال أمبرويز : (إن جميع الأسرى أصيبوا بالمرض ، ومات عدد كبير منهم بينما من بقي منهم على قيد الحياة لم يدفع فديته أحد ، لذلك لم يحصل الدوق من ورائهم على ربح درهم أو دينار)[٢٨٦].

- الصراع الأنكلو- فرنسي بعد رحيل الملك الفرنسي فيليب أُغسطس عائداً إلى بلاده:

لم ينته الصراع بين الطرفين برحيل الملك الفرنسي وبعض باروناته، بل استمر بشكل أو بآخر، وعبر تجلّيات عديدة كانت تظهر أشد قساوة وعنفاً في مرات كثيرة عما كانت عليه، ففي البداية حاول ريتشارد قلب الأسد استرضاء بعض الفرنسيين بالطرق اللينة ، والتحبب اليهم ، والتوسل ، والرجاء ، وصرف الأموال ، والرشاوى من أجل أن يتركوا عكّا ، ويلتحقوا بالجيش ومرات أخرى

---

[٢٨٤] . حملة الملك ريتشارد إلى أراضي القدس المقدسة : ص ٩٥ – أمبرويز : المصدر السالف، ص ٣٤١-٣٤٣ .

[٢٨٥] . الكامل في التاريخ : م١٠، ص٢٠٧ – الفتح القسي في الفتح القدسي : ص ٣٥٧ والتي تليها . – أمبرويز: صليبية ريتشارد قلب الأسد ، ص ٣٤٥ والتي تليها .

[٢٨٦] . صليبية ريتشارد قلب الأسد : ص ٣٣٥.

عبر أسلوب القسر، والإرغام بالقوة[٢٨٧]، ولم يكن الفرنسيون وحدهم الذين أحبوا أن يبقوا في عكّا لانغماسهم في الملذات والمسرات ومعاشرة النساء، بل جنود ريتشارد أيضاً أرادوا ذلك.

لذلك كان لا بدَّ من اتخاذ إجراء حاسم لمعالجة هذه المسألة، فأمر بإخراج الجند مباشرة من المدينة،وعسكر بهم خارجها، ومنع النساء من مرافقة الجيش عندما قرّر الزحف إلى عسقلان.

وخلال هذه الرحلة أفصح الخلاف بين الجهتين عن نفسه بشكل حاد على شكل اختلاف في وجهات النظر، فعندما قرر هو الذهاب إلى عسقلان لمنع صلاح الدين من تهديمها، قرّر دوق برغنديا الرجوع إلى يافا، وإعادتها إلى سابق عهدها. لكن كيف تم ذلك ؟.

إتبع صلاح الدين استراتيجية جديدة مضمونها تهديم الأسوار والأبراج في مدنه الساحلية حتى لا يستفيد الصليبيون منها، وبغض النظر عن مدى صحة هذه العمل أو عدمه، فإن ريتشارد استطاع أن يستنتج أن جيوش صلاح الدين غير قادرة على المواجهة ، لأنها كانت تتّبع نظام الإقطاع العسكري ، وبالتالي فهم مضطرون في أيام المواسم العودة إلى إقطاعاتهم لجني المحاصيل ، ولذلك قرّر أن يستولي على المدن بأسوارها وأبراجها قبل أن يهدمها صلاح الدين ، فعندما تأكد أن صلاح الدين قرّر هدم أسوار عسقلان جمع ريتشارد الأمراء وزعماء العامة، وطلب منهم الرأي والمشورة في أن يزحفوا إلى عسقلان ويمنعوا صلاح الدين من تخريبها أو أن يتابعوا مسيرتهم إلى القدس ؟ اختلفت الآراء وتعددت الرؤى ، وكَثُرت الاقتراحات ، وصار كل فريق يرى أن رأيه الأصوب ، وأن رأي الطرف الآخر غير صحيح، عندها أراد ريتشارد حسم الموقف كقائد عام ، وزعيم للجميع قائلاً : ًيُخيل إلي أنه من غير الموائم ومما لا يعود علينا بالنفع أن تختلف الآراء فتبلغ هذا المدى الشاسع من التباين ، ويذهب كل واحد برأيه الذي يتناقض مع رأي غيره ، ففي ذلك خسارة ليست بالضئيلة، وقانا الله شرها....، وأرى الواجب يقتضي أن أصارحكم أن خير نصيحة يمكن أن أسديها لكم هي أن نطرد الترك من عسقلان ،

---

[٢٨٧] . حملة ريتشارد قلب الأسد إلى أراضي القدس المقدسة : ص ٩٧.

– الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد) : ج١ ، ص ٥٤.

ونحافظ عليها من معاول الهدم[٢٨٨]. إلا أن الفرنسيين عارضوا هذا الرأي مكايدةً منهم للملك، وقالوا : إنّ ترميم يافا وإعادتها إلى سابق عهدها هو الأمر الأفضل والأجدى والأكثر فائدة للصليبيين ، وسوّغوا ذلك بأن الطريق (طريق الحج) من يافا إلى القدس الذي سيسلكه الحجاج هو أقصر الطرق ، وهو أقصر حتماً من الطريق إلى عسقلان، ثم إلى القدس، وهلّلت الحشود وأيّدت الموقف الفرنسي ، لأنهم يريدون اتباع الطريق الأسهل وتجنب الجهد والإنفاق، وبهذه المعارضة استطاعوا أن يفسدوا رأي ريتشارد ، وأن يفرضوا إرادتهم عليه ، لأنهم كانوا الأكثر عدداً ، والملفت للنظر هو ما نطق به كفراً المركيز كونراد مونتفيرات حليف الفرنسيين الذي سكت دهراً والآن جاء دوره ليعارض وليقف في وجه ريتشارد علانية عندما قال له :ً مثلك لا ينبغي أن يكون ملكاً ، ويتقدم على الجيوش، فتسمع أن صلاح الدين قد خرّب عسقلان ، وتقيم مكانك يا جاهلً[٢٨٩]، طبعاً مثل هذا الكلام هو للتشهير فقط لأن ذلك لاينطبق على الملك ريتشارد لاقولاً ولا فعلاً ، فالملك كان حريصا على أن يحقق أكبر الانجازات الممكنة (حسب ما ورد في المصادر التي رافقت حملته) فهو أراد أن يذهب إلى عسقلان ، لكن حلفاء المركيز منعوه ، فيقول صاحب كتاب الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد) : هنا انتهى الأمر ، بأن كانت الغلبة لرأي الغوغاء وقررت جميع القوى أن تذهب إلى يافا لتعيد بناءها ، وهذا ما حصل . وبعد أن تمّ تنفيذ كافة الإجراءات لاستعادة تحصين يافا ، بقي الجيش مدة طويلة منصرفاً إلى الدعةِ والكسل والانغماس في اللهو ، وانتشرت بين صفوفه أنواع الخطايا والفجور ، أما النساء فقد عُدن من عكّا إلى الجيش في يافا ، وكثر الفسق ، وأهملت كافة أنواع الواجبات الدينية والعسكرية[٢٩٠]، إضافة إلى ذلك فقد تضاءل عدد أفراد الجيش بسبب رجوع أعداد كبيرة منه إلى عكّا عن طريق البحر ، حيث راحوا يترددون على الحانات يقضون أوقاتهم فيها ، فعمل الملك

---

[٢٨٨] . الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد) : ص ١٠٠ .

[٢٨٩] . ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، مصدر سالف ، مجلد١٠ ، ص ٢٠٩ .

[٢٩٠] . الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد) : جزء٢ ، ص ١٠١ والتي تليها .– حملة ريتشارد إلى أراضي القدس المقدسة : ص ١٢٧ .

على استرجاعهم بطرقٍ شتى ، ففي البداية أرسل لهم الملك غي لويزنيان الذي لم يستطع تحقيق شيء يذكر في هذا الاتجاه ، مما أدى إلى أن يقوم الملك ريتشارد بالمهمة نفسها، واستخدم مختلف أساليب الترغيب والترهيب ، فتحدث إليهم بالإيمان والأمل ، وأسبغ مختلف أنواع النصح ، وذكّرهم بالحج والأراضي المقدسة ، واستطاع بهذه الطريقة أن يعيد عدداً لا بأس به إلى صفوف الجيش[٢٩١] الذي خاض عدة معارك مع جيوش صلاح الدين تبودلت فيها الانتصارات ، والانكسارات ، وأدرك الطرفان أن هذه الحرب قد أنهكتهم جميعاً ولا بد من وضع حدٍ لها . فريتشارد حاول استغلال هذه الحالة لمصلحته ، فأرسل لصلاح الدين وأخيه العادل طالباً السلام ضمن شروطه وهي :

١. أن يردّوا عليه مملكة القدس كلها[٢٩٢]، كما كانت أيام الملك بلدوين الرابع (المجذوم).

٢. أن تدفع مصر الجزية كما كانت تدفعها إلى أجداده الصليبيين .

٣. استرداد كل شيء أخذه صلاح الدين من الصليبيين .

هذه الشروط كما وردت في المصادر اللاتينية[٢٩٣].

أما المصادر العربية فقد ذكرت أن الإنكتار (يعنون بذلك الملك الإنكليزي ريتشارد) طلب من العادل أن يتزوج أخته جوانا (التي تحدثنا عنها سالفاً ، وكانت ملكة لصقلية) وأن أخاها سيعطيها بلاد الساحل التي بيده من عكّا إلى يافا وعسقلان ، ويجعلها ملكة الساحل ، على أن يعطي صلاح الدين أخاه العادل ما بيده من مملكة القدس ، ويجعله ملك الداخل ، وأن يقوم صلاح الدين بتسليم صليب الصلبوت إلى ريتشارد ، أما القرى فتكون بيد الداوية والإسبتارية وكذلك

---

[٢٩١] . الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد) : جزء٢ ، ص ١٠١ والتي تلهيا . – حملة رتيشارد إلى أراضي القدس المقدسة : ص ١٢٨.

[٢٩٢] . العماد الأصفهاني: الفتح القسي في الفتح القدسي ، ص ٣٦٧ .– أبو شامة : الروضتين ، ج٤ ، ص ١٤٠ .– ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم) : مفرج الكروب ، الجزء الثاني ، ص ٢٦٧ .– ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج٦ ، ص ٤٣ .

[٢٩٣] . الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد) : الجزء الثاني، ص ١١٢ .– أمبرويز: صليبية ريتشارد قلب الأسد، ص٣٢٧والتي تليها – حملة ريتشارد قلب الأسد إلى أراضي القدس المقدسة ،ص١٣٢

الحصون التي بيدهم ، وأن يُفك الأسرى من كلا الطرفين ، ويرحل الإنكتار عائداً إلى بلاده ، فوافق السلطان على ذلك لأنه كان يدرك أن تلك لعبة جديدة من لعب ريتشارد[٢٩٤].

أما عن الشروط التي أوردتها المصادر الغربية ، فبمجرد النظر فيها يرى الباحث أنها أرادت أن تبرز فرض إرادة المنتصر على المنهزم ، لذلك، لم يوافق صلاح الدين عليها في المصادر نفسها ، لكنه قال لهم : سأرسل لملككم الجواب مع أخي العادل ، ورأى الصليبيون في رد صلاح الدين أنه أسلوب لكسب الوقت ، حتى يستطيع أن يدمر المدن والقلاع ، كما رأوا أنَّ استمرارالتباحث وتبادل الهدايا بين ريتشارد والعادل أمر مزعج ، وليس في مصلحة الصليبيين وعلى رأسهم الملك ريتشارد ، وزاد غضبهم لأنهم اعتقدوا أن تبادل الهدايا هو عقد صداقة مع مسلم ، وهذا بحد ذاته خطيئة[٢٩٥]، بينما أصرَّ الملك ريتشارد على أنَّ سياسته حكيمة يمكن بوساطتها توسيع حدود الصليبين ، و إبرام سلام موثق مع المسلمين ، وبخاصة بعد أن ضعفت شوكتهم بعودة الملك الفرنسي فيليب أُغسطس ، ومراسلة المركيز مونتفيرات لصلاح الدين بأن يتعاونا معاً ضد ريتشارد ، وفي هذه المراسلة شكل جديد من أشكال الصراع بين الطرفين سنبحث فيها .

الصراع بين المركيز كونراد مونتفيرات وريتشارد قلب الأسد

تجلت الخلافات هذه المرة على شكل عقد صفقات عبر تآمر بعضهم ضد بعضهم الآخر ، فقد أرسل المركيز مونتفيرات رسولاً إلى صلاح الدين يقول : إنه يصالح الإسلام بشرط أن :

. يُعطى صيدا ، وبيروت اللتين هما الآن في يد صلاح الدين ، وبالمقابل يجاهر المركيز بالعداوة لريتشارد وجيوشه الصليبية ، ويقوم بقصد عكّا ويحاصرها ويأخذها منهم على أن يبذل السلطان اليمين على ذلك[٢٩٦] . فأجابه صلاح الدين إلى قصده ، وكان يدرك أنه إذا ما تحقق ذلك

---

[٢٩٤] . العماد الأصفهاني : الفتح القسي في الفتح القدسي ، ص ٣٧٦ . ٣٧٨ .– ابن شداد(أبو المحاسن يوسف) : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص ٢١٤ .– أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين، ج٤ ، ص ١٦٥ .

[٢٩٥]- الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد) : ج ٢ ، ص ١١٥.

[٢٩٦] . أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ، ج٤ ، ص ١٦٦.

– ابن واصل : مفرج الكروب، ج٢ ، ص ٢٧٢.

فستكون ضربة قاسية . القصد منها إبعاد المركيز عن الصليبيين ، فإنه كان رجلاً خبيثاً وملعوناً ، وكان قد استشعر الخوف من أن يأخذ الصليبيون منه صور ويعطوها للملك العتيق غي لويزنيان ، فانحاز عنهم واستعصم بصور ، وهذه هي إحدى دوافعه لما أقدم عليه . صلاح الدين كما أسلفنا أجابه إلى طلبه ، واشترط عليه أيضاً أن يبدأ بمجاهدة قومه وحصار عكّا وأخذها منهم ، وإطلاق من فيها وفي صور من الأسرى المسلمين ، وعند ذلك يسلمه السلطان الموضعين المطلوبين (صيدا وبيروت)[٢٩٧]، ولما سمع ريتشارد بذلك رجع إلى عكّا لإفساد هذه العلاقة بين السلطان والمركيز ، وحاول استعادة المركيز إليه عبر طرقٍ شتى فأرسل إليه الرسل يحضونه على الحضور لينضم إلى الجيش ، وذكروه بالحرص والوفاء على الالتزامات تجاه المملكة التي يتطلع إليها ، وأمره ريتشارد بتنفيذ هذا الطلب وذكره بيمين الولاء الذي قطعه على نفسه للملك الفرنسي فيليب أُغسطس من أجل هذه الأرض ، إلا أن المركيز رفض كل المطالب ورد على الرسل بسخرية ، وأكد أنه لن يستجيب أبداً ما لم يعقد الملك ريتشارد اجتماعاً معه ، وإلا فلن يحرك ساكناً ، أو ينقل قدماً باتجاه الذهاب والالتحاق بالجيش، ولن يستطيع أحد في الدنيا زحزحته عما يراه[٢٩٨]، وأجابه الملك ريتشارد على طلبه هذا، وتقرر أن يجتمعا في الزيب[٢٩٩]، وتم اللقاء لكن دون فائدة . وفي يوم الثلاثاء الموافق ١٥ شوال سنة ٥٨٧هـ/ الموافق ٦ تشرين الثاني ١١٩١م وصل صاحب صيدا رسولاً من جانب المركيز إلى صلاح الدين للتأكيد على ما تم الاتفاق عليه بينهما ، فأمر السلطان باحترام هذا الرسول وإجلاله ، وضُربت له خيمة

---

[٢٩٧] . ابن شداد (أبو المحاسن يوسف) : ص ٢.٧ . – أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، م٢ ، ج٤ ، ص١٩٩ . – ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم) : مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٢٧٢. – زاباروف : الصليبيون في الشرق ، ص٢.٩ .

[٢٩٨] . الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد) : ج٢ ، ص ١٤٢.

[٢٩٩] . الزيب هي: قرية فلسطينية عرفت هذه القرية باسماء عديدة منها تل أكزيب TELACHZIB، وفي العصر الروماني دعيت أكذيبا Ecdippa، وذكرت أيام الصليبيين Ziph كما أطلق عليها الصليبيون قرية أمبرت casal imbert أو قرية هيبرت Hubert نسبة إلى الفارس الصليبي الذي تسلمها عقب الاستيلاء عليها سنة ٤٩٧هـ/١١.٤م وقرية الزيب تقع على الساحل عند مصب القرن، وهي تقع شمال عكّا وعلى بعد يحدها من الشمال قرية راس الناقورة ومن الشمال الشرقي قرية البص، ومن الجنوب قرية أبي الفرج، انظر الدباغ (مراد مصطفى): بلادنا فلسطين، ٨أجزاء، بيروت لبنان، ١٩٧٤، ج٧، القسم الثاني، ص ٣٣٤ .

وضُرب حولها شقة ، وأمر بإنزاله في الثقل ، ولما كان يوم السبت الموافق ١٩ شوال ٥٨٧هـ/ الموافق ١٠ تشرين الثاني ١١٩١م جلس السلطان واستحضر صاحب صيدا لسماع رسالته فحضر ، وحضر معه جماعة أتوا معه ، ويقول ابن شداد : إنه شاهد عيان على هذا اللقاء حيث تم إكرامهم وكان حديثهم منصباً على ضرورة عقد الصلح بين السلطان والمركيز ، ثم انضم إليه عدد من أكابر الإفرنج وتوصلوا إلى اتفاق ولكن ضمن شروط ، وهي :

١. أن يقاتل المركيز الصليبيين ويباينهم .
٢. أن ما يأخذه بانفراده من البلاد الإفرنجية بعد الصلح يكون له .
٣. ما نأخذه نحن بإفرادنا يكون لنا .
٤. ما نتفق نحن ، وهو على أخذه تكون البلد له، ويكون لنا ما فيه من الأسرى المسلمين وغير ذلك من الأموال .
٥. أن يطلق لنا كل أسير في مملكته .
٦. أن يفوض (وهذا أمر للمستقبل) ريتشارد إليه أمر البلاد لأمر يجري بينهم [ي أن يتم الصلح بينهم ، ويفوض ريتشارد إليه أمر البلاد] ، كان الصلح بيننا وبينه على ما استقر بيننا وبين ريتشارد[٣٠٠] [كانت هناك مباحثات بين العادل أخو صلاح الدين وريتشارد قلب الأسد، وقد تحدثنا عنها] .

في ٦ ربيع الآخر من سنة ٥٨٨ هـ/ الموافق ٢٢ نيسان ١١٩٢م ، وصل رسول المركيز يجدد حديث الصلح حيث رحل الفرنسيون، وأصبح الحال بينه وبين الفرنجة في قطيعة ، وإن تأخر أمر الصلح بطل أمر الحديث فيه ، فرأى السلطان أن يجيبه إلى طلبه ، لأن فيه مصلحة المسلمين، وكان الوضع في المشرق ليس على ما يرام ، حيث خرج الملك المنصور[٣٠١] بن الملك

---

٣٠٠ . ابن شداد (أبو المحاسن يوسف) : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، ص ٢٢٤ والتي تليها .

٣٠١ الملك المنصورصاحب حماه وهو محمد بن المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاهبن أيوب . كان شجاعا محبا للعلماء والفضلاء وكان عنده جماعه لهم عليه الرواتب . صنف كتاب سماه المضمار جمع فيه جملة من التواريخ وأسماء من ورد عليه وأقام عنده في عشر مجلدات . كانت وفاته في حماه في شوال سنة ٦١٧هـ/ ودفن عند أبيه وقام بعده ولده الأكبرالملك الناصر قليج أرسلان ثم أخذ الكامل منه حماه وأعطاها لأخيه المظفر بن المنصور واعتقل قليج أرسلان في الجب بمصر فمات به على أقبح حال . انظر : أبو شامه : الذيل على الروضتين ، ص١٨٨ .

المظفر[٣٠٢]، وأظهر العصيان متذرعاً بالخوف من السلطان على نفسه ، ودخل في إمرة الملك العادل ، وكان ذلك قد شقَّ على السلطان ، وأثار منه غيظاً عظيماً ، وكيف يكون هذا الأمر من أهله[٣٠٣]، وأدرك ريتشارد صعوبة الموقف ، وفي الوقت نفسه أدرك أن وعود العادل له وعود جوفاء لن يتحقق منها شيء، وبخاصة بعد أن طلب منه تهديم حصن الشوبك كشرط لإقامة السلام بينهما ، الأمر الذي رفضه صلاح الدين وجعل ريتشارد يفكر باتجاه آخر والقيام بأعمال كثيرة منها إعادة بناء أسوار عسقلان ، وخلال تنفيذ هذا العمل نشب خلاف كبير بين الملك ، وبين دوق برغنديا سنتحدث عنه فيما يلي .

-الخلاف بين الملك ريتشارد ودوق برغنديا:

تجلّى الصراع الأنكلو– فرنسي هذه المرة بشكل واضح بين الطرفين ، حيث ازدادت الإشاعات وروّجها مؤيّدو الملك ريتشارد بشكل كبير ، بأن الملك الفرنسي فرّ هارباً ، وتخلى عن الأرض المقدسة، وواجباته تجاهها ، وتجاه الصليبيين ، وتجاه قواته عندها استدعى دوق برغنديا كبار رجالات قواته الملتزمين بالولاء للتاج الملكي الفرنسي ، وتوجه إليهم قائلاً : ً أيها السادة ، أنتم تعلمون أن مولانا ملك فرنسا قد ذهب ، وبقيت نخبة من فرسانه بينما ليس مع ملك إنكلترا سوى قلة من الجند ، وها هم أمامنا ، فإذا ذهبنا قبلهم استولينا على القدس وعندها لن يكون بمقدورهم أن يقولوا إن الفرنسيين قد هربوا ، ولا يستطيع ريتشارد أن يدعي أنه استولى عليها وحده ، وإن ملك فرنسا قد فرّ هارباً ، ووافق البعض على هذه الطروحات ولم يوافق البعض الآخر ً [٣٠٤] لكن هذا الخلاف لم يظهر إلى العلن، لأن الملك ريتشارد لم يعرف شيئاً عن هذا المؤتمر ، ثم نشب خلاف كبير بين ريتشارد وبين دوق برغنديا المسؤول عن القوات الفرنسية التي تركها فيليب أُغسطس حيث قالوا : إن سبب هذا الخلاف هو سوء الأوضاع الاقتصادية وعدم القدرة على

---

[٣٠٢] الملك المظفر عمر بن شاهنشاه بن أيوب بن شاذي كان شجاعا شديد البأس. توفب بوم الجمعة ١٩ رمضان سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م حيث كان يحاصر مناذكرد .انظر : أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ،ج٤ ، ص١٧٠ .

[٣٠٣] . المصدر السالف: ص ٢٢٥ . – ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم) : مفرج الكروب ، الجزء الثاني ، ص ٢٧٧–٢٧٩ .

[٣٠٤] . ذيل تاريخ وليم الصوري (١١٨٤–١١٩٧) : ص ٤٠٨ والتي تليها. .

تأمين الجيوش[٣٠٥]، فقد قلّت المؤن واستُهلك ما هو متوفر منها، ولم يبق ما يسد رمق المقاتل، وبدأ الفرنسيون يلحون على الدوق بضرورة تأمينهم ، ودفع مستحقاتهم، وقالوا له : إذا لم تدفع لنا مستحقاتنا لا يمكننا متابعة الخدمة في المعسكر . وجد الدوق نفسه غير قادر على تلبية احتياجات القوات ، وأنّ عليه معالجة الأمر بأسرع وقت ممكن ، فطلب من الملك ريتشارد أن يقرضه مبلغاً من المال يكون قادراً من خلاله على تلبية الاحتياجات الضرورية لقواته ، ولكنه كان سابقاً قد اقترض أيضاً من الملك مبلغاً من المال كان من المفترض أن يتم تسديده إلى الملك بعد الحصول على فدية الأسرى من حصة الملك الفرنسي ، ولكن ذلك لم يتم لأن ريتشارد قد قتل الأسرى ، ولأن صلاح الدين لم يدفع فديةً لأحد ، لأنه رأى أن ريتشارد يريد أن يحصل على المال وعلى صليب الصلبوت وعلى كل شيء وأن يقتل الأسرى . لذلك بقيت المبالغ السابقة دون تسديد فرفض الملك ريتشارد الاستجابة لطلب الدوق ، ولهذا السبب ، وأسباب أخرى من عدم الاتفاق بين الرجلين ومن أهمها رواية وردت عند روجر أوف ويندوفر مضمونها أن ريتشارد قد اتهم الدوق بإقامة علاقات مع صلاح الدين ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، فقد اتهمه بالرشوة، والخيانة العظمى فذكر أنه في إحدى الليالي سمع أحد جواسيس الملك ريتشارد ، واسمه جوموس Jumaus أصواتاً غريبة نازلة من الجبل ، فتتبعها للتعرف ، والتأكد منها، فتبين أن هناك مجموعة رجال يسوقون عدداً من الجمال المحملة بالذهب والفضة والأقمشة الحريرية تتجه باتجاه معسكر الدوق ، ومن لغتهم عرف أنهم تابعون لصلاح الدين ، فأسرع الجاسوس إلى الملك الذي أرسل كميناً ، وأسر الرجال في أثناء عودتهم ، وبالتحقيق معهم تبين أنهم من رجال صلاح الدين أرسلهم إلى الدوق فقام ريتشارد وأرسل خلف الدوق والبطريرك ورئيس رهبان بيت لحم وبحضور الجميع طلب من الدوق أن يقسم بأنه مستعد للزحف والهجوم على القدس فأقسم ، ثم طلب منه أن يقسم أمام الجميع على أنه لم يتصل بصلاح الدين ، ولم يُقم معه أية علاقات فرفض ، وبعدها أحضر الملك الأسرى الذين تحدثوا أمام الجميع عما كانوا يحملونه إلى الدوق ،

---

[٣٠٥] . الحملة الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد) : الجزء الثاني ، ص ١٤٣ .

ومن أرسلهم ، فاستولى الخجل على دوق برغنديا ، وغضب لأن الملك كشف خيانته للجميع ، لذلك غادر عسقلان مسرعاً إلى عكّا[٣٠٦] ومعه بعض الفرنسيين الذين لم تستطع قيادتهم أن تلبي احتياجاتهم ، ولكن طريقهم إليها لم يكن سهلاً ، وهناك حدث فيها تجلي آخر للصراع بين البيازنة والجنوية ، وهذا ما سنتحدث عنه .

الصراع بين البيازنة والجنوية:

البيازنة كانوا من مؤيدي الملك العتيق غي لويزنيان في حين وقف الجنويون إلى جانب المركيز كونراد مونتفيرات الذي وقف إلى جانب قريبه فيليب أُغسطس الملك الفرنسي ، عندما اشتد الخلاف الأنكلو فرنسي الذي ظهرت إحدى تجلياته صراعاً . لكنّه كان هذه المرة دموياً بين البيازنة والجنوية ، لأن كل منهما اختار أن يكون طرفاً في الصراع الأنكلو فرنسي كما أسلفنا، فخاضوا قتالاً مريراً بين بعضهم البعض سُفكت فيه الدماء وأُزهقت من أجله الأرواح وبدت المدينة في فوضى لا تعادلها فوضى ، عندما اقترب الفرنسيون من عكّا ، وكانوا عائدين إليها سمعوا أصوات صخب شديد ، وصراخ الناس يحث بعضهم بعضاً على القتال ولما علموا أن القتال بين البيازنة والجنوية . أسرع الدوق ، وجنوده لنصرة الجنوية لأنهم كانوا مرتبطين بعلاقة حميمة مع الفرنسيين ، وكان لا بد للفرنسيين من نصرتهم ولاسيّما أن الجنوية كما يقول صاحب كتاب حملة ريتشارد قلب الأسد إلى أراضي القدس المقدسة : في وضع محرج تماماً[٣٠٧]. وعندما أدرك البيازنة أن الفرنسيين قد جاؤوا لشد أزر الجنوية خرجوا لصد الفرنسيين ، وتم التركيز على الجهة التي يوجد بها دوق برغنديا، فأحاطوا به ، وعقروا حصانه، وطرحوا الدوق أرضاً فأصابته طعنة من حربة ، ثم رجعوا إلى المدينة ، وأغلقوا أبوابها ، وحصنوا مواقعهم لأنهم عرفوا أن الجنويين بعثوا إلى مركيز مونتفيرات يطلبون منه القدوم بأقصى سرعة ممكنة حتى يستولي على عكّا ، وقد وعدوه بتسليمه إياها ، ولهذا اتخذ البيازنة كل الاحتياطات اللازمة لضمان سلامتهم

---

[٣٠٦] . وندوفر (روجر أوف) : ورود التاريخ، ص ٣٣٦ والتي تليها .

[٣٠٧] . وندوفر (روجر أوف) : ص ١٤٤ والتي تليها .– الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد) : ج ٢ ، ص ١٤٣–١٤٧ .

وسلامة المدينة[٣٠٨]، وسرعان ما لبى المركيز الطلب ، وقدم على رأس قوة ضخمة ، وقد راوده الأمل الذي انتظره طويلاً في مباغتة المدينة والاستيلاء عليها . إلا أن البيازنة تأهبوا لمنعه والوقوف بوجهه ، وجهزوا آلات رمي الحجارة والمنجنيقات واستطاعوا مقاومة المركيز وقواته لمدة ثلاثة أيام ، وقاتلوا قتال الأبطال وراح كل واحد منهم يباري الآخر في إظهار بأسه وقوته ، وشجاعته ، ولكنهم بكل تأكيد لم يكونوا وحدهم قادرين على صد القوات الفرنسية والجنوية ، لذلك بادروا لطلب النجدة من الملك ريتشارد ، وأخبروه بالوضع في عكّا ، وطلبوا منه الإسراع إليهم . في تلك الأثناء كان ريتشارد في قيسارية يحث الخطا في طريقه إلى الاجتماع المتفق عليه مع المركيز كونراد مونتفيرات ، وذلك من أجل توحيد الصف وتحقيق السلام ، لكن المركيز كان قد ارتد سريعاً راجعاً إلى صور لأنه لا ينوي حضور هكذا اجتماع ، وكان يقدر مدى الخطر عليه وعلى طموحاته بحضور مثل هذه الاجتماعات . وكان قد سبقه إلى صور دوق برغنديا الجريح بعد أن أغلقت أبواب عكّا في وجهه ، وبعد أن صده البيازنة عنها ، ومنعوه من الدخول إليها لذلك قفل ريتشارد عائداً إلى عكّا ، فوصلها في ٤ صفر سنة ٥٨٨هـ/٢٠ شباط ١١٩٢م رآها قد غرقت بالفوضى ، وملأتها الجراح ، فعمل على تهدئة النفوس ، وتقريب وجهات النظر بين الطرفين المختلفين الجنوية والبيازنة ، وألقى خطبة مؤثرة جاء فيها : (ليس هناك أعظم اعتباراً بين الشركاء من الصداقة ، وليس أطيب من الزمالة ، ولا أحسن وقعاً من الوفاق كما أنه لا أسوأ و لا أخطر من التحاسد المؤدي إلى التهلكة ، وليس هناك ما هو أنكى ، وأضر من تفرق الرأي والتباغض ، وشجب السلام ، ولا أدعى إلى الشر من تدنيس التحالف القائم على المحبة)[٣٠٩]، واستطاع الملك بما بثه من عواطف وكلمات رائعة مؤثرة أن يعيد الجنوية إلى حظيرة السلام والمصالحة مع البيازنة وبعدما تم للملك تهدئة الأوضاع في عكّا أرسل إلى المركيز في صور يدعوه إلى التفاهم والصداقة والسلام . لكن دون نتيجة ، ورأى ريتشارد أن أمور الحملة

---

[٣٠٨] . حملة ريتشارد قلب الأسد إلى أراضي القدس المقدسة : ص ١٤٥ . – الحرب الصليبية الثالثة : ج٢ ، ص ١٤٥ .

[٣٠٩] . الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد) : الجزء الثاني ، ص ١٤٦.

تتجه نحو الأسوأ ، ولذلك عقد اجتماعاً سرياً تشاور فيه مع أكبر رجال الحملة وأكثرهم حكمة ، وأرجحهم عقلاً لمعالجة كيفية الوقوف لمنع تدهور أوضاع الحملة ، لم يصل إلى نتيجة ترضيه ، واستمر الفرنسيون في طلب العودة واللحاق بدوق برغنديا ، فأذن لهم بالعودة إلى عسقلان التي أرسل منها رسولاً إلى عكّا يحمل تعليماته إلى القائمين عليها بألا يسمحوا للفرنسيين بالدخول إليها ، والإقامة فيها ، وهذا ما تحقق حيث أغلقت أبواب عكّا في وجه الفرنسيين ، واضطروا للإقامة خارجها[٣١٠]، ثم ارتحلوا إلى صور ، وهناك أطلقوا لأنفسهم العنان للإنغماس في كافة أنواع الرذيلة ، وهنا ساءت أحوال الحملة بشكل سريع وبخاصة عندما جاء رسول من وراء البحار يخبر الملك ريتشارد بأوضاع مملكته السيئة وتحول الصراع إلى أسلوب دموي جديد محوره القتل ، وأسلوبه التآمر بطرق شتى ، وهذا ما ستتم دراسته من خلال البحث في مقتل المركيز كونراد مونتفيرات ، وتبادل الاتهامات حول مقتله .

مقتل المركيز كونراد مونتفيرات، وتجدد الصراع على العرش:

في سنة ٥٨٨هـ/١١٩٢م قدم من انكلترا رئيس دير هيرفورد ليبلغ الملك ريتشارد أن الأمور قد ساءت فيها إلى درجة كبيرة . إذ إن شقيقه جون اغتصب السلطة ، وأبعد المقربين من ريتشارد ، وأفرغ خزائن الدولة من محتوياتها ، وأجبر البارونات والنبلاء أن يحلفوا له يمين الولاء والخضوع وأن يسلموه القلاع[٣١١].استولى الذهول الشديد طويلاً على الملك، فما سمعه جعله يمسك حتى عن الكلام، وبدأ يقلّب الأفكار في ذهنه، فما سمعه لا يصدق ، وما تعانيه الأرض المقدسة من صراعات ونزاعات وشقاق بين من جاؤوا لنجدتها شيء عظيم فأيّ الأمرين سيكون له الأولوية ، أيترك المهمة أم يترك مملكته تذهب إلى غيره ، وهو يتفرج عليها ؟ إذاً ما العمل ؟ جمع الملك ريتشارد قادة الجيش ، وشرح لهم المشكلة كما سمعها من رئيس رهبان هيرفورد ، وبين لهم أهمية

---

٣١٠ . الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد) : ج٢، ص ١٤٧ والتي تليها .

٣١١ . وندوفر(روجر أوف) : ورود التاريخ ، ص ٣٩٣ . – الحملة الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد) : ج ٢، ص ١٥٦ .– حملة الملك ريتشارد قلب الأسد إلى أراضي القدس المقدسة : ، ص ١٤٩ والتي تليها .

عودته إلى إنكلترا للمحافظة على أملاكه ومملكته لكنه تعهد أمامهم أنه إذا غادر عائداً سيترك ثلاثمائة فارس ، وألفين من المشاة المسلحين وسينفق عليهم من ماله الخاص ، ولما انتهى من كلامه سأل الجميع من يريد العودة معه ومن يريد البقاء في هذه المنطقة ؟ وأعلم الجميع أنه لا يكره أحداً على أي من الأمرين، بل ترك الخيار لهم . فتناقش الجميع في هذا الأمر ، وكيف ستكون الحال بعد عودة الملك ريتشارد ؟ وهل يستطيع الملك العتيق غي لويزنيان أن يقود البلاد ؟ أم أنهم بحاجة إلى ملك جديد ، فغي قد جرَّبوه في مواقع كثيرة ، ولم يكن على قدر المسؤولية ، إذاً لا بد من الخيار الآخر ، وهو ملك جديد يسلمون إليه أمورهم وأمور البلاد ، وقيادة الجيوش في الحرب والسلم وسمع ريتشارد منهم رغبتهم هذه وأكدوا له أنه، إذا لم يتم ذلك قبل رحيله ، فإنهم سيرحلون أيضاً.

ريتشارد وتفاعل ريتشارد مع الموقف ، ووقف ليسأل الجميع من يؤثرون ؟ الملك غي أم المركيز ، خياران وضعهما الملك أمامهم ، وكان في ذهنه أن يختاروا الملك غي ، لكن ليس دائماً تجري الرياح بما تشتهي السفن ، أجاب الجميع : إنهم يريدون المركيز ، فهو الأقدر والأجدر والأكثر نباهة ، وفراسة من ملك مجرَّبٍ أكثر من مرة ، لكنه كان يقود البلاد إلى الخسارة والتدهور[٣١٢] في كل مرّة .

ما هي ردة فعل الملك ريتشارد على اختيار المركيز ؟

ليس أمام ريتشارد خيارات كثيرة ، فالحملة ضعيفة ، والأمور تتدهور بسرعة ، وفيليب أُغسطس وصل إلى بلاده ، وبدأ يهدد ممتلكاته هناك[٣١٣]، ودوق برغنديا ترك ميدان القتال و رحل الى صور ، وأخوه فيما وراء البحار طمع في السلطة ، وبدأ يتآمر عليه ، إضافة إلى أنه كان يحب الملك غي لويزنيان ، ووقف إلى جانبه ودعم قضيته ، وحقوقه في الملك هذا من ناحية ومن ناحية ثانية كان قد عانى كثيراً من تآمر المركيز عليه ، ومن تصرفاته تجاه الحملة وتمويلها ،

---

[٣١٢] . حملة الملك ريتشارد قلب الأسد إلى أراضي القدس المقدسة : ص ١٥٩ . – الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد قلب الأسد) : ص ١٥١ .

[٣١٣] - غروسيه (رينيه) : ملحمة الحروب الصليبية ، ص٢٣٥ .

وعدم دعمها ، وهروبه إلى صور ، وتحصنه فيها ، وعدم تقديم أي عون إلى الجيوش الصليبية . كما تآمر ضد التاج الملكي ، وضد الجيش الموجود في عسقلان، وهادن صلاح الدين على شروط أضعفت الجيوش وهددتها بالانهزام .

لكن ما أثار اهتمام ريتشارد هو موقف جنوده الذي انقلب فجأة، فقد كانوا بالأمس القريب كثيري اللوم للمركيز كارهين له ، وإذا ما ذكروه قالوا ما يشينه وسلقوه بالسنة حداد[٣١٤].

بالنتيجة استجاب الملك ريتشارد لإرادة الصليبيين في اختيار المركيز ملكاً عليهم ، وطلب إرسال وفداً كبيراً إلى صور للعودة بالمركيز وتبليغه إرادة الناس في اختياره ملكاً عليهم وكانت هذه السفارة تتألف من هنري كونت شمبانيا ومعه الكثير من البارونات الذين خرجوا إلى صور يحملون إلى المركيز الخبر الذي تطلع إليه زمناً طويلاً[٣١٥]. وما إن انتشر ذلك الخبر حتى عمّت الفرحة عند الجميع ، وبدأت الاستعدادات بكل الاتجاهات للاحتفال بتتويج الملك ، ولكن الأمور سارت باتجاه آخر فما إن عاد الكونت هنري حتى هز المنطقة نبأ مقتل المركيز في ظروف غامضة ، وكان ذلك في ٥ ربيع الآخر سنة ٥٨٨هـ/ الموافق ٢١ نيسان ١١٩٢م حسب ما جاء عند المؤرخ المجهول الذي رافق حملة ريتشارد ، بيمنا جعله ابن الأثير في ١٣ ربيع الآخر سنة ٥٨٨ هـ[٣١٦]، وهذا التاريخ يوافق ٢٩ نيسان ١١٩٢ بينما جعل صاحب كتاب ذيل تاريخ وليم الصوري مقتل المركيز في سنة ٥٨٧هـ/ الموافق ١١٩١م وهذا غير صحيح[٣١٧]. لكن الذين قتلوه معروفون، فقد قُتل نهاراً جهاراً على مرأى ومسمع الجميع . حيث قام رجلان من الطائفة الإسماعلية كان قد أرسلهما شيخ الجبل[٣١٨] بطعنه بالسكين، فكانت جراحه قاتله ، وسقط من فوق

---

[٣١٤] الحملة الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد) : ص ١٥٩ – حملة الملك ريتشارد إلى أراضي القدس المقدسة : ص ١٥١ .

[٣١٤] المصدر السالف : ص ١٥١ . – ستيفين رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، الجزء الثاني،ص ١٢.

[٣١٥] – ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، المجلد العاشر، ص ٢١٣ . – السرياني (القس إسحق أرمله) : الحروب الصليبية في الآثار السريانية ، ص ١٩٩ . – العيني (بدر الدين محمود) : عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، ص ٤١٧. – بردج (أنتوني) : تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٢١٨ . – رنسيمان (ستيفين): تاريخ الحروب الصليبية ، ج٢ ، ص ١٢٤ والتي تليها .

[٣١٧] . ذيل تاريخ وليم الصروي : ص ٤٢٢ .

[٣١٨] . ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، م١٠ ،ص٢٠٩ – بردج (أنتوني) : تاريخ الحروب الصليبية ، ص٢١٨ . – السرياني (القس إسحق أرمله) : الحروب الصليبية في الاثار السريانية ، ص١٩٩ . – رنسيمان : ج٢ ، ص١٢٥ . – و الإسماعيلية: هم طائفة

جواده ، وقتل أحد الرجلين في الحال وتم القبض على الثاني الذي اعترف بأنهما نفذا هذا العمل بأوامر عُليا من شيخ الجبل راشد الدين سنان ، لكن ما السبب ؟ وجهات نظر متعددة احتوتها المصادر التاريخية ، وكل منها تقدم الأسباب والمسوّغات للقيام بهذا العمل ، فالفرنسيون اتهموا الملك ريتشارد بالتآمر مع شيخ الجبل لقتل المركيز والملك فيليب ، أما المسوّغات برأيهم فهي كثيرة، فالملك ريتشارد منذ البداية وقف إلى جانب الملك غي لويزنيان ضد المركيز ، وحاول قتل كل طموحاته والقضاء عليها، وبالمقابل فقد وقف المركيز ضد ريتشارد ، وتآمر عليه وأساء إليه شخصياً وتحداه وبخاصة عندما خُربت مدينة عسقلان، حيث قال له :ً مثلك لا ينبغي أن يكون ملكاً ويتقدم على الجيوش.... يا جاهلً[٣١٩]، كما قطع الإمدادات عن قواته ، ورفض أكثر من مرة توسلات الملك ريتشارد وتطلعاته إلى ضمه إلى صفوف قواته وحملته بالإضافة إلى ذلك فقد اتصل بصلاح الدين ، وتآمر معه ضد الملك ريتشارد مما أضعف موقفه كثيراً ، ويمكن أن نضيف أمراً آخر وهو شكوى البيازنة منه ، والذين أقاموا في صور ، وكانوا قد أعطوا المركيز أموالاً ليشتري لهم جزيرة قبرص لكن المركيز لم يشترِ الجزيرة ، ولم يُعد لهم أموالهم، وباعتبار أن البيازنة هم حلفاء للملك ريتشارد ، فقد عمق ذلك من حقد الملك على المركيز[٣٢٠]. وبالنهاية هل من الطبيعي أن يقبل الملك ريتشارد اختيار المركيز ملكاً للأرض المقدسة ؟ ويحصد كل ما

إسلامية يقولون بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام (ت ١٤٥هـ/٧٦٣م) الذي نجح اتباعه في إقامة الدولة الفاطمية في أواخر القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) غير أنه حدث أن انشق اسماعيلية الشام بعد موت الخليفة الفاطمي المستنصر (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م) ونادوا بابنه نزار وبطلان إمامة ابنه الآخر المستعلي الذي ظل أتباعه في مصر ينتمون إليه وقد عرف فرع الشام في التاريخ باسم الإسماعيلية النزارية ، ولعبت هذه الطائفة دوراً مهماً في الصراع الصليبي الداخلي والصراع الصليبي الإسلامي ، أنظر ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص ٤٤ . – يوسف (جوزيف نسيم): العدوان الصليبي على بلاد الشام، هزيمة لويس التاسع في الأراضي المقدسة، الإسكندرية،١٣٩١هـ/ ١٩٧١، ص ٢٢٦ والتي تليها .

[٣١٩] . ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، المجلد العاشر، ص ٢٠٩ . – بردج (أنتوني) : تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٢١٨ . – السرياني (القس إسحق أرملة) : الحروب الصليبية في الآثار السريانية ، ص ١٩٩ – ورنسيمان (ستيفين) : تاريخ الحروب الصلبيبة ، ج٢، ص ١٢٥.

[٣٢٠] . أرنول: ذيل تاريخ وليم الصوري (١١٨٤–١١٩٧ ، ص ٤٢٨.

زرعه ، وضحى من أجله . إذاً هناك الكثير من المسوِّغات التي تجعل ريتشارد يحقد على المركيز كونراد مونتفيرات .

قال أبو شامة : (فأخذ الفرنجة الرفيقين فألفوهما من الفداوية الإسماعيلية مرتدين فسألوهما من وضعهما على تدبير هذا التدبير؟ فقالا: ملك الإنكلتير)[٣٢١]. وهناك نقطة يجب الانتباه إليها بجدية، وهي أنه عندما طلب ريتشارد من المركيز العودة ولم يستجب ، وبعد أن تشاور مع القادة وأكثر الرجال حكمة وتجربة في الجيش قرر ريتشارد أن المركيز خسر دعواه بالملكية التي كان قد وعد بها[٣٢٢]، وهذا أمر في غاية الخطورة عند البحث عن الأسباب الموجبة لاغتيال المركيز، لكن المؤرخين الذين رافقوا حملة الملك ريتشارد دافعوا ضد تلك التهم، وعدوها بذوراً بذرها العدو، وراحت تنمو كالطفيليات ، وتفسد ما حولها من حقول الحنطة[٣٢٣].

حيث أدخلوا في عقول الناس أن الملك ريتشارد هو الذي قرر قتل المركيز ، وأنه استأجر هؤلاء الرجال لهذا الغرض، ورجح العماد الأصفهاني هذا الرأي فقال : (فلما قتل المركيز سكن روعه ، وذهب ضوره وضوعه ، وطاب قلبه وآب لبه ، واستوى أمره ، واستشرى شره)[٣٢٤] ولم يقفوا عند هذا الحد ، بل أرسلوا إلى ملك فرنسا المبعوثين يحذرونه لكي يحترز من رجال شيخ الجبل صاحب مصياف ، وقدموا له تفاصيل عن كيفية موت المركيز وذكروا أن الملك ريتشارد أرسل أربعة من هؤلاء الرجال للقيام باغتيال الملك فيليب[٣٢٥].

---

[٣٢١] . الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، م٢، ج٤، ص ١٧٦ .– العماد الأصفهاني : الفتح القسي في الفتح القدسي ، ص ٤٠١ .– ابن شداد(أبو المحاسن يوسف) : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، ص ٢٢٦ . – العيني (بدر الدين محمود) : عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، ص ٤١٧ .

[٣٢٢] . حملة الملك ريتشارد إلى أراضي القدس المقدسة ، ص ١٦٤.

[٣٢٣] . الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد) : ج٢، ص ١٦٥. – حملة الملك ريتشارد إلى أراضي القدس المقدسة : ص ١٥٤.

[٣٢٤] . العماد الأصفهاني : الفتح القسي في الفتح القدسي ، ص ٤٠٢ . –١ عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان : ص ٤١٧ .

[٣٢٥] . ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، م١٠، ص ٢١٣ والتي تليها . – حملة الملك ريتشارد إلى أراضي القدس المقدسة : ص ١٥٤ . – الحملة الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد) : ج٢، ص ١٦٦.

حاول ريتشارد أن يدافع عن نفسه، ويرد هذه التهمة فأرسل الرسل إلى مقدم الإسماعيلية وطلب منه إرسال رسالة إلى دوق النمسا ، أو إلى إمبراطور ألمانيا لتبرئته من هذا العمل وفعلاً تم إرسال رسالة مفادها أن ما من ملامة يمكن إلصاقها بالملك ريتشارد فيما بتعلق بقتل المركيز ، وأن سبب قتله هو احتجازه سفينة لأحد رجال شيخ الجبل ، وقتل صاحبها ونهب ما فيها من ثروة ورفضه إرجاعها على الرغم من المطالبة بذلك ، ولذلك قتل[٣٢٦].

وقد أكد ذلك صاحب كتاب ذيل تاريخ وليم الصوري ، عندما قال : (وعندما علم مقدم الحشيشية بما حدث ، بعث برسالة إلى المركيز يهدده بها ، وطلب منه إعادة ما انتزعه من رجاله، وإلا فسيقتله ، فأجابه المركيز بأنه لن يعيد شيئاً أبداً ، وعند ذلك طلب مقدم الحشيشية من اثنين من رجاله الذهاب إلى مدينة صور ليقتلا المركيز)[٣٢٧]. ومن المفيد أن نلاحظ أن المؤرخ نفسه ذكر أيضاً أن الاتهامات بقتل المركيز وجهت للملك ريتشارد ، وبأنه تآمر مع مقدم الإسماعيلية لقتله ، وقتل ملك فرنسا فيليب لكنه استدرك ، فقال :(لا ندر مدى صحة هذه الأخبار) . وبالتدقيق برسالة التبرئة الموجهة إلى دوق النمسا يلاحظ الإصرار على قول شيخ الجبل مولاي الملك ريتشارد ، وقد وردت هذه العبارة أكثر من مرة في الرسالة ، وهذا يدل على أن هناك علاقة ودية ما بين الرجلين تسمح بأن يتجرأ الملك ريتشارد بمثل هذا الطلب (قتل المركيز) من شيخ الجبل . أما وجهة النظر الثانية في قتل المركيز كونراد فهي اتهام الملك غي لويزنيان بقتله متذرعةً بما قدمه المركيز من إهانات للملك غي لويزنيان عندما جاء ومعه زوجته الملكة سيبيلا من طرابلس إلى صور ، ومنعهما المركيز من دخول المدينة ووجه إليهما مختلف الإهانات. أما وجهة النظر الثالثة ، فقد انفرد بها ابن الأثير عندما قال : كان سبب قتله أن صلاح الدين راسل مقدم

---

[٣٢٦] . ويندوفر (روجر أوف): ورود التاريخ ، ص ٤٠١ والتي تليها .

[٣٢٧] . ذيل تاريخ وليم الصوري : ص ٤٢١ . – رنسيمان(ستيفين) : تاريخ الحروب الصليبية ، ج٢، ص ١٢٥.

الإسماعيلية ، وهو سنان من فاوضه على قتل الملك ريتشارد ، وإن قتل المركيز كونراد، فله عشرة آلاف ديناراً[٣٢٨]. بالتدقيق على هذه المسألة، يتبين ضعف هذه الرواية للأسباب التالية :

١. إن العلاقة بين صلاح الدين والإسماعيلية بشكل عام لم تكن جيدة ، حيث تعرض لمحاولة الاغتيال من قبلهم أكثر من مرة ، وفتك بهم في معقلهم قلعة مصياف[٣٢٩].
٢. أكد مقدم الإسماعيلية شيخ الجبل في رسالة إلى دوق النمسا أنهم لم يقتلوا أحداً من أجل المال ، فكيف يستطيع صلاح الدين ، وهو على علاقة ليست جيدة بهم أن يغريهم بالمال[٣٣٠].
٣. لقد كانت هناك مفاوضات بين صلاح الدين وبين المركيز قَبِلَ من خلالها الأخير أن يظاهر الفرنجة علناً ويقف ضدهم ، لا بل حتى أن يقاتلهم ، وبالتالي قتله ليس لمصلحة صلاح الدين ، لأن حياته ضرورية من أجل أن يبقى الصراع بين الفرنجة قائماً ، ويبقى صفهم مشقوقاً . قال العماد الأصفهاني : (ولم يعجبنا قتل المركيز في هذه الحالة ، وإن كان من طواغيت الضلالة ، لأنه كان عدوّ ملك الإنكليز ، ومنازعه على الملك والسرير ومنافسه في القليل والكثير ، وهو يراسلنا حتى نساعده عليه ، وننزع أخذه من يديه وكلما سمع ملك الإنكليز أن رسول المركيز عند السلطان مال إلى المراسلة بالاستكانة و الإذعان)[٣٣١] ٤.

بالإضافة إلى ذلك يجب التنبه إلى أن ابن الأثير كان لا يحب صلاح الدين كونه تربى في بلاط الدولة الزنكية الحاكمة للموصل ، وكان ولاؤه مطلقاً لها فعندما جاء صلاح الدين عدَّهُ

---

[٣٢٨] . ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، م١٠، ص ٢١٣ والتي تليها . – رنسيمان (ستيفن): تاريخ الحروب الصليبية ، ج٢، ص ١٢٥ .

[٣٢٩] . الكامل في التاريخ م ١٠، ص ٧٦. – أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، جزء٢ ، ص ٢٧٨ . – ابن واصل : مفرج الكروب في أخبار دولة بني ايوب ، جزء١ ، ص ٤٧ .– عاشور، سعيد،الحركة الصليبية ، صفحة مشرفة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى ، ج٢، ص ٥٨٨ والتي تليها .

[٣٣٠] وندوفر (روجر أوف) : ورود التاريخ ، ص ٤٠١ والتي تليها .

[٣٣١] . العماد الأصفهاني(محمد بن محمد) : الفتح القسي في الفتح القدسي ، ص٤٠١ . – أبو شامة(عبد الرحمن بن اسماعيل): الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، م٢، ج٤، ص ١٧٦ .

مغتصباً للسلطة التي يجب أن تكون بابناء عماد الدين كما أنه لم يكن من خلق صلاح الدين التوسل بالغدر بهذه الطريقة . ولكن الحقيقة التي لا يمكن تجاوزها: هي أن المركيز قتل ، وعدنا إلى نقطة الصفر في قضية ولاية العرش ، فقد انتعشت آمال الملك غي لويزنيان في العودة إلى عرش مملكة القدس ، ولاسيّما وأن البيازنة قد استدعوه فور مقتل المركيز ليستولي على صور ، لكنه ما إن وصل حتى وجد هنري دي شامبين الذي كان موجوداً خارج صوروقد تزوج من إيزابيلا وريثة العرش[٣٣٢](أرملة كونراد)في اليوم التالي لمقتله وكأن الأمر مرتب تماما من قبل ريتشارد قلب الأسد ويذكر العماد بأن أرملة كونراد كانت حاملاً فسأل الفرنجة عن مصيرالولد فقال : (ننسبه إلى أمه)، لكن الفرنسيين الذين وقفوا ضده دائماً في قضية ولاية العرش طالبوا بأن تسلمهم إيزابيلا مفاتيح المدينة، لكنها رفضت ذلك ، وبناءً عليه انتخبوا الكونت هنري ملكاً، وأرسلوا بذلك إلى ريتشارد الذي رحب بذلك، والسؤال المهم ، لماذا لم يدافع ريتشارد عن غي لويزنيان هذه المرة ؟ ألم يكن الملك العتيق خياره القوي الذي دافع عنه بضراوة ؟ ألم يقف غي لويزنيان مع ريتشارد قلب الأسد في كافة مغامراته بدءاً من قبرص وانتهاءً بعكّا ؟ نعم كل ذلك صحيح ، ولكن الصحيح أيضاً أن كافة الأوضاع قد تغيرت وتبدلت ، فالصليبيون منقسمون على أنفسهم ، وانسحب قسم كبير منهم واعتذر عن متابعة المهمة، ففيليب أُغسطس أصبح في فرنسا يهدد ممتلكات ريتشارد هناك ، ودوق برغنديا في صور ، ومعه عشرة آلاف مقاتل ، وهم الذين اختاروا هنري دي شامبين ملكاً[٣٣٣](هو ابن أخت ريتشارد) ، والوقوف ضد رغبتهم قد يؤدي إلى معارك جديدة وصراعات ليست ببعيدة تضعف الحملة التي أصبحت ضعيفة أصلاً ، هذا من ناحية ومن ناحية ثانية فإن اختيار هنري دي شامبين ملكاً حل يرضي الجميع ، فهو ابن أخت الملك الفرنسي من والده ، وابن أخت الملك الإنكليزي ريتشارد من جهة أمه أليانور التي كانت زوجة لويس السابع والد فيليب أُغسطس يوماً ما، وقد ولدت منه ابنة اسمها ماري تزوجها

---

[٣٣٢] . ديسيتو(رالف) : صورة التاريخ ، ص ٢٥٠ .

[٣٣٣] الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد) : ج ٢ ، ص ١٦٦ والتي تليها .

دوق شامبين ، وولدت له هنري الذي نتحدث عنه ، أما أليانورفكما أشرنا من قبل ، بعد أن طلقها لويس السابع تزوجها ملك إنكلترا هنري الثاني ، وولدت له أربعة أولاد ثالثهم ريتشارد ، وبالتالي يكون هنري ابن أخت فيليب أُغسطس من جهة والده ، وهو أيضاً ابن أخت ريتشارد قلب الأسد من جهة أمه أليانور. أما ثالثاً ، فهو عدم قبول الناس . الجنود والفرسان والكثير من البارونات . لغي لويزنيان باعتباره المسؤول عن خسارة معركة حطين ، وأخيراً ربما تكون رغبة رتيشارد باحتجاز عرش القدس لأسرته دون سواها حيث إن الكونت هنري دي شامبين هو ابن أخت ريتشارد. نتيجة لكل ذلك ما إن سمع ريتشارد بخبر اختيار الكونت حتى قال: (لقد سعدت إذ أعلمتموني بخبر انتخاب الكونت هنري ، فإني أرغب رغبة صادقة في أن يتم إلقاء مقاليد أمور المملكة إليه)[٣٣٤]، وهذه السعادة ربما تؤشر من جديد إلى أحد أسباب مقتل المركيز كونراد مونتفرات ٠ أما عن غي لويزنيان فيبدو أنه أراد أن يعالج الموضوع معه بطريقة هادئة فأرسل خلفه للحضور إلى عكّا لكن غي الذي حضر حسب الطلب لم يجد ريتشارد فيها لذلك أراد العودة إلى قبرص غير أن الكونت هنري الذي كان يعرف سبب الاستدعاء طلب منه الانتظار عندها ساور الشك قلب الملك العتيق ، فقرر الرجوع إلى قبرص ، لكنه خاف أن يصرّح بذلك للكونت لذلك قال : إنه سيذهب إلى يافا حيث الملك ريتشارد ليمتثل إلى إرادته ، ويستمع إلى أوامره، فقال له الكونت: سأرسل معك عدداً من الجنود ليضمنوا ذهابك إلى الملك وفعلاً أرسل معه اثنين أو ثلاثة ، لكن غي الذي تآمر مع أصحاب السفينة وكانوا من البيازنة حيث وعدهم بمنح ومكافآت وامتيازات ، وهكذا تهيأ له طريق الهرب، فعندما اقترب من قبرص وجد مركباً فأنزل إليه جنود الكونت، وقال لهم: (أبلغوه تحياتي، وقولوا له بأنني لا استطيع الذهاب إلى يافا)[٣٣٥]، وهنا ضعفت آمال الملك غي واضمحلت طموحاته، لكن هل انتهت الصراعات وصفا الأمر للكونت ؟ إن البحث في

---

[٣٣٤] . الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد) : ج ٢، ص ١٧٣ .

[٣٣٥] . ذيل تاريخ وليم الصوري (مخطوطة فلورنسا) : مصدر سالف، ص ٤٤٠ .

هذا الموضوع يدل على بقاء الصراعات، لكن تجلياتها ظهرت بأشكال مختلفة، وهذا ما سيتولاه البحث في الفقرات التالية .

-حكومة هنري دي شامبين سنة٥٩٠هـ/١١٩٤م :

أصبح هنري دي شامبين سيداً للموقف للأسباب سالفة الذكر في مملكة القدس التي انبعثت من جديد حيث استطاع هنري بما امتلكه من صفاتٍ ذاتيةٍ عظيمة أن يعيدَ إلى هذه المملكة قدراً من الأمن والاستقرار ساعده بذلك ظروف موضوعية أهمها أن المنازعات بين الأسرة الأيوبية بعد وفاة صلاح الدين الأيوبي منعت المسلمين من مهاجمة الفرنج أو التعرض لها الأمر الذي أمّن لها الكثير من الاستقرار الذي تحتاجه لترتيب أوضاعها سيما وأن هنري دي شامبين لم يكن في أحسن أوضاعه للأسباب التالية :

١-لم يتوج ملكاً لمملكة القدس الثانية لأسباب داخلية كثيرة سيفرد لكل منها مبحثاً خاصاً وخاصة موقف الكنيسة وموقف البطريرك منه بعد وفاة هرقل .

٢-وقوف بعض البيازنة والجنوية إلى جانب خصمه غي لويزنيان الذي مازال طامعاً بالملك

٣-ماكانت تعانيه المملكة من صراعات داخلية أثقلت كاهل الجميع وجعلت الأمن والاستقرار مطلباً ملحاً في هذه الظروف.

٤- الشعور الداخلي الذي كان هنري دي شامبين يحس به ويؤرقه هو أن الرأي العام ليس راغباً بالإعتراف به ملكاً.

هذه الأسباب وغيرها قيّدت سلطة الملك إلى حد ما . لكن وقوف بعض البارونات إلى جانبه ساعده في تخطي هذه العقبات ، وخاصةالتأييد غير المشروط من باليان دي إيبيلين ومن الداوية والإسبتارية والتيوتون اضافة إلى أنهً أثبت جدارة عالية قائداً وزوجاً طيباًفقد عرف الطريق إلى أن يكون واثقاً من نفسه يدير شؤون المملكة بكل حزم وذكاء فأعاد الاعتبار إلى السلطة الملكية بعد

انهيارها على يد غي لويزنيان، واحتفظ بالوقت نفسه بصلات الود والإحترام مع أسرة صلاح الدين على طريق ملوك القدس الغابرين فعاشت المملكة بسلام تحت قيادة هنري الحكيمة[٣٣٦].

لكن هل استطاع موقف هولاء جميعاً إلى جانب هنري أن يوقف الصراعات الداخلية في مملكة القدس الثانية التي هي كما سلف القول بأمس الحاجة إلى الإستقرار، والأمن لتسطيع أن تنهض من جديد سيما وأن الطموحات أكبر بكثير من الممكن لأن الصراعات الداخلية بقديمها ومستجدها قد أضعف عضد هذه المملكة وسهّل على أعدائها تحقيق أهدافهم وهذا ماسنراه من خلال البحث فيما استجد من صراعات كان لها بالغ الأثر.

-الصراع بين هنري دي شامبين من جهة وبين غي لويزنيان وأخوه أمالريك من جهة ثانية على ولاية العرش

كما سلف القول : ما ان مات المركيز كونراد حتى انتعشت آمال الملك العتيق غي لويزنيان في استعادة الملك وبدأ يتطلع من قبرص لاستعادة مملكته التي افتقدها في حطين ووقف إلى جانبه البيازنة كردة فعل أولية على ما أبداه هنري من العطف على الجنوية لذلك حدث صراع بين هنري والبيازنهوهذا ما سيفرد له مبحث خاص لما له من أهمية .

بالاضافة إلى ذلك كان أخوه أمالريك لويزنيان لايزال كند سطبل عكّا وكان لايزال يتمتع بتأييد كبير من البارونات (لكن زوجته أشيفا كانت ابنة أخ باليان دي إيبيلين سيد الرملة وكان من ألد أعداء غي لويزنيان)

[٣٣٦] -غروسيه(رينيه) : ملحمة الحروب الصليبية ، ص٢٤٠ .

كان غي يأمل في مساعدة أخيه أمالريك لكن هنري دي شامبين كان متيقظاً لهذا الموضوع فألقى القبض عليه ووضعه في الحبس، ولولا تدخل مقدما الداوية والإسبتارية لبقي في الحبس ولربما لقي حتفه فيه..

لكنهما أي (مقدما الداوية والإسبتارية) أقنعا هنري باطلاق سراحه لما يمتلكه من تأييد ومحبة البارونات.

عند اطلاق سراح أمالريك التجأ مباشرة إلى يافا التي كانت من أملاك أخوه غوديفري لويزنيان ولم يتخل عن وظيفته (كند سطبل المملكة) غير أن هنري أقاله واعتبره فاقداً لحقه منذ سنة٥٩٠هـ/١١٩٤م وعين خلفاً له يوحنا دي إيبيلين ابن باليان وهو أخ غير شقيق لايزابيلا[٣٣٧] .ولكن هنري وعلى الرغم من كل هذه الاجراءات لم يشعر بالإطمئنان الا بعد وفاة غي لويزنيان في٥٩٠هـ/١١٩٤م حيث قام بعدة اجراءات جريئة منها حرم البيازنة وسائر المنشقين عنه من مرشح منافس يتطلع إلى العرش.

غي لويزنيان قبل أن يموت أوصى بملكه في قبرص إلى أخيه الأكبرغودفري لويزنيان غير أنّ الأخير عاد إلى فرنسا عندها لم يتردد الفرنج في قبرص في استدعاء أمالريك من يافا ليحل مكان أخيه.

هنري دي شامبين الذي بدأ يتصرف بحرية أكبر بعد شعوره بالإطمئنان ، والأمان وباعتباره ممثلاً لملوك أوربا في الشرق طلب أن يستشار هو فيمن يكون الملك في قبرص غير أنه لم يستطيع تحقيق مايريد .

[٣٣٧] تاريخ هرقل :ص٢٠٣ والتي تليها

وفي الوقت نفسه كان أمالريك سياسياً محنكاً ذكياً أدرك بحسه السياسي أن الخلاف بينه وبين هنري يجب أن لا يستمر[٣٣٨] فأرسل اليه كند سطبل قبرص (بلدوين) رسولاً ومفاوضاً من أجل إحلال السلام بين الرجلين .

وبعد نقاش معمق وصل الطرفان إلى أن يعترف هنري بأمالريك وأن يقوم بزيارته في قبرص ، ورتبا تحالفاً وثيقاً عزّزاه بما جرى من خطبة ابناء أمالريك الثلاثة(غي ويوحنا وهيو) لبنات ايزبيلا الثلاثة(ماريا مونتفيرات واليس وفليبيا شامبانيا) وبذلك راودهما الأمل في أن تتحد ممتلكاتهما في الجيل التالي غير أن اثنين من الأمراء القبارصة ماتا في سن مبكرة ولم يتحقق من الزيجات الا تلك التي جرت بين هيو وأليس والتي حملت ثمرة الأسره في الوقت المناسب . على أن الحاجة كانت ماسة إلى مثل هذا التركيب لأنه اذا لم يكن كما أسلفنا الغرض من تملك ريتشارد قلب الأسد لجزيرة قبرص سوى أن يفيد منها الفرنجة بفلسطين لتكون لهم قاعدة إمدادات أساسية فلابدّ للإقليمين أن يتعاونا .

لكن هل هذا التعاون قد طوى صفحة الصراع على ولاية العرش بين الطرفين؟

الاجابة على هذا السؤال سيفرد لها المبحث التالي .

-الصراع بين هنري دي شامبين وأمالريك على ولاية العرش.

على الرغم من رسم هذه الصيغة المشرقة للتعاون بين الرجلين لم يكن أمالريك مستعداً لأن ينقاد لهنري أو يتلقى الأوامر منه ، فهذا الرجل هو الذي قيده بالسلاسل ووضعه في السجن عندما كان كند سطبل يافا ، وبالمقابل لم تستطع هذه الصيغة أن تجعل هنري مطمئناً لأمالريك الثائرعليه ، والذي وقف ضده إلى جانب البيازنة الذين أرادوا أن يقتلعوه من مُلكٍ لم يفرح به بعد ، وينصّبوا بدلاً منه الملك العتيق غي لويزنيان .

---

[٣٣٨] ملحمة الحروب الصليبية ،ص٢٤٢ .

اذاً أمالريك كان طامحاً باللقب الملكي وأكثر من ذلك سعى اليه لكنه أحس بالحاجة إلى قوة تسانده وتؤيده لتقرَّ سلطانه .

من ستكون هذه القوة ؟

هل يلتجئ إلى البابا؟ أم إلى الإمبراطور البيزنطي .

كيف يكون ذلك وهو يعرف علاقة ملوك القدس السابقين مع الكنيسة وبالتالي فان البابا لم يبذل له التاج ومن المحقق أيضاً أن امبراطور بيزنطة سوف لن يمنحه التاج .

اذاً لابد من أن يتوجه إلى ماوراء البحار إلى هنري السادس الذي كان يعد العدة لحملة صليبية جديدة . فان يكن له في الشرق ملك تابع فهذا يسهل عليه الأمور ويكون بالغ الأهمية في تحقيق أهدافه . اذاً الفكرة قابلة للتطبيق فهي تخدم الطرفين أمالريك دي لويزنيان الطامح لنيل التاج وهنري السادس الطامح في ايجاد ملك تابع وقاعدةٍ أساسية يعتمد عليها في إمداداته وتسهيل أموره لإنجاح حملته الصليبية الجديدة .

أرسل أمالريك سنة٥٩١هـ/١١٩٥م في شهر تشرين الأول أسقف جبيل سفيراً إلى الإمبراطور وقام هذا الاسقف ببذل الولاء نيابة عن سيده وبعد مداولاة ودراسات معمقة وافق الإمبراطور وأرسل إلى أمالريك صولجان الملك وتم التتويج في سنة٥٩٣هـ/أيلول١١٩٧م حين قدم كونراد أسقف هيلد سهايم، ومعه كبير وزراء الإمبراطور إلى نقوسيا للاشتراك في احتفال التتويج وهناك قام أمالريك نفسه ببذل يمين الولاء والتبعية[٣٣٩]

كما التزم بأن تبقَ حكومة قبرص على التقاليد الاقطاعية السائدة في مملكة بيت المقدس فيكون فيها محكمة عليا ، وأن يسري بقبرص استخدام قوانين بيت المقدس ، وما أضافه ملوك قبرص من قوانين ، كما قام أمالريك بتنظيم الكنيسة في قبرص عن طريق اللجوء إلى البابا الذي

[٣٣٩] أرنول : ذيل تاريخ وليم الصوري ،ص٣٠٢ .- تاريخ هرقل : ص٢٠٩- ٢١٢ . – غروسيه (رينيه) : ملحمة الحروب الصليبية ، ص٢٤٥ .

قام بالدور كاملاً دون أن يطرد الأساقفة اليونانيين (الشرقيين) غير أن ماكان لهم من ضريبة العشور أضحت في أيدي رجال الدين اللاتين[٣٤٠] .

أما هنري دي شامبين فلم يستطع أن يعمل شيئاً سوى أن باروناته وكردة فعلٍ طبيعيةٍ أصبحوا أشد مولاة له ، أما خصومه فكانوا سعداء بالتخلي عن أراضيهم في فلسطين والإلتجاء إلى قبرص .

وهنا لابد من الاشارة إلى ماكان من صداقة حميمية لهنري دي شامبين مع أسرة ايبيلين وفيها زوج والدة أمرأته وإخوتها غير الأشقاء حيث كان لذلك عظيم القيمة في تثبيت دعائم سلطته التي داهمتها الأخطار من كل الاتجاهات لاسيما ماجاء من إمارة أنطاكية وهذا ماسيتم بحثه في الفقرة التالية.

-هنري دي شامبين والصراعات الداخلية شمال سورية.

عندما تولى ليو عرش أرمينية سنة٥٨٢هـ/١١٨٦م سعى إلى التحالف مع بوهيموند الثالث أمير أنطاكية ، فاعترف بسيادته واشترك الأميران في رد غارة قام بها المسلمون سنة٥٨٣هـ/١١٨٧م ولم يلبث ليو أن تزوج من ابنة أخت الأميرة سبيلا زوجة بوهيموند الثالث ، وأثنائها قام الاخير بإقراض ليو مبلغ كبير من المال لكن التعاون بين الرجلين وقف عند هذه الحدود، اذ أنَّ ليو وقف على الحياد عندما أغار صلاح الدين على أنطاكيةواستولى على حصن بغراس سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م .

لكن ما أن غادر صلاح الدين هذا الحصن حتى جاء ليو ، واستولى عليه، وأعاد بناء ما دمَّره صلاح الدين ، وهنا حصل خلاف بين الرجلين حيث قام بوهيموند الثالث بطلب التدخل من صلاح الدين لكنه رفض أملاً في تعميق شقة الخلاف بينهما، وهذا ما حصل فعلاً، حيث غضب

[٣٤٠] - رنسيمان : ج٢ ، ص١٦٠ . – ملحمة الحروب الصليبية ، ص٢٤٢ .

ليو من هذا الاستنجاد لكن سيبيلا زوجة بوهيموند الثالث ، وخالة زوجة ليو تدخلت وهدّأت خواطر ليو ، وكانت تخطط لأن تحصل على أنطاكيه لابنها وليم على حساب ابناء زوجها. .في سنة٥٨٩هـ/تشرين الأول ١١٩٣م وجَّه ليو الدعوة إلى بوهيموند الثالث لزيارة بغراس ، ومناقشة المسألة الخلافية بين الطرفين ، وفعلاً جاء الأخير ، ومعه زوجته سبيلا وابنها وليم وما أن وصلوا إلى القلعة حتى قام ليو باعتقاله مع كامل الحاشية وأصبحوا جميعاً أسرى[٣٤١] ، بينما يذكر كتاب ذيل تاريخ وليم الصوري (١١٨٤-١١٩٧م) اعتماداً على مخطوطة فلورنسا : أن بوهيموند أثناء حصار عكّا ذهب لمشاهدة كل من ملكي إنكلترا وفرنسا لأنهما كانا من أقربائه واغتنمت زوجته فرصة غيابه حيث كانت علاقتها به سيئة فاتصلت بليو سيد أرمنيا، وتآمرت معه لاعتقال زوجها بعد أن وعدها بالزواج ، وجعل ابنها وليم صاحباً لأنطاكية[٣٤٢].

والسؤال لماذا هذه الخيانة من قبل سبيلا زوجة بوهيموند ، يقول صاحب كتاب ذيل تاريخ وليم أن بوهيموند كان قد تزوج من قبل سيدة أخرى ثم طلقها لأنه كان فقيراً وبحاجة ماسةللأموال[٣٤٣] وبالتالي هي أرادت أن تنتقم منه وأن تحتفظ بعرش أنطاكية لابنها دون أخوته[٣٤٤].

وعندما أُسروا طلب ليو من بوهيموند الثالث التنازل عن أنطاكية مقابل حريته الأمر الذي تحقق فعلاً ، ربما بتحريض من سبيلا التي كان لها خطتها الخاصة ، وعندما أرادوا التنفيذ أرسل مارشال أنطاكية[٣٤٥] (وكانت تربطه علاقة مصاهرة مع ليو) ليخطر البارونات هناك بالاتفاق الذي حصل، ولاعداد المدينة للعهد الجديد .

---

[٣٤١] - سمباط : التاريخ المعز وإلى القائد الأرمني سمباط ، عن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية ، ج٣٥ ، ص٣٠١ . السرياني (القس إسحق أرمله) : ص٢٠٢ .

[٣٤٢] - ذيل تاريخ وليم الصوري (مخطوطة فلورنسا) : ص٤٦٤ .

[٣٤٣] - المصدر السالف : ص٤٦٦ .

[٣٤٤] - سمباط : ص٢٩٨ .

[٣٤٥] المارشال : احدى الوظائف الهامة حيث يقوم صاحبها بتقديم ولاء التبعية الاقطاعية للكندسطبل مقابل تسليمه الوظيفة . ومهمة المارشال هي الاشراف على الخيول وعلى عملية تقسيمالغنائم ولاسيما الخيول لأنه المسؤول عن استعواض ما خُسر منها في الحرب . انظر : براور (يوشع) : الاستيطان الصليبي في مملكة القدس ، ص١٥٣ .

البارونات في أنطاكية لم يكونوا على وفاق تام مع بوهيموند ، لأن معظمهم كانت تجري في عروقه الدماء الأرمنية، الأمر الذي سهّل الموضوع كثيراً حيث أبدوا استعدادهم لقبول ليو سيداً عليهم .غير أن البعض الأخر من اليونانيين واللاتين قد أصابهم الفزع لما حدث، وأن الأرمن سوف يسيطروا عليهم لذلك ثاروا ضد ماحصل ، وجرى طرد الأرمن من المدينة. لكنهم تركوا المارشال يعود سالماً إلى بغراس ، واجتمع أهل المدينة وباروناتها وشكلوا كومونا يحكم المدينة، وأقسموا يمين الولاء إلى ريموند أكبر ابناء بو هيموند الثالث حتى عودة والده من الأسر.

قبل ريموند هذا التكليف ،وأنفذ إلى أخيه بوهيموند الرابع كونت طرابلس ، وإلى هنري دي شامبين يتوسل اليهما القدوم إلى أنطاكية للحفاظ عليها من الأرمن.

في سنة ٥٩٠هـ/١١٩٤م قرر هنري دي شامبين أن يتدخل في هذا الصراع سيما وأن أوضاع المسلمين ، وبما شابها من صراعات بين أفراد البيت الأيوبي لا يسمح لهم القيام بأيّة أعمال حربية ضد الصليبين ، وتوجّه إلى أنطاكية وفي طريقه اليها زار قلعة الكهف وفيها خليفة شيخ الجبل الذي مات قبل وقت قصير ، وهناك تلقى هنري الدعم من زعيم الطائفة الاسماعيلية وغادرها محملاً بالهدايا[٣٤٦] وسار هنري من الكهف على الساحل إلى أنطاكية حيث توقف فيها قليلاً قبل أن يواصل إلى أرمينية ، وفور وصوله هناك التقى ليو الذي لم يكن راغباً بحرب صريحة مع هنري ، ونتيجة للمفاوضات تم الاتفاق على :

- إطلاق سراح بوهيموند الثالث الأسير عند ليو دون فدية[٣٤٧] .

- تعد قلعة بغراس وما حولها من البلاد أملاكاً أرمنية .

- يعد كل من بوهيموند الثالث وليو أمير مستقل غير تابع للأخر .

[٣٤٦] - ذيل تاريخ وليم الصوري (مخطوطة فلورنسا) : ص٤٧٤ .- ملحمة الحروب الصليبية ، ص٢٤٠ .

[٣٤٧] - المصدر السالف : ص٤٧٥ . - السرياني (القس إسحق أرمله) : ص٢٠٢ .

ومن أجل توحيد الامارتين كما كان يرتجى كان على ريموند أكبر أولاد بوهيموند الثالث أن يتزوج من أليس ابنة روبين الثالث ، وهي ابنة أخ ليو ووريثة ملكه على شرط أنها إذا ما أنجبت ولداً أصبح هو ولي العرش بعد موت والده[٣٤٨]، لكن أليسْ هذه كانت متزوجة من هيثوم ساسون ، فكيف تتحقق المعادلة (وبقدرة قادر مات هيثوم بظروف غامضة) ،وأصبح من السهل تحقيق هذا الزواج .

وهكذا عملت هذه التسوية على إحلال السلام في الشمال ، وهكذا أصبح هنري دي شامبين بنظر الجميع وريثاً لملوك مملكة القدس وازداد رفعةً، وسموا[٣٤٩] ً.

لكن هل استقرت الأوضاع كما كان يريدها هنري دي شامبين، هذا ماسنراه من خلال البحث في الفقرة التالية :

-الألمان وصراعهم من أجل النفوذ في منطقة الشرق العربي.

بعد وفاة فردريك بربروسا خلفه على عرش الإمبراطورية ابنه هنري السادس (٥٨٦هـ/١١٩٠م – ٥٩٣هـ/١١٩٧م)، وهنري السادس كان رجلاً طموحاً نشيطاً جعل المنصب الإمبراطوري وراثياً في أسرته(الهوهنشتاوفن)، وألغى مبدأ الانتخاب في اختيار الإمبراطور ، كما عمل على ادماج المملكة الصقلية النورماندية بامبراطوريته ، حيث استولى عليها سنة ٥٩٠هـ/١١٩٤م ، وامتدت طموحاته لتشمل محاولة السيطرة على البحر الأبيض المتوسط ، وخاض من أجل ذلك صراعات مريرة، وخاصة مع بيزنطة[٣٥٠] ، ولم تقف طموحاته عند هذا الحد بل امتدت لتثبّتَ قدم الألمان في الأرض المقدسة على أن يكون لهم فيها الدور الأول ، وبدأ بايجاد الأرضية الصالحة من أجل ذلك ، وأعدَّ العُدَّة لحملة صليبية جديدة بقيادته، حيث أرسل إلى بابا روما متوسلاً، وطالباً

---

[٣٤٨] ذيل تاريخ وليم الصوري (مخطوطة فلورنسا) : ص٤٧٥ . – السرياني (القس إسحق أرمله) : ص٣٠٣ .

[٣٤٩] . cahen : op ,cit ,p585

[٣٥٠] - فرح (نعيم) : تاريخ أوروبا السياسي في العصور الوسطى ، ص١٣٧ والتي تليها .

منه أن يرسل إلى ألمانيا مبشرين لحمل الصليب ، ووعده أن يقدم ، وعلى نفقته كل مايلزم من المساعدات ، والسفن إلى جميع الذين سيذهبون لتقديم المساعدة من أجل مملكة القدس وأنه شخصياً سيكون على رأس هذه الحملة حتى تتحرر القدس[٣٥١] ، ونتيجة لذلك تجمع الكثير من الفرسان والبارونات ، وقبل إبحاره إلى الشرق وجه اليه عدداً من الصليبين الألمان الذين وصل قسم منهم إلى عكّا سنة٥٩٣هـ/١١٩٧م ، وتوقف قادتهم في قبرص لتتويج أمالريك ملكاً[٣٥٢]ً

كان سلوك هؤلاء الجنود سيئا فقد كانوا يستولون على المنازل المؤهلة ويقيمون فيها بعد رمي ممتلكات سكانها إلى الخارج ، ويتعاملون بفظاظة مع نساء الفرنجة ويتصرفون كما يحلو لهم حتى كأنهم في بلد محتل مقهور[٣٥٣] ونتيجة لتلك التصرفات التي لا مبرر لها تقدم أثرياء عكّا من هنري دي شامبين شاكين باكين متذمرين من ممارسات هولاء الذين جاءوا لنجدة الصليب ، وباسمه، وتحت رايته ، وعندما سمع الكونت بهذه التعديات غضب كثيراً ، وتشاور مع أعيان المدينة ، وأخبرهم أنه لايجوز السكوت عن هذه التصرفات ولابد من التدخل لحسم الأمور وطلب اليهم إبداء الرأي فقال له بارون طبرية (هيو)أن هذه التعديات مما لايمكن تحمله أبداً وهو يعرف شخصياً أن هولاء الألمان اذا لم يُواجهوا ببعض القسوة لايمكن تحملهم ولن يجدي معهم سوى القوة ، ثم قال : (لنضع نساءنا وأولادنا في دارَيْ فرسان الداوية ، وفرسان الإسبتارية ، ولنضع معهم بقية النساء ، ونستدعي الذكور لحمل السلاح ، وطرد هولاء المتهورين من المدينة)[٣٥٤] وهكذا تم الاتفاق بعد دراسة الأمر بعناية للتخلص من هولاء ، وبالفعل فقد نجحت الخطة . فما ان عرف القادة الألمان بها حتى بادروا إلى إخراج رجالهم من عكّا ، وإسكانهم في إحدى ضواحيها بعيداً عن السكان لئلا يلحق الضرر بهم.

---

[٣٥١] - ذيل تاريخ وليم الصوري (مخطوطة فلورنسا) : ص٤٩٩ .

[٣٥٢] - المصدر السالف : ص٤٩٨ . – تاريخ هرقل : ص٢١٢- ٢١٤ .

[٣٥٣] -ذيل تاريخ وليم الصوري (مخطوطة فلورنسا) : ص٤٩٨ . – ملحمة الحروب الصليبية : ص٢٤١ .

[٣٥٤] - ذيل تاريخ وليم الصوري (مخطوطة فلورنسا) : ص٥٠٠ .- ملحمة الحروب الصليبية : ص٢٤١ .

الصراع بين هنري والبيازنة:

ما إن قرر ريتشارد قلب الأسد العودة إلى بلاده بشكل نهائي حتى انتعشت آمال الملك العتيق، وآمال أنصاره بالعودة إلى العرش مجدداً، حيث قام البيازنة بمراسلة غي لويزنيان في قبرص، واستدعائه للقدوم ، والاستيلاء على مدينة صور ظناً منهم أنّ الأمر قد صفا لهم ، وأنّ الكونت غير قادر على الدفاع عنها، أو عن غيرها من المدن، الأمر الذي أغضب الكونت هنري غضباً شديداً، وعلى الرغم من السلطة التي كان يتمتع بها البيازنة في مدن الساحل حيث إنهم كانوا يفرضون الضرائب على كل من يود الدخول إلى هذه المدن، ويكبدونه خسائر كبيرة ، ولاسيما على الجنوية الذين كانوا يعدّونهم أخصاماً لهم ، وكانت الشكاوى تصل إلى هنري عن هذه الأعمال بشكل متواتر، هذا الأمر ، وغيره من الأمور هيَّأ الأسباب لكي يعلن هنري الحرب على البيازنة المقيمين في عكّا ولاسيما بعد أن عرف أن تجاراً بيازنة من صور كانوا يخططون للسيطرة عليها لمصلحة غي، فاعتقل قادة هذه المؤامرة ، وأبعد الكثير من البيازنة من صور الأمر الذي أدى إلى أن يقوموا بإغارات على القرى الساحلية[٣٥٥]، وقال لهم :إنَّ ما تفعلونه في مدينة عكّا هو عمل سيء جداً ، وعليكم أن تتوقفوا وتمتنعوا عن هذه التصرفات [٣٥٦]غير أن البيازنة لم يكترثوا كثيراً لهذه الطلبات، ولم يقيموا لها وزناً بل عملوا على العكس من ذلك، وتصرفوا بما يغضب الكونت ، فقرر طردهم ، وأمر بإخلائهم من بلاده وهدَّد بأن من لا يرحل فسيزجه في السجن ، وهذا قرار مهم وجريء، وربما أُتخذ بدون حسابات، لأن للبيازنة دورهم الكبير في حماية مدن الساحل عسكرياً من خلال ما كانوا يمتلكونه من أسطول بحري، ولهم دور اقتصادي كبير بما يتمتعون به من عقل تجاري ، وخبرة كبيرة في هذا المجال ، ودور أكبر في عملية الإمداد والتموين للقوات الصليبية التي تعتمد في هذا الاتجاه على أساطيل البيازنة ،

---

[٣٥٥] . .Smith, Jona than RileyL: Kingths of st john injerusalem and Cyprus,1.5.,p.127

[٣٥٦] . : ذيل تاريخ وليم الصوري (مخطوطة فلورنسا) : ص ٤٥٥ .

والجنوية بشكل رئيسي ، لذلك ظهرت الاحتجاجات ، وبخاصة من كافل المملكة عموري لويزنيان أخ الملك العتيق ، مما أغضب الكونت منه ، وقال له: هل تريد إبقاءهم بالقوة ضد إرادتي ؟ أيكون ذلك لأنهم أرادوا تسليم صور إلى أخيك ؟ وقبض الكونت على عموري ، وأودعه السجن ، وقال له: لن تخرج حتى يعيد لي أخوك جزيرة قبرص[٣٥٧]. وتدخل في هذا الصراع مقدم الفرسان الداوية مع مقدم الفرسان الإسبتارية ، وبارونات البلاد ، ولاموا الكونت على هذا العمل وعلى اعتقال هذا القائد الكبير الذي كان يُعدّ من كبار قادة البلاد ، ومن أعظم باروناتهم، وبالتالي يجب عدم إثارته ودفعه للتمرد . لأنَّ ذلك ليس من مصلحة المملكة ، و يسبب أذىً كبيراً لها[٣٥٨]، فرد الكونت رداً لم يرضِ أحداً منهم، ولكن جادلوه مطولاً وضغطوا عليه فأدرك أن البلاد إن _ بقي على قراره_ مقبلة على التقسيم، وأن صراعاً كبيراً سيندلع بين صفوف الصليبيين، لذلك أفرج عنه وأخلى سبيله لكن عموري تخلى عن وظيفته القيادية وغادر عكّا إلى قبرص.

الصراع بين هنري ورهبان الضريح المقدس:

في سنة ٥٨٨ هـ/ الموافق ١١٩٢م مات هرقل بطريرك القدس، فاجتمع رهبان القبر المقدس لينتخبوا بطريركاً جديداً ، وبعد مداولات مطولة فيما بينهم اختاروا رئيس أساقفة قيسارية، وكان أسود البشرة ، لكن عملية الإختيار هذه تمَّت دون إعلام الكونت، وموافقته الأمر الذي خالف العادة عند اختيار البطريرك حيث كان يجتمع رهبان الضريح المقدس ويختارون أسمين ويقدمونهما إلى الملك ليختار أحدهم بطريركاً ، وعندما علم الكونت هنري بذلك غضب غضباً شديداً ولم يكتف بذلك بل أمر بإلقاء القبض على رهبان الضريح المقدس ، وطلب أن تتم الأمور كما جرت العادة ، وألقى بهم في السجن وسامهم سوء العذاب واتهمهم بأنهم يريدون إزالة سلطة ملوك القدس ، والصلاحيات التي تمتعوا بها منذ نشوئها ، وهذا أمر خطير ينال من قمة السلطة في المملكة لا يمكن السكوت عليه. هذا الإجراء الذي اتخذه الكونت أثار ضجة كبيرة وبخاصة

---

[٣٥٧] . ذيل تاريخ وليم الصوري (مخطوطة فلورنسا) : ص ٤٥٥ .

[٣٥٨] . سميث (رايلي): الإسبتارية فرسان القديس يوحنا ، ص ١٢٧ .

في الأوساط الكنسية ، والدينية فبدؤوا بتوجيه النقد الشديد للكونت ، وتضخيم ما قام به من أفعال ، ولم يقتصر هذا الأمر على رجال الدين، بل شمل أيضاً البارونات والسادة الآخرين الذين لاموا الكونت على فعلته وطلبوا منه التراجع عن قراراته ، وإطلاق سراح رهبان الضريح المقدس ليعودوا إلى مزاولة أعمالهم ، ونتيجة لهذه الضغوط الكبيرة تراجع الكونت ، وأطلق سراح الرهبان ومباشرة ذهبوا إلى روما ليعرضوا على البابا نتيجة انتخابهم ، ويطلبوا منه الموافقة والمباركة ، وهناك تمّت الموافقة، ثم رفعوا ظُلامتهم إلى البابا كريستين الثالث على ما فعله الكونت بحقهم ، الأمر الذي أزعج البابا وجعله يتخذ قراراً بوقف دور ملك القدس في انتخاب البطريرك ، وقرر أن يكون الرهبان لوحدهم هم الذين يتولون انتخاب بطريركهم.

-مصرع هنري دي شامبين وتجدد الصراع على ولاية العرش.

في سنة ٥٩٣هـ/١٠أيلول١١٩٧م إحتشدت عساكر هنري في فناء قصره بعكّا حيث كان قد أمر باستدعاء السيرجانتية والجنود من رماة المجانيق لتجنيدهم ومن ارسالهم إلى يافا التي كان يحاصرها الملك العادل لتقديم المساعدة إلى المحاصرين فيها ، وبعدما حضروا دخلوا إلى فناء القصر ، وقام باستعراضهم من النافذة بالطابق العلوي ، وفي تلك اللحظة دخل إلى الحجرة رسل من قبل حلفائه البيازنة فالتفت هنري لتحيتهم ، واذ نسي أين كان يقف تراجع بظهره خطوات إلى النافذة المفتوحة وكان يقف إلى جانبه أحد تابعيه يدعى(سكارليت) وكان قزماً. حاول سكارليت الإمساك بهنري لإنقاذه ، غير أن الأخير كان ثقيل الوزن بالنسبة لسكارليت فهوى الرجلان إلى الرصيف أسفل القصر ولقيا مصرعهما في الحال . بينما يذكر صاحب كتاب ذيل تاريخ وليم الصوري مخطوطة فلورنسا أن الكونت هنري كان متكئاً على شرفة النافذة ينظر إلى الوادي أمامه فسقطت الشرفة ، ولقي هنري مصرعه ، وإنَّ أحد مرافقيه رمى

نفسه بعده خوفاً عليه وألما[٣٥٩]ً، وهذا الحدث وضع الناس ، والمملكة في حالة ذعرٍ شديدٍ لأن هنري دي شامبين كان رجلاً محبوباً ذا كياسة ومثابرة ارتكز إلى مستشارين صادقين. الأمر الذي أدى إلى تحقيق الاستقرار ، والأمن ، والسلام للناس ، وإلى محبة الناس لهنري .

إضافة إلى كل ذلك فان مصرعه طرح مسألة ولاية العرش من جديد.

إيزابيلا زوجة هنري هي الوريثة الوحيدة للعرش لكن محبتها لزوجها وحزنها الكبير عليه منعها من مباشرة الحكم بنفسها .

لذلك عقد مجلس للتشاور في هذه المسألة ، ورأى البارونات أن على ايزابيلا أن تتزوج من جديد ، وإنَّ من واجبهم أن يختاروا لها زوجاً يلائمها فاقترح هيو سيد طبرية وبعض أصدقائه بأن يتزوجها رالف أخو هيو لكن البعض الأخر من البارونات وقف ضد هذا الطرح لأنَّ رالف ليس من أسرة ثرية إذ استولى المسلمون على ممتلكاتهم في الجليل، ولم يكن رالف إلا ابناً صغيراً في أسرة سانت أومر لايملك شيئاً، إضافة إلى ذلك إنّ الداوية ، والإسبتارية لم يقبلوا بهذا الطرح واشتد الجدل ، والنقاش حول اختيار زوجاً لايزابيلا .

في هذا الوقت وصل إلى عكّا كونراد رئيس أساقفة ماينز وبقية القادة الألمان الذين توقفوا في قبرص لتتويج أمالريك ملكاً ، وكونراد هذا كان من كبار رجال الكنيسة في الامبراطرية الألمانية ، وهو موضع ثقة عند الإمبراطور هنري السادس ، وصديق للبابا انوسنت الثالث ، وفور وصول كونراد إلى عكّا اقترح بأن تكون ولاية العرش لأمالريك ملك قبرص ، ولم يلق هذا الاقتراح أية معارضة الا من قبل البطريرك ايمار الراهب[٣٦٠] (عمري – aimery the monk)الذي لم يسانده في هذه المعارضة حتى اكليروسه .

---

[٣٥٩] - ذيل تاريخ وليم الصوري (مخطوطة فلورنسا) : ص٥٠٨ .

[٣٦٠] -بطريرك القدس (١١٩٧ -١٢٠٢م) أنظر : البيشاوي (سعيد عبدالله) : الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقس الصليبية ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، د. ط ، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م ،ص٤٦٢ .

أمالريك كان متزوجاً من ايشيفا ايبلين هذه العائلة (ايبلين) التي كانت تساند بقوة هنري دي شامبينوتقف الى جانبه وتدعمه . ولكن ولحسن حظ أمالريك أن زوجته ايشيفا قد ماتت منذ زمنٍ قصير ، وبالتالي لم توجد أية موانع تقف في طريق زواجه من ايزابيلا سوى أنَّ بعض البارونات في المملكة لم ينسوا بعد أسرة لويزنيان وحكمها السيء السمعة ، ولكن أمالريك سبق أن أعلن عن تخليه عن كل سياسة حزبية ، وبالتالي فقد أثبت أنه ذو قدرة وكفاية تؤهله لهذا المنصب ، ثم أن هناك نقطة أخرى ، وهي أن أمالريك يدين بتاج قبرص للامبراطور هنري الثالث ، وبالتالي فهو تابع له في كل الأحوال أمالريك تردد في البداية ولم يأتِ إلى عكّا الا بعد وقت حيث وصلها سنة٥٩٤هـ/كانون الأول١١٩٨م وفور وصوله تزوج من الأميرة ايزابيلا ولم تمضي بضعة أيام حتى قام البطريرك بتتويجهما ملكاً وملكة[٣٦١]

[٣٦١] - وندوفر (روجر أف) : ورود التاريخ ، ص٢٩ .

الفصل الثالث

الصراعات الصليبية في أثناء الحملة الصليبية الخامسة

- الدعوة إلى الحملة الصليبية الخامسة.
- الصراع بين ملك القدس يوحنا بريين ، وقادة الحملة الهنغارية.
- مصر والحملة الخامسة ، والصراعات الصليبية هناك.
- وصول الكاردينال بيلاجيوس، والصراع على قيادة الحملة.
- الخلافات حول طروحات الكامل محمد.
- الصراعات الصليبية بعد الاستيلاء على دمياط:

- الصراع على تبعية المدينة.
- الصراع على توزيع الغنائم.
- الصراع حول خطة العمل العسكري الجديدة.

- عودة الملك يوحنا دي بريين إلى عكّا.
- الزحف باتجاه القاهرة ، والصراعات الداخلية.
- الملك يوحنا دي بريين في دمياط ، وتجدد الصراع مع المندوب البابوي بيلاجيوس.

الدعوة إلى الحملة الصليبية الخامسة :

بدأت الدعوة إلى الحملة الصليبية الخامسة باتخاذ عدد كبير من الإجراءات متعددة الإتجاهات لتهيئة الظروف المناسبة لحمل الصليب والدعوة إليه ، ففي سنة ٦١٠هـ/١٢١٣م استأنف البابا أنوسنت الثالث[٣٦٢] الدعوة إلى حملة صليبية جديدة إلى الشرق، فأرسل مفوضين بابويين، ووعاظ إلى جميع البلدان الكاثوليكية ، وكانوا من أكبر أحبار الكنيسة وأرفعها مثل القاصد الرسولي روبرت دي كروسون[٣٦٣]، الذي أرسله إلى فرنسا، وجاك دي فتري[٣٦٤] أسقف عكّا الذي طاف في مدن إيطاليا الشمالية، وأولفر أسكولا ستي[٣٦٥] الذي وعظ في مقاطعات ألمانيا الشمالية. إن حملة التبشير والتجنيد التي قامت بها الكنيسة استمرت زهاء سنتين، ثم انعقد في شهر شعبان ٦١٢هـ/ تشرين الثاني ١٢١٥م المجمع اللا تيراني الرابع[٣٦٦]الذي اتخذ سلسلة من القرارات المبدئية التي تتعلق بتنظيم الحملات الصليبية ، وكانت الغاية منها تجاوز الأخطاء ، والسلبيات التي ظهرت

---

[٣٦٢] . أنوسنت الثالث: بابا الكنيسة الكاثولكية (٥٩٤هـ/ ١١٩٨م- ٦١٣ هـ/ ١٢١٦ م) .

[٣٦٣] روبرت دي كروسون: لم أعثر له على ترجمة في المصادر أو المراجع التي استطعت التوصل إليها.

[٣٦٤] . جاك دي فتري: ولد بمدينة فتري على نهر السين في فرنسا حوالي سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م، وهو العام الذي حرر فيه صلاح الدين القدس الشريف، تلقى جاك دي فتري تعليماً دينياً وتقلد العديد من المناصب الكنسية، وسرعان ما أصبح أحد رجال الدين المرموقين، بشر ودعا للحملة الصليبية الخامسة وكرس حياته لتعزيز الوجود الصليبي في بلاد الشام، حضر، حضر جاك دي فتري مجمع اللاتيران الرابع ١٢١٥م ممثلاً لاسقفية وني، نتيجة لنشاطه المتميز عين أسقفاً لمدينة عكّا التي وصلها ١٢١٧م.

[٣٦٥] . أولفر سكولاستي: هو أولفر بادربورن غير معروف تاريخ الولادة، ويبدو أنه سليل اسرة نبيلة من بادروبورن في ألمانيا ، درس علم اللاهوت في بادربورن سنة ٥٩٦هـ/ ١٢٠٠م وفي سنة ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م شغل منصب أسقف كولون، سنة ٦.٣هـ/١٢.٧م، عمل أستاذاً بجامعة باريس، وفي سنة ٦.٥هـ/١٢.٩م وعاد إلى كولون حيث عينه البابا أنوسنت الثالث مبشراً وواعظاً، حضر مجمع اللاتيران سنة ٦.٩هـ/١٢١٣م، واشترك في الحملة الصليبية الخامسة وأرخ لها بكتابه المعروف تاريخ دمياط، نقله إلى الإنكليزية كافيجان تحت عنوان:The ca pture of Damietta أي سقوط دمياط . أنظر :Oliver of padernborn Thecapture Damietta , Trans by jgavigan 1948

[٣٦٦] . اللاتران، هو المقر البابوي في روما طوال العصور الوسطى، أنظر بيرل سميل: المؤرخون في العصور الوسطى، ترجمة قاسم عبده قاسم، دار المعارف القاهرة، طبعة ثانية، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م عقد المجمع اللاتراني الرابع في ١١ تشرين الثاني ١٢١٥ تحت رعاية البابا أنوسنت الثالث، ومن أهم مقرراته إعلان قيام حملة صليبية جديدة، ومن أجل ذلك فرض السلام في أوروبا لمدة أربع سنوات، وكان قبل ذلك خلال القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي قد عقدت ثلاثة مجالس دينية في كنيسة لاتيران الأولى سنة ٥١٧هـ/١١٢٣م، والثاني في سنة ٥٣٣هـ/١١٣٩م في عهد البابا الكسندر الثالث . عن ذلك أنظر: Combridg Medieaval History pp 1.8,368,451.

في تنظيم الحملات الصليبية السالفة. ففي القرن الثاني عشر مثلاً كان المرسوم البابوي هو التدبير الوحيد الذي تبدأ به هذه الحملة رسمياً، أو تلك على الشرق. أما وقد نضبت الروح الصليبية نتيجة للصراعات الصليبية الداخلية، والهزائم التي لحقت بهم جراء ذلك ، والروح الجهادية العالية التي صادفتهم في المشرق الإسلامي، وصعوبة تحقيق الأهداف المرسومة ، أو قطف الثمار المرجوة ، فقد قرَّرت الكنيسة في أوائل القرنالسابع الهجري / الثالث عشرميلادي تنظيم هذه المشاريع على أساس أقوى وأمتن وتحويل الحملات الصليبية، إلى نوع من المؤسسة الثابتة تنظم الأمور الإقتصادية ، والمالية ، والتعبوية العسكرية، وإلى غير ذلك من جوانب الوعظ ، والإرشاد ، والتوجيه ، وبالتالي يكون دور الحكام ، أو الأسياد أو البارونات هو تقديم المجموعات العسكرية ، وتأمينها مادياً ، وخلال مدة زمنية محددة (ثلاث سنوات) . وانحصر دور الأساقفة في مراقبة سلوك الذين حملوا الصليب ، واتخاذ العقوبات الكنسية القاسية بحق الخارجين عن الطاعة . وقد أوجدت قرارات المجمع اللاتراني الرابع ٦١٢هـ/١٢١٥م مكاناً مهماً للجانب المالي، المقصود هنا إنشاء قاعدة مالية ثابتة للقيام بالحملات الصليبية لأن الكنيسة كانت قد أدركت أن التأمين .الفردي لا يكفي، وبمبادرة من البابا أنوسنت الثالث قرّر المجمع ضريبة استثنائية إلزامية لتأمين ما تحتاجه الحملة وهي (المال الصليبي)[٣٦٧]، وكان على رجال الكنيسة ما عدا الذين يعتزمون الاشتراك شخصياً في الحملة أن يدفعوا في غضون ثلاث سنوات جزءاً من عشرين جزء من دخلهم السنوي ، أما البابا والكرادلة ، فعليهم أن يدفعوا جزءاً من عشرة أجزاء من دخلهم السنوي أي ضعف ما يدفعه الآخرون ، ثم نظمت قرارات المجمع اللاتيراني الوعظ للحملات الصليبية ، فقد تعين على الأساقفة ، وسائر رجال الدين أن يقوموا بهذه المهمة بانتظام ، حيث عين في كل بلد كبير للوعاظ يخضع له الواعظون من مرتبة أدنى ، وعدا عن ذلك نصت قرارات المجمع على عدد من التدابير الثانوية الهادفة على توفير أنسب الظروف لأجل القيام بالحملات الصليبية، حيث أعلن عن مدة سلام بين الدول الأوربية لمدة أربع سنوات

---

[٣٦٧] . عبد الهادي السيد (عبد اللطيف): الحروب الصليبية من خلال كتابات جاد دي فتري ٥٩٧هـ/ ١٢٠١ م – ٦٣٧ هـ/١٢٤٠م ، ص٣٢ .

تمنع فيها الحروب الداخلية ، ومهما كانت أسبابها ، كما تمنع التجارة مع المسلمين ، حيث كتب البابا أنوسنت الثالث إلى البنادقة يطلب منهم ألا يبيعوا ، أو يتبادلوا مع المسلمين المواد الاستراتيجية كالسلاح ، والسفن ، والحديد ، وغير ذلك من المواد ذات التأثير في الحرب ، وإلاّ تعرضوا لغضب الكنيسة وإيقاع أشد العقاب بهم[٣٦٨]. كما أصدر مرسوماً خاصاً أعاد فيه إلى الأذهان ما يعانيه آلاف المسيحيين في سجون المسلمين، وفي هذه الوثيقة تحدث البابا عن القلعة الإسلامية الرهيبة التي بناها المسلمون قصداً وعمداً على جبل الطور في المكان الذي حدث فيه . كما جاء في الإنجيل . ما يسمى بقيامة السيد المسيح عليه السلام (القيامة كانت بالقدس ولكن من هنا الصعود حسب بعض الروايات)، حيث قال: (هذه القلعة تهيمن على عكّا ، وتؤمن للمسلمين الأمن ، لأنهم من هناك سيتمكنون من أن يقتحموا بلا عائق الأرض المتبقية من مملكة القدس.) كما أكد البابا : أنه لن يكتفي بالوعظ ، بل سيعمل بجد واجتهاد وبكل إخلاص حتى يرى الحملة الصليبية ترحل من أجل الأرض المقدسة ، لكن أنوسنت الثالث توفي قبل أن يرى ذلك سنة ٦١٣هـ/١٢١٦م[٣٦٩]، وخلفه على الكرسي الرسولي البابا هونوريوس الثالث[٣٧٠]، فانتقلت إليه قيادة تنظيم الحملة، حيث واصل سياسة سلفه، وسعى إلى تحقيق نواياه متمسكاً ببرنامج المجمع اللاتيراني الرابع، وأول خطوة اتخذها البابا الجديد تعيين النائب البابوي في مقرات الصليبيين التي كانت تستعد للسفر بحراً إلى الشرق، وهذا المنصب شغله الكاردينال بيلاجيوس من ألبانو الإسباني الأصل، والذي سيكون له دور كبير في قيادة الحملة الصليبية الخامسة واخفاقها[٣٧١].

---

[٣٦٨] . Innosent III: letters To peope Of vencie of Thatcher Cit pp 335. . تمت الاستفادة من الترجمة العربية للرسائل من قبل د. عبد اللطيف عبد الهادي السيد في كتابه المنشور تحت عنوان رسائل جاك دي فتري.

[٣٦٩] . Matthew of Westminster, op, cit . p122

[٣٧٠] . البابا هونوريوس الثالث: شغل منصب البابوية (٦١٣هـ/١٢١٦ .٦٢٤هـ/ ١٢٢٧م).

Lamp, op, cit, p240 .

[٣٧١]- عمران (محمود سعيد) : حملة جان دي بريين على مصر ٦١٥-٦١٨ هـ/١٢١٨ – ١٢٢١ م ،دار المعارف ، الاسكندرية ،ط١ ، ١٤٠٥ هـ/١٩٨٥ م ،ص١٦٠ .

الصراع بين ملك القدس وبين قادة الحملة الهنغارية :

لم يكن الصليبيون في مملكة القدس الثانية راضين عن وصول الحملة الصليبية الخامسة إلى عكّا، فقد استقبل الأسياد والبارونات اللاتين المحليون من جاؤوا من الغرب الأوربي بدرجة كبيرة من البرودة إن لم يكن بعداوة سافرة ، والسبب في ذلك أنهم تعودوا حياة الدعة والراحة في أيام الهدنة[٣٧٢] الطويلة التي عقدوها مع العادل، وتاجروا خلالها مع المسلمين، وأثروا من جراء ذلك ، وأصبح همّهم أساساً العمل لزيادة الثروة ، وصار حمل الصليب وركوب المصاعب ، والقتال من أجل الأرض المقدسة بالنسبة إليهم ليس في المقام الأول ، هذا من جهة ، ومن جهة ثانية انشغل المسلمون في شن الحروب فيها بينهم من أجل السيطرة على الحكم ، أو من أجل التجارة مع جيرانهم المسيحيين فانشغلوا بذلك عن متابعة ما حققه صلاح الدين ، والمحافظة عليه الأمر الذي أدى إلى استرخاء من قبل الطرفين المسلمين والصليبيين ، ولجوء الطرفين إلى الدعة والراحة، ومن جهة ثالثة فإن سنة ٦١٤هـ/١٢١٧م التي وصلت خلالها الحملة الصليبية الخامسة إلى عكّا[٣٧٣] شحت فيها الأمطار، فقلت المحاصيل، وكانت الجيوش القادمة مع ثلاثة ملوك هم

---

٣٧٢ . أما رتبتها فإنها متأخرة عند قوة السلطان . عن عقد الجزية لأن في الجزية ما يدل على ضعف المعقود له، وفي الهدنة ما يدل على قوته ، وأما معناها: فالمهادنة في اللغة المصالحة يقال هادنة . يهادنه مهادنةً: إذاَ صالحه والاسم الهُدْنة وهي إما من هدن بفتح الدال يَهدُن بضمها هدوناً إذا سكن ومنه قولهم (هُدْنَة على دَخَن) أي سكون على غل، أو تكون قد سميت بذلك لما يوجد من تأخير الحرب بسببها. أنظر القلقشندي (أحمد): صبح الأعشى في كتابة الإنشاء، اختار النصوص وعلق عليها وقدم لها عبد القادر زكار، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ط١، ١٤٠١ هـ/١٩٨١م، السفر الثاني. ص٤٠٧-٤١٠.

وعن هذه الهدنة مع العادل أنظر: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ،ج٣ ،ص٢٠١ والتي تليها .

٣٧٢ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج١٠ ، ص ٣٠٢-٣٠٤ .- ابن واصل(جمال الدين محمد) : مفرج الكروب في أخبار بني ايوب ، ج ٣، ص ٢٥٤ والتي تليها . - المقريزي : السلوك ، ج،١ق١، ص ٢٢١.

ملك هنغاريا أندرو الثاني[٣٧٤]، وملك قبرص هيو أوف لويزنيان[٣٧٥]، ودوق النمسا ليوبولد السادس[٣٧٦] تحتاج إلى الكثير من الإمدادات التي لم تتوفر لها لذلك تصرّفت بعض هذه الجيوش بحماقة كبيرة ، فدمرت البساتين وحدائق المسيحيين، لا بل أكثر من ذلك حيث قاموا بالتعدي على الناس ، وسلبوهم أماكن سكنهم ، وعندما لم يشبعهم هذا أقدموا على القتل بلا رحمة ، ولم يميّزوا بين مسيحي ، وغيره في هذا الأمر[٣٧٧]، وعندها طلب يوحنا دي بريين ملك القدس[٣٧٨] من قادة الحملة أن يعملوا من أجل ما جاؤوا لتحقيقه وهو استعادة ما أخذه صلاح الدين الأيوبي من مملكة القدس ، ونجدة إخوانهم المسيحيين فيها لكن لم يصغ إليه أحد . ومن أجله ومن هذه النقطة برزت خلافات لم تكن في الحسبان، ففي الوقت الذي كان فيه يوحنا دي بريين يعدّ نفسه قائداً عاماً للجيوش الصليبية باعتباره ملكاً للقدس لم يتطلع الصليبيون إليه بل إن كل مجموعة جاءت من بلد معين تطلعت إلى أميرها أو ملكها بأنه هو فقط القائد، فقد تطلع الهنغاريون إلى أندور الثاني ، وكذلك القبارصة عدوا هيو أوف لوي قائدهم ، وبالوقت نفسه تصرفت المنظمات الدينية العسكرية (الإسبتارية والداوية والتيوتون[٣٧٩]) الطريقة نفسها ، فكل طائفة تطلعت إلى

---

[٣٧٤] . أندرو الثاني: ملك هنغاريا (٥٩٩هـ/١٢٠٣مـ ٦٣٢هـ/١٢٣٥م) كان ابن بيلا الثالث ومرغريت أميرة فرنسا ترك الحملة الصليبية سنة ١٢١٨ وعاد إلى بلاده وتزوج من يوغندا كورتيناي ابنة إمبراطورة القسطنطينية سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٣م. .

[٣٧٥] . هيو أوف لويزنيان: ملك قبرص (٦٠١هـ/١٢٠٥ . ٦١٥هـ/١٢١٨م) ابن عموري أوف لويزنيان وأشيفا دي إيبيلن وقد تزوج من أليس دي شامبين ابنة أزابيلا صاحبة القدس. .

[٣٧٦] . ليوبولد السادس: دوق النمسا (٥٩٥هـ/١١٩٨م . ٦٢٨هـ/١٢٣٠م) وعن وصول القادة الثلاث. انظر تاريخ هرقل: ص ٣٢٢ . – رنسيمان (ستيفن) : ج ٣ ، ص ١٤٧.

[٣٧٧] . بادربورن (أولفر أوف): تاريخ دمياط ، ص ٢٩.

[٣٧٨] . يوحنا دي بريين هو أحد أتباع فيليب أُغسطس ملك فرنسا رشحه فيليب للزواج من ماريا وريثة مملكة بيت المقدس وكان عمره أنذاك قد ناهز الستين عاماً وتوّج ملكاً في سنة ٦٠٦هـ/ تشرين ١٢١٠م. .

[٣٧٩] . ترجع نشأة جماعة فرسان التيوتون أو فرسان القديسة ماريا الألمان إلى سنة ٥١٢هـ/١١١٨، و تشكلت من الألمان على وجه التحديد حين أقام الحجاج الألمان في عهد الملك بلدوين الأول مشفى صغيراً وكنيسة ومضيفة ألمانية لرعاية حجاجهم،وحصل الألمان في بداية الأمر على مساعدة جماعة الإسبتارية، وربما حدث اندماج بين الجماعتين حتى أعلن البابا سلستين (٥٣٧هـ/١١٤٣ م . ٥٣٨هـ/١١٤٤م) استقلال التيوتون وكان مكان المؤسسة الألمانية في بيت المقدس على الطريق المؤدي من البوابة الجنوبية الغربية للمدينة إلى ساحة مسجد عمر بن الخطاب بجوار الحي الأرمني واعتمدت الجماعة على دعم الحجاج الألمان فقط، ولأن ألمانيا لم تكن مركز هجرات فلم تكن جماعة التيوتوني مثل غنى جماعتي الداويه والإسبتاريه ظهرت الجماعة بنشاطها في الحملة الصليبية الثالثة في

مُقدمها كقائد وحيد لها[٣٨٠].وعندما تصل الأمور إلى هذا الحد يصبح القول المشهور (المملكة المنقسمة على نفسها سائرة إلى الانهيار)[٣٨١] حقيقة لا ريب فيها لأن الرأس في هذه أصبح رؤوسا متعددة والعلة أصبحت عللاً والجسد في هذه الحالة إلى الموت المحتوم ، هذه الخلافات لا بل الصراعات على القيادة ربما تكون تفسيراً مناسباً لخيبة الأمل التي حصدوها من خلال غاراتهم الثلاث التي نفذت في إقليم الجليل، وعلى جبل الطور، والتي لم يحصلوا من خلالها على أية مكاسب تتناسب مع الأهداف الكبيرة التي وضعوها لأنفسهم، والمسافات البعيدة التي قطعوها من أجل تلك الأهداف وعلى رأسها احتلال مصر ، واستعادة مملكة بيت المقدس[٣٨٢]، وكل ما استطاعوا تحصيله في الغارة الأولى هو بعض الغنائم التي أخذوها من بيسان والتي تركها العادل[٣٨٣]، وشأنها حيث غمرت الفرحة دنيا الملك الهنغاري أندرو حينما حصل على أباريق للماء كانت تستخدم في حفلات الزواج في قانا الجليل التي يقال إن السيد المسيح عليه السلام حول فيها الماء إلى خمرة . لكن الملك يوحنا دي بريين لم يكن راضياً عما حدث، فأعد من جانبه حملة لتدمير الحصن (الطور) الذي شيده المسلمون، وهو حصن قوي من يملكه يسيطر على الساحل[٣٨٤]، وكان الصليبيون قد أخطروا أوروبا بأهمية هذا الحصن وخطورته وطلبوا منها إرسال المعونات اللازمة من أجل السيطرة عليه لأهميته الكبيرة . لذلك عندما وصلت

أثناء حصار الفرنجة لعكّا حيث أقام صليبيوا مدينتي بريمن ولوبك مستشفى بألواح الخشب وأشرعة السفن وحصل كل من فردريك السوابي وأخوه هنري السادس على اعتراف البابوية بالجماعة في عهد البابا كلمنت الثالث (٥٨٣هـ/١١٨٧ . ٥٨٧هـ/١١٩١م) ثم البابا سلستين الثالث (٥٨٧هـ/١١٩١ . ٥٩٤هـ/١١٩٨م) على التوالي، وبعد موت فردريك السوابي بقي بعض الألمان في الشرق، ولما لم يحضر الإمبراطور هنري السادس إلى الشرق فقد تحولت الجماعة إلى جماعة عسكرية، وفي سنة ٥٩٥هـ/١١٩٩م اعترف بها البابا أنوسنت الثاني كجماعة صليبية مقاتلة. .

[٣٨٠] . فتري (جاك دي): تاريخ القدس ، ص ١٠١ .– وندوفر (روجرأف): وررورد التاريخ، ص ٣٥ .

[٣٨١] - فتري ، ص١٠١ والتي تليها

[٣٨٢] . ابن الأثير :، ج١٠، ص ٢٠٤ . – ابن واصل : ج٣، ص ٢٥٤ . – المقريزي : السلوك ، ج١، ق ١، ص ٢٢١ .

[٣٨٣] - مفرج الكروب ، ج٣ ، ص٢٥٥ .

[٣٨٤] . ابن واصل : ج٤، ص٣٢٠ .– ابن نظيف (أبو الفضائل، محمد بن علي بن عبد العزيزي بن بركات الحموي): التاريخ المنصوري ، عن زكار (سهيل) : الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية ، الجزء٢١، دمشق١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، ص ٣٥٥ . – المقريزي : ج١، قسم ١، ص ٢٢٢.

قوات الصليبيين وظهرت بوادر حماقاتها بتدمير الحدائق والبساتين ، وغير ذلك أراد يوحنا دي بريين أن يوظف هذه القدرات الكبيرة التي قدّرها ابن واصل بألف من الفرسان وثمانية آلاف من المشاة[٣٨٥]، في القضاء على الحصن الكبير الذي بناه ابن العادل على جبل الطور. لكن ماذا كان رأي الملوك والقادة الذين جاؤوا من وراء البحار ؟

جميع القادة الذين جاؤوا من الغرب لم يعيروا أيّ اهتمام لما يريده يوحنا بريين ملك القدس حتى ملك قبرص هيو لم يقفْ إلى جانب ملك القدس رغم ما بينهما من روابط القرابة، فهو ابن حميه المتبنى ، حيث كان والده عموري دي لويزنيان الزوج الرابع للملكة إيزابيلا[٣٨٦].السؤال الذي يطرح نفسه لماذا وهم الذين قطعوا البحار والقفار من أجل ذلك ؟

يبدو أن لكل منهم أهدافه وأسبابه ، ومصالحه التي كان يعمل من أجل تحقيقها أقلها أن كلاً منهم كان يتطلع إلى أن يكون هو القائد ، لذلك أخفق الهجوم الأول على حصن الطور، ولم يكن تفرق الصليبيين وتعدد الرؤوس فيهم هو السبب الوحيد للإخفاق، بل كذلك قوة الدفاع عن الحصن بالإضافة إلى موقعه الحصين ، والظروف الطبيعة والمناخية التي رافقت الهجوم الذي انطلق بأفكار شتى ، وليس بفكرة واحدة وبكثير من قلة التنظيم ، والتعاون بين القوات الصليبية . لذلك استمر حصار الحصن من ٢٥ شعبان سنة ٦١٤هـ/ ٢٩ تشرين الثاني ١٢١٧م حتى١٦ رمضان من السنة نفسها/ ١٧ كانون الأول من العام نفسه ، وصمد الحصن صموداً عظيماً، الأمر الذي جعل الصليبيين يعودون أدراجهم خائبين إلى عكّا[٣٨٧]. وقد حاول بعض المؤرخين الصليبيين إعطاء تفسيرات أخرى لهذا الإخفاق، فهذا أولفر بادربورن يعزو ذلك لأسرار إلهية لا يستطيع الإنسان مهما امتلك من المعرفة أن يدرك ذلك فقال: ً لأن عين الإنسان لا يمكنها أن

---

[٣٨٥] . ابن واصل : الجزء ٣، ص ٢٥٥ . ٢٦٥.

[٣٨٦] . يوحنا بريين تزوج ماريا ابنة ازابيلا التي كانت زوجة لعموري دي لويزنيان بعد موت زوجها الثالث هنري دي شامبين ١١٩٨، وبذلك يكون هي ودي لويزنيان ابن حمي يوحنا بريين..

[٣٨٧] . ابن واصل: ج٣، ص٣٥٧ – بادربورن (أولفر أف) : تاريخ دمياط ، ص ١٦٥ – تاريخ هرقل :، ص ٣٢٤ والتي تليها . – المقريزي (أحمد بن علي) : السلوك ، ج١، ق ١، ص ٢٢٢ . – النويري (شهاب الدين أحمد): نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٢٩، تح محمد ضياء الريس ، ص ٧٨ .– عامر (سامية): الصليبيون في فلسطين، ص ١٠٢.

تنفذ إلى أسرار الأوامر الربانية وبواعثها... ونحن نعتقد أن المسيح عليه السلام قد احتفظ بنصر الجبل هذا لنفسهً[٣٨٨]. لكنه يشير بشكل أو بآخر لأمور أخرى وهي خلافات القادة الصليبيين وتركهم لميدان المعركة الأمر الذي شجع المسلمين على الصمود ، وفرق صفوف الصليبيين، وسبب الكثير من المصاعب. أما الصليبيون الذين جاؤوا من أوربا مؤخراً قد عزوا هذه الهزيمة إلى قيادة يوحنا دي بريين، لذلك حاولوا أن يقوموا بغارات يثبتوا فيها أن يوحنا دي بريين لا يصلح للقيادة ، ولا يمتلك صفاتها ، ولا المؤهلات لقيادة القوات الصليبية ، فقام ابن أخت ملك هنغاريا بالهجوم على جبل صيدا، وقال: ًلابد لي من أهل هذا الجبل فنهاه صاحب صيدا ، وقال: هؤلاء رماة ، وبلدهم وعر فلم يقبل ، وصعد بخمسمئة من أبطال جنوده إلى ضيعة الميارنة (الموارنة) قريباً من جزيين (في لبنان) فأخلاها أهلها وجاء الصليبيون ونزلوا فيها ، وترجلوا عن خيولهم ليستريحوا، وكان معهم رجل يقال له الجاموس من المسلمين يستخدمونه كدليل لمعرفة المسالك والمناطق ، وكانوا قد أسروه من قبل. فقال لهم: أنا أعرف طريقاً إلى صيدا أوصلكم إليه، فقالوا: إن فعلت أغنيناك فسلك بهم أودية وعرة، والمسلمون خلفهم يقتلون ويأسرون، ففهموا أن الجاموس غرّر بهم فقتلوه، ولم يبق عندما وصلوا إلى صيدا سوى ثلاثة أشخاص بعد أن كانوا خمسمائة[٣٨٩]، وليست الحادثة التي ذكرت هي الوحيدة، ففي مستهل السنة الجديدة ٦١٥هـ/١٢١٨م نفذَّت مجموعة صغيرة من العساكر المجربين وذوي الخبرة غارة في وادي البقاع دون أن يستمعوا أو يأخذوا بنصائح الصليبيين المحليين، ودون أن يحصلوا على موافقة الملك يوحنا دي بريين، وبسبب سوء تقديرهم للموقف وعناصر المعركة (قوة العدو بالتناسب مع قوة الصديق وطبيعة الأرض ومقدار ما تقدمه من أجل تحقيق المهمة أو إعاقة تنفيذها ثم طبيعة الطقس والفصل واليوم)، وهي عناصر أساسية يجب أن تحسب لها كل الحسابات من أجل كل ذلك أخفق هؤلاء، وكادوا أن يهلكوا جميعاً في عاصفة ثلجية عند اجتياز

---

[٣٨٨] بادربورن (أولفرأف) : تاريخ دمياط ، ص ٣١ والتي تليها . – عامر (سامية): الصليبيون في فلسطين ، ص ١٠٢.

[٣٨٩] . أبوشامة : ج٣، ص ١٥٧ . – المقريزي : السلوك، مصدر سالف، ج١، ق١، ص٢٢٢ . – تاريخ هرقل: ص ٣٢٤.

جبال لبنان[٣٩٠] ، وبعد هذا يقول أوليفرأوف بادربورن: انقسم جيش الرب إلى أربعة أقسام[٣٩١]، ويبدو أن الملك الهنغاري أندر قد أدرك صعوبة الموقف الصليبي ، وصعوبة تحقيق الأهداف المعلنة،وأن الخلافات بين القادة أكبر من أن تُحل لذلك توجه مع ملك قبرص نحو طرابلس لحضور احتفال بزواج بوهيموند الرابع أمير إنطاكية السالف[٣٩٢] (الذي ترمل حديثاً) من مليساندا، وهي أخت غير شقيقة للمك القبرصي هيو دي لويزينان، ولكن فجأة وفي ظروف غامضة مات هيو، وكان ذلك في ٢١ شوال سنة ٦١٥هـ/ الموافق ١٠ كانون الثاني ١٢١٨م[٣٩٣] تاركاً وراءه عرش قبرص ليتولاه ابنه الطفل هنري الذي لم يتجاوز عمره ثمانية شهور، وبوصاية أرملته ملكة بيت المقدس[٣٩٤]، وعاد الملك أندرو إلى عكّا وأعلن أنه يزمع الرحيل إلى أوربا، ويبدو أنه أضيف سبب جديد لأندرو كي يصمم على الرحيل ، وهو تخوفه من هذا الموت المفاجئ لهيو ملك قبرص ، وربما عد ذلك مدبراً من قبل شخص ما أو مجموعة ما ، لذلك بدأ يحسب حساباً فقرر قراراً نهائياً الرحيل ورتب ذلك مع سلطان سلاجقة الروم للعبور عبر أراضيه . حاول بطريرك القدس أن يمنع هذه العودة بالتوسل تارةً وبالتهديد بالحرمان تارةً أخرى، لكن أندور لم يصغِ إلى كل ذلك، وسار بعسكره صوب الشمال إلى كليكية، بعد أن اجتاز طرابلس وأنطاكية، الأمر الذي سبب أذىً كبيراً للأرض المقدسة كما يقول أولفر: لأنها خسرت جيشاً وسلاحاً وإمكانيات كبيرة كان يمكن أن توظف لمصلحة الأرض المقدسة ، وحدث انقسام آخر بين الجيوش الصليبية التي وصفها أوليفر بالكسل والجبن، وكان ذلك بعد الإغارات التي تحدثنا عنها والتي لم تسفر عن

---

٣٩٠ . .Jack de vitry: op,cit pp 164-165.

٣٩١ . تاريخ دمياط :ص ١٣٠.

٣٩٢ . حضر بوهيموند الرابع كونت طرابلس عندما أرسلوا إليه للمشاركة في الحملة، وجاء معه غي الأول أمبرياكو حاكم جبيل وشقيقة، وليم وجيرار كندسطبل طرابلس، ويبدو أن لبوهيموند دوراً في ترك قلعة الطور والانسحاب،عندما نادى بالتخلي عن المشروع بأكمله، وخاصة بعد أن رأى فتور حماسة القادة ظناً منه أن هؤلاء سيساعدونه على استعادة إمارته في أنطاكية، أنظر: تاريخ هرقل :ص ٣٢٤.

٣٩٣ . بادربورن (أوليفر أف) : ص٣٢ . – رنسيمان (ستيفين) : تاريخ الحروب الصليبية، ج٣، ص ٢٦٥ .–عامر (سامية): الصليبيون في فلسطين ، ص ١٠١ .

٣٩٤ . تاريخ هرقل: ص ٣٢٥ .

أشياء كبيرة، حيث استكانوا ورقدوا وجلسوا فاستهلكوا كميات كبيرة من الأطعمة لم تستطع عكّا تعويضها ولاسيّما وهذا العام والذي سبقه عاما قحط ضنّت فيها السماء وأجدبت الأرض فقلت المحاصيل وضعف الانتاج والتعويض يحتاج إلى كمية كبيرة من الأموال لم تكن متوفرة.

ربما يكون ذلك مقبولاً لتفسير الانقسامات التي حصلت بين الجيوش الصليبية، فالجيوش تزحف على بطونها، بمعنى أنها تحتاج إلى إمدادات كبيرة، وأموال طائلة لتغطية نفقاتها، لذلك قام اليوبولد دوق النمسا باقتراض كمية كبيرة من المال[٣٩٥] من غي إمبرياكو[٣٩٦] سيد جبيل[٣٩٧] بلغت خمسين ألف بيزنط ، الأمر الذي ساعد في تحصين قلعة قيسارية[٣٩٨]كما قام الصليبيون ببناء قلعة ضخمة في عتليت جنوبي يافا فوق جبل الكرمل ، وهي القلعة التي عرفت بإسم ، قلعة الحجاج. وقد قام بهذا العمل فرسان الداوية والإسبتارية ، والتيوتون ، وبعد أن أتموا أعمال البناء والتحصين عادوا الى عكّا[٣٩٩] .

مصر والحملة الخامسة والصراعات الصليبية هناك:

---

[٣٩٥] . تاريخ هرقل:مصدر سالف : ص ٣٣٢.

[٣٩٦] . غي امبرياكو: حكم مدينة جبيل (١١٩٩م-١٢٤١م)، وهو من أصول جنوية، أنظر عامر (سامية): الصليبيون في فلسطين ، ص ٤١-٥٠ .

[٣٩٧] . جبيل: مدينة لبنانية على ساحل البحر الأبيض المتوسط، تبعد ٣٥كم عن بيروت، وجبيل مدينة قديمة كانت تدعى بيبلوس أيام الفينيقين، نشأت في الألف الخامس قبل الميلاد، آنظر أمنة إبراهيم أبو حجر، موسوعة المدن الفلسطينية، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن عمان، طبعة اولى٢٠٠٢م، ص ٤٤، وفي معجم البلدان جاء ذكر ميدنة جبيل وهو تصغير لجبل، وجبيل بلد في سواحل دمشق، انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان الجزء الثاني، ص ١٢٧. فتح جبيل يزيد بن أبي سفيان، وبقيت في أيدي العرب المسلمين حتى غزاها الصليبيون واحتلوها ثم استعادها صلاح الدين سنة ٥٨٢هـ/١١٨٦م، أنظر ابن الأثير : الكامل في التاريخ، م١٠، ص ٢٩ .

[٣٩٨] . قلعة قيسارية: قام ملك القدس يوحنا دي بريين بمساعدة دوق النمسا والإسبتارية في تحصين قلعة قيسارية وتعميرها وبناء استحكاماتها، كما قام الداوية بمساعدة الفرسان التيونون ببناء قلعة قوية في عتليت عرفت بقلعة الحجاج، أنظر تاريخ هرقل: ص ٣٢٥.

[٣٩٩] - بادربورن (أوليفر أف) : ص١٧ .

لقد برزت أهمية مصر للحملات الصليبية من الأيام الأولى التي تطلَّع فيها الصليبيون إلى الشرق، حيث أدرك هؤلاء أن مفاتيح القدس هي مصر كما يقول سهيل زكار في تقديمه لترجمة كتاب أوليفر بادربورن تاريخ دمياط ، وأنه ينبغي الحصول على هذه المفاتيح قبل التوجه إلى القدس ليكون ذلك سهلاً ، وقد أدرك ذلك ريتشارد قلب الأسد ، فعندما ضغط عليه الصليبيون للتوجه إلى القدس أكد لهم ضرورة التوجه إلى مصر[٤٠٠]، لأنه كان يعرف أن كل الطاقات العسكرية والمادية للمسلمين كانت تأتي من مصر ، وأصبح ذلك عقيدة عند قادة الحركة الصليبية ودعاتها ، فهم حيناً يشبهون مصر برأس الأفعى ، وأحياناً يشبهونها بأنها مخزن الإمدادات في العالم الإسلامي ، ومرة ثالثة بالقلب من الجسد إلى غير ذلك من التشبيهات العديدة التي فاضت بها كتب دعاة الحروب الصليبية في أواخر العصور الوسطى وهي تدل على أن الصليبيين أدركوا أن الخطر الحقيقي الذي هدد بقاءهم واعترض وجودهم وعرقل مشاريعهم في بلاد الشام إنما ينبع من مصر، وجدير بالذكر أن المؤرخين المسلمين المعاصرين أدركوا أيضاً هذه الحقيقة، وفسروا في ضوئها توجّه بعض الحملات الصليبية الى مصر منذ القرن الثالث عشر الميلادي، يقول المؤرخ ابن واصل في هذا الإتجاه : إن الصليبيين تشاوروا في سنة ٦١٥هـ/١٢١٨م فأشار عقلاؤهم بقصد الديار المصرية أولاً، وقالوا: إن الملك الناصر صلاح الدين إنما استولى على الممالك، وأخرج القدس والساحل من أيدي الفرنجة بملكه ديار مصر وتقويته برجالها، فالمصلحة أن نقصد أولاً مصر، ونملكها، وحينئذ لا يبقَ لنا مانع عن أخذ القدس وغيرها من البلاد[٤٠١]. ومهما يكن من أمر فإن إدراك هذه الفكرة والإيمان بها كان

---

[٤٠٠] . ابن شداد(أبو المحاسن يوسف): النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص٢٣٩ .– زيادة (محمد مصطفى) : حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته قي المنصورة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، د . ط ، ١٣٨١هـ/١٩٦١م،ص٣٥ .

[٤٠١] . ابن واصل : ج٣، ص ٢٥٨. – بالار (ميشل): الحملات الصليبية والشرق اللاتيني من القرن الحادي عشر إلى القرن الرابع عشر الميلادي ، ص ٢٢٤ . – زيادة (محمد مصطفى) : حملة لويس التاسع على مصر ، ص٣٥ .

ومن الجدير بالذكر أن جاك دي فتري ذكر: أنّ أوليفر بادربورن مؤرخ الحملة الخامسة هو الذي نصح الفرنجة بالتوجه إلى مصر كما حدد مجلس اللاتيران الرابع في سنة ٦١٢ هـ/١٢١٥م، بينما ينسب أرنول هذه الفكرة لملك القدس يوحنا دي بريين، أنظر بادربورن (أوليفر) : تاريخ دمياط، ص ٢٢ – أرنول ذيل تاريخ وليم الصوري، ص ٤١٤ – .Vitry,op ,cit , p99.

سبباً لتغيير هام خطير، طرأ على اتجاه الحركة الصليبية ، إذ أخذت مصر منذ بداية القرن السابع الهجري / الثالث عشر للميلاد تستأثر بجهود الصليبيين ، ووضعت الخطط الخاصة لجميع الحملات الصليبية ما عدا النذر اليسير منها على أساس الإتجاه إلى مصر لضرب المسلمين في قلبهم النابض، وبناءً عليه ففي شهر ذي الحجة من سنة ٦١٤هـ/ آذار ١٢١٨م عندما بدأت السفن تبحر إلى عكّا تنفيذاً لما جاءت عليه مقررات المجمع اللاتيراني الرابع الذي انعقد في روما برئاسة البابا أنوسنت الثالث، كانت كما يقول أوليفر بادربورن: من أجل قيادة الجيش الصليبي إلى الأراضي المصرية[٤٠٢]، لذلك عندما وصلت هذه القوات إلى عكّا كانت إحدى المسائل الأساسية المختلف عليها هي من سيقود الجيش الصليبي ، ومن هو صاحب الكلمة الأولى فيه.

الأمر الطبيعي هو أن يكون يوحنا دي بريين ملك القدس ، وهو رجل محنك ، وله من التجارب وبعد النظر ما يؤهله لأن يكون قائداً عاماً للجيوش الصليبية ، وأن يوجه اتجاهات عملها وأهدافها ، وبخاصّة بعدما حصل من إخفاقات ، وخلافات تم التحدث عنها من قبل عند محاولة الاستيلاء على قلعة الطور التي تم الدفاع عنها بقوات قليلة . لأنّ قوة المسلمين كانت موزعة . وعلى الرغم من ذلك لم يستطع الصليبيون الاستيلاء عليها (يرى المقريزي وابن واصل أن سبب انصرافهم عن قلعة الطور هو مقتل بعض أمرائهم في أثناء الحصار لذلك تركوها وغادروا)[٤٠٣]. المتتبع لهذا الأمر يمكنه ملاحظة خلاف جديد أيضاً ، هو من سيكون القائد بعد أن اتفقوا على ان يذهبوا جميعاً باتجاه مصر، وتحديداً إلى دمياط ، والدليل على وجود هذا الخلاف هو ما إن وصلت القوات الصليبية التي تأخر بعض قادتها في عكّا ، ولم يصلوا إلا بعد ستة أيام (أقلعت القوات من عكّا في ٢٦ صفر سنة ٦١٥هـ/١٤ أيار ١٢١٨م، ووصلت بعد

– ابن إياس (محمد بن أحمد بن إياس المصري ت ٩٣٠هـ/١٥٢٣م): بدائع الزهور في وقائع الدهور، ٣أجزاء ، بولاق ، ط١ ،١٣١٢هـ/١٨٩٤م.

[٤٠٢] . بادربورن (أولفير): تاريخ دمياط ، ص ٣٧ . – برارور (يوشع): عالم الصليبيين، تر قاسم قاسم، محمد خليفة حسن، عين للدراسات والبحوث الاجتماعية والإنسانية، القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص ٦٦٠ .

[٤٠٣] . ابن واصل (جما الدين محمد): مفرج الكروب ، ج٣، ص ٢٥٧ .– المقريزي : السلوك ، ج١، ق١ ، ص ١٨٢ .

ثلاثة أيام أي في ٢٩ صفر سنة ٦١٥هـ/ الموافق ١٧ أيار ١٢١٨م)[٤٠٤] من وصولها ، حتى اختارت قائداً لها هو كونت أوف ساربروكن Saarbruken [٤٠٥]، واستطاعوا أن ينزلوا إلى البر الغربي لدمياط[٤٠٦] في اليوم نفسه دون خسائر، وذلك قبل أن يلحق بهم الملك يوحنا دي بريين والقادة الآخرون، وقام الصليبيون بتحديد حدود معسكرهم فيما بين الشاطئ ، وضفة النيل الغربية، وأثار هذا العمل إعجاب الملك والقادة الذين وصلوا متأخرين. ونودّ أن نذكر حادثة بعد وصول القوات الصليبية إلى دمياط ، وهو خسوف القمر، وبالعادة يحدث لأسباب طبيعية عندما يكون القمر بدراً، لكن كما يقول أولفر بأنهم قاموا بتأويل الخسوف وتفسيره بأنه شارة سوء بالنسبة للمسلمين[٤٠٧]، ومثل هذا الفكر أُستخدم في الدعوة للحملة الصليبية كما سلف وتم التحدث عنه.

---

[٤٠٤] . أبو الفداء (الملك المؤيد عماد الدين أبي الفداء اسماعيل علي بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن ايوب): تاريخ أبو الفداء المسمى المختصر في أخبار البشر، تح محمود ديوب، جزءان، دار الكتب العلمية، بيروت، د . ط ، د.ت، ج٢، ص١٦٥ . – ابن الوردي : ج٣، ص ١٣٤ . – ابن تغري بردي (أبو المحاسن يوسف): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٦، ص ١٩٦ . – ابن العميد (المكين جريس): أخبار الأيوبين ، ص ١٠. والتي تليها .

[٤٠٥] .كونت أوف ساربروكن: هو سيمون الثاني، شغل منصب كونت أوف ساربروكن (١٢١١.١٢٣٣م). أنظر : بادربورن (أوليفر أف) : تاريخ دمياط ، ص٣٩ .

[٤٠٦] . البر الغربي لدمياط كان يسمى جزيرة دمياط، وهي تسمية مجازية، لأن مياه البحر تحيط به من الجهة الشمالية، ومياه النيل من الجهة الشرقية، كما كان يسمى جيزه دمياط، والجيزة في اللغة تعني الناحية، أو لعله أخذ هذه التسمية لأنه يُجاز إليه من دمياط .
أنظر الشيال (جمال الدين): مجمل تاريخ دمياط سياسياً واقتصادياً، مكتبة الثقافة الدينية ، بور سعيد ، ط١، ١٤٢.هـ/١٩٩٩م.ص١١٢ .
– الشيّال (جمال الدين): تاريخ مصر الإسلامية، جزئين، دار المعارف ، القاهرة ، د . ط ،١٣٨٧ هـ/ ١٩٦٧م، ج١، ص ١٢٠

[٤٠٧] .أولفر أوف بادربورن: تاريخ دمياط ، ص ٣٩.

.

وصول الكاردينال بيلاجيوس ، والصراع على قيادة الحملة :

وصل الكاردينال بيلاجيوس النائب البابوي إلى الجيوش الصليبية المعسكرة بالقرب من دمياط في الجانب الغربي من النيل في ٢٠ جمادي الآخر سنة ٦١٥هـ/ الموافق منتصف أيلول ١٢١٨[٤٠٨]، وبيلاجيوس هذا إسباني الأصل اشتهر بالجد والاجتهاد في العمل، فحصل على سمعة جيدة ، وخبرة إدارية كبيرة كلف بعدة مهام ، و وصول الكادرينال بيلاجيوس إلى دمياط أثار مشكلة جديدة أضافها إلى المشكلات التي كانت تعاني منها هذه الجيوش، فبدلاً من أن يكون وصوله لبنة جديدة في البناء المعنوي لهذه الجيوش، والمعّول عليها والمأمول منها كبير جداً، لكن في أكثر الأحيان (تجري الرياح بما لا تشتهي السفن)، حيث أنه في عكّا قبل مسير الجيوش الصليبية تم الاتفاق على أن يكون يوحنا دي بريين هو القائد العام لها، وكانوا قد استفادوا درساً مهماً من الخلافات التي حصلت على القيادة كما سلف القول عند وصول مقدمات هذه الحملة وإبان الغارات الثلاث التي شنّوها على بيسان وقلعة الطور وشقيف أرنون[٤٠٩].

لكن بوصول النائب البابوي تغيرت الأمور، فقد كان يرى في نفسه وباعتباره نائباً بابوياً هو القائد العام للجيوش الصليبية ، أي أراد أن ينفرد بالقيادة ، وأن يكون فيها الرجل المطاع، فظهرت إلى العلن الصراعات التي كانت تتفاعل تحت الرماد بين سائر مكونات هذه الحملة، والتي كان يشعرفيها كل نبيل أن من حقه أن تكون القيادة له ، وبالتالي كان يصعب على أي منهم تَلَقي الأوامر من قائد آخر، وندلل على ذلك حتى قبل وصول بيلاجيوس حدثت بعض الحوادث التي يستدل منها على ما ذهب إليه البحث، ومنها ما إن نزلت الجيوش إلى البر حتى قام الجنود الفريزيون (الهولنديون) فور نزولهم بالهجوم على بعض المواقع لجيوش العادل دون أخذ الأوامر من أحد على الرغم من الاتفاق الذي تم قبل الإبحار من عكّا ومضمونه أن يكون يوحنا بريين هو القائد العام لهذه الجيوش يأتمر الجميع بأوامره وينفذوا تعليماته لكن الذي حصل أمر آخر

---

[٤٠٨] . وندوفر (روجر أف): ورود التاريخ ، ص ٧٥٩ .- Setton,op,cit,p4 3. – رنسيمان (ستيفين): تاريخ الحروب الصليبية، ج٣، ص ٢٧٥ .

[٤٠٩] . تاريخ هرقل: ص ٣٢٣.٣٢٥ . – رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية ، ج٣، ص ٢٦٤ والتي تليها.

فالهجوم قد تم دون معرفة القائد ودون أمر منه . صحيح أنهم حصلوا على الكثير من الغنائم على حد قول أولفر بادربورن[٤١٠]، إلا أن ذلك العمل لا يمكن فهمه إلا أنّه خروج عن طاعة القائد المكلف وإضعاف لموقفه وهدر لطاقات يجب أن توظف في اتجاه آخر فضعف الضبط والربط لهذه للجيوش يشكّل المقدمة الأولى لاخفاق المهمة المكلفة بتنفيذها ٠ لأن القيادة المركزية الحازمة ، والمستمرة ، وقوّة الضبط والربط هما المقدمة الصحيحة لكل نجاح . وبالتالي فإن موضع القيادة في الجيش هو كموضع ومكانة الرأس في الجسد . فعندما تكون القيادة مركزية قويّة منظمة مستمرة في المكان والزمان يكون الجيش قوياً قادراً . هجومه حاسم ودفاعه ثابت ، وفي موضع آخر يقول بادربورن واصفاً إحدى المعارك بين الصليبيين والمسلمين: وأخيراً تسلقوا الجسر وأحرقوا شطراً منه ، ولدى التخلي عن الجسر ، ومغادرته أعطى دوق النمسا أمراً إلى رجاله أن عليهم إعطاء فرصة للاقتراب من مدخل لهؤلاء الذين كانوا يضغطون علينا[٤١١]، وهذا يدل مرة أخرى على أن كل مجموعة من مكونات هذا الجيش كانت تأتمر بأوامر قائدها الخاص الذي لا يأخذ أوامره من أحد، وباعتبار أن الجيوش لا تستطيع تنفيذ المهام دون قيادة حازمة وجريئة ومستمرة ومركزية تستطيع أن تفرض النظام والقانون والتنفيذ الدقيق للأوامر، رأى بيلاجيوس أن لا أحد سواه قادر على حمل الجميع على الالتزام بالنظام والانضباط ، وقام بعدة إجراءات للتأكيد على أنه هو القائد العسكري الوحيد لهذه الحملة ، ومن هذه الإجراءات: أذاع نبأ بأن فردريك الثاني الإمبراطور الألماني الشاب سلف وأن وعد بأن يأتي إلى المشرق على رأس جيش إمبراطوري كبير، ومن المؤكد أن القيادة للجيوش الصليبية ستكون له، وحتى ذلك الوقت فإن بيلاجيوس لن يتلقَ الأوامر من الملك يوحنا دي بريين الذي لم يكن ملكاً للقدس إلا عن طريق زوجته المتوفاة[٤١٢]، ومن الطبيعي هنا أن نطرح السؤال التالي: بيلاجيوس نائب بابوي ، وهو رجل دين معروف ، شغل مناصب دينية متعددة وربما نجح في تنفيذ مهامه إلا أنّ الأمر

---

[٤١٠] بادربورن (أولفر) : تاريخ دمياط ، ص ٣٩ . – وندوفر (روجر أف): ورود التاريخ ، ص ٧٥٣.

[٤١١] . بادربورن (أولفر) : ص ٥٥.

[٤١٢] . .Donovan:Palagiws and The fifth crusade,pp48-49.

هنا يختلف فهل يستطيع رجل دين قيادة حملة عسكرية ؟ ولماذا هذه الميول العسكرية عند رجل الدين؟ وهل كان لها علاقة بالصراع القائم بين البابوية والدولة في أوربا؟. في معرض محاولة اللإجابة عن هذه التساؤلات المشروعة يمكن القول: عندما تتضارب المصالح يبدأ الخلاف والصراع ، وهذا أمر طبيعي يحصل في كل الدنيا. في أوربا عندما تصادمت مصالح البابوية مع مصالح الدولة ، حصل صراع ، والأمثلة كثيرة على ذلك منها بعد حركة الإصلاح الديني (الديرية الكلونية)[٤١٣] أدت القرارات التي اتخذتها الحركة إلى صدام عنيف بين البابوية والمصلحين الكلونيين من جهة والحكام العلمانيين من جهة ثانية، فقد رفض وليم الفاتح ملك إنكلترا الاعتراف بسيادة البابوية ، والتبعية لها كما لم يعبأ فيليب الأول ملك فرنسا بآراء البابوية وقراراتها ، وكذلك أباطرة ألمانيا لم يقبلوا أيضاً بقرارات البابا . لأنها تمس سيادتهم وإشرافهم على الكنائس ورجال الدين في بلادهم ، وعلى هذا نشب صراع بين السلطة الدينية والسلطة الزمنية ، وشغل هذا الصراع تاريخ أوربا طوال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، وهذا أمر هام في موضوع البحث .

تجلى الصراع بين السلطتين بأشكال مختلفة ، وحسب أوضاع كل دولة ، ففي الإمبراطورية الرومانية المقدسة ظهر في عهد الإمبراطور، فردريك بربروسا مشكلة أي السلطتين أسمى البابوية أم الإمبراطورية[٤١٤] ؟ غير أن الظروف اضطرت البابا والإمبراطور للإتفاق من أجل مواجهة الأخطار المشتركة الآتية من الكومونات اللومباردية من جهة ، وثورة سكان روما ضد

---

[٤١٣] . الحركة الكلونية: قامت الحركة الكلونية في القرن لتاسع بعد أن تسلط العلمانيون من أمراء وحكام وملوك على الأديره والكنائس وبدؤوا بتعيين رؤساء الكنائس والأديرة بما يخدم مصالحهم السياسية والاقتصادية، أمام تلك الأوضاع استيقظت ضمائر بعض المؤمنين الصالحين فدعوا إلى الإصلاح الديني، وأقوى هذه الدعوات ظهرت في جنوب غرب فرنسا، حيث أسس وليم التقى دوق أكوتين ديرا في كلوني في سنة ٢٩٧هـ/٦١٠م،وقامت الحركة الكلونية على الأسس التالية، تحرر الدير من كل صفة علمانية. تحرير الدير من سلطة الأسقف الروحية . ارتباط رئاسة دير كلوني بالبابا مباشرة . خضوع جميع الأديرة الكلونية إلى نظام مركزي يرأسه أب يكون مركزه في كلوني، أنظر: فرح (نعيم): الحضارة الأوربية في العصور الوسطى، ص ١٤٢.

[٤١٤] . Thampson (T.W): Middle Ages, vol I, London,1931,p49.

البابوية من جهة أخرى[٤١٥]، لكن هذا الإتفاق لم يعمر طويلاً حيث شعر البابا بخطر الإمبراطور وازدياد نفوذه في إيطاليا الأمر الذي قد يضع البابا نفسه تحت رحمة الإمبراطور، فتجدد الصراع بين الطرفين وازداد في زمن هنري السادس (٥٨٦هـ/١١٩٠م . ٥٩٣هـ/١١٩٧م) الذي تمكن من الحصول على موافقة الأمراء الألمان بأن يخلفه على العرش ابنه فردريك الثاني ، لكن عندما مات هنري السادس انقلب بعض الأمراء الألمان، ورفضوا اعتبار فردريك مرشحاً للعرش لصغر سنه (كان آنذاك في الثالثة من عمره)، وآثرت والدته كونستانس الوصية عليه أن تحتفظ بعرش نابولي وصقلية وأن تدفع جزية سنوية للبابا، وأن تبتعد عن ألمانيا ومشاكلها وأعلنت تبعيتها للبابا[٤١٦]، ومن الطبيعي أن يرتاح البابا الذي ضمن ولاء صقلية لنفوذه . وبعد وفاة كونستانس سنة ٥٩٤هـ/١١٩٨م، انتقلت الوصاية على فردريك الثاني إلى البابا نفسه ، وكان ذلك بناءً على رغبتها، لكن يجب أن نشير إلى أمر هام، وهو أن ابتعاد كونستانس عن ألمانيا أعطى الفرصة إلى فيليب دوق سوابيا عم فردريك الثاني الذي كان تسانده فرنسا، فتوجه مسرعاً إلى ألمانيا عساه أن يتمكنَ من الحصول على عرش الإمبراطورية ، وأيده بذلك حزب الجبليين ، وهم دوقات أسرة هوهنتشاوفن ، لكن حزب الجلف المعزز بالنفوذ الإنكليزي انتخب أوتو أوف برونزويك، وهو الابن الثاني لهنري الثاني ملك إنكلترا (٥٤٩هـ ٥٨٥٨هـ/ ١١٥٤م . ١١٨٩م)، وفي الوقت نفسه هو كونت شمال إيطاليا ، وعلى ذلك سادت الحرب الأهلية كلاً من لومبارديا وتسكانيا وألمانيا، وتدخل البابا مؤيداً أوتو نظراً ، لأنه وعده بالخضوع للبابوية ، ولكن فيليب دوق سوابيا لم يذعن للأمر، فظل يتحين الفرصة للقضاء على أوتو، وتمكن سنة ٦٠٣هـ/١٢٠٧ من هزيمته فاضطر إلى الفرار إلى إنكلترا، ولم تستقر الأمور على هذه الحال، فقد قتل فيليب في السنة التالية ، وأنعش ذلك الأمل في نفس أوتو للعودة والمطالبة بالعرش ، وأيده أمراء هوهنتشتاوفن بشرط زواجه من ابنة غريمه فيليب، ووافق أوتو، وذهب إلى روما ، وأعلن ولاءه للبابا، وكان ذلك في

---

[٤١٥] . الصوري (وليم): أعمال أنجزت فيما وراء البحار، ج٢، ص ٢٨١ . – رستم (أسد): الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم الدينية بالعرب، بيروت، ط١ ، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م/ الجزء الثاني، ص ١٥٥.

[٤١٦] . عاشور(سعيد) : الحركة الصليبية ، ج١، ص ٣٩٩ .

٢٩ جمادي الأولى سنة ٦٠٥هـ/ الموافق ٢٩ تشرين الأول ١٢٠٩م[٤١٧]. وارتاح البابا لهذه النتيجة لأن كل ما كان يعنيه خضوع السلطة الزمنية للسلطة البابوية، لكن العلاقات تأزمت بين البابا وأوتو عندما قام الأخير بغزو جنوب صقلية ٦٠٦هـ . ٦٠٧هـ/ ١٢١٠-١٢١١م، وهو ما لم ترض عنه البابوية لما كان يترتب عليه من توحيد ألمانيا وصقلية ، فأصدر البابا قرار حرمان ضد أوتو في الوقت الذي ثار الألمان ضده أيضاً بسبب عدم رضاهم عن حكمه وسوء إ دارته، فعدّوا . أي الألمان . أن قرار الحرمان هو قرار بعزل أوتو، فاختاروا فردريك الثاني ملكاً عليهم، وكان لا يزال تحت الوصاية البابوية، فعاد أوتو مسرعاً من إيطاليا إلى ألمانيا، وسانده حنا ملك بريطانيا (٥٩٥-٦١٣هـ/ - ١٢١٦.١١٩٩م)، وأمير فلاندرز وفي الوقت نفسه ساند فردريك الثاني في هذه القضية فيليب أُغسطس ملك فرنسا بحكم عدائه القديم لملك إنكلترا، وفي الوقت نفسه حتى لا تشكل قوة كبيرة على الأراضي الأوربية تهدد فرنسا أو تخشاها فرنسا كما أيدته البابوية، وانتهى الأمر بوقوع الحرب بين القوتين المتحالفتين وهزم أوتو حلفاءه في موقعة بوفان في سهل الفلاندرز، وكان ذلك في ١٦ ربيع الأول سنة ٦١١هـ/ الموافق ٢٧ تموز 1214م[٤١٨]، وليس معنى ذلك أن فيليب أُغسطس كان على وفاق دائم مع البابوية، فقد تعرض للحرمان الكنسي سنة ٥٩٦هـ/١٢٠٠م بسبب تنكره لزوجته الأولى وزواجه مرة أخرى من ابنة دوق شرق بافاريا المسماة إغنس أوف ميران، في بداية الأمر حاول فيليب أن يظهر أنه قوي ومتماسك وغير مكترث بإجراءات الكنيسة ضده . لكن في النهاية رضخ لمطالبها وأعاد زوجته الأولى[٤١٩]، وكان ذلك انتصاراً للكلمة البابوية[٤٢٠]، وبعد أن ضمن البابا ولاء فيليب استغله في التهديد لغزو انكلترا عندما تأزمت مشكلة تعيين أساقفة كانتربري سنة ٦٠١هـ/١٢٠٥م كما استغله في ضرب أوتو عندما تمرد على البابا كما أسلفنا، ولجأ إليه في القضاء على الهراطقة في جنوب فرنسا،

---

٤١٧ . Stubbs (w): germany in the early middle age. P219.

٤١٨ . وندوفر (روجرز): ورود التاريخ ، ص ٢٩٨-٣٠٤ . - ديسيتو (رالف أف): صورة التاريخ ، ص ٣٣٦.

٤١٩ . Lamont:op,cit,p419.

٤٢٠ . Westminster (Mathhew): The Flowers of Ajstory: tran by C.D. yonge, 2vol, London, 1853, volII.p.131.

لكن فيليب لم يذعن للبابوية بشكل مطلق، فقد عمل على الحد من تدخل البابا في شؤون الكنيسة الفرنسية كما ألزم رجال الدين بدفع ما يترتب عليهم من ضرائب إلى الخزانة الملكية، أما فيما يتعلق بإنكلترا، فقد تولى الملك حنا (٥٩٥ . ٦١٣هـ/١١٩٩-١٢١٦م) حكم البلاد رغم معارضة حكام المقاطعات الإنكليزية في فرنسا[٤٢١] التي استغلها فيليب أُغسطس للاستيلاء على أملاك إنكلترا في فرنسا، وأيد البابا ما قام به فيليب الذي سيطر على مقاطعة أوكتين وقلاع نورمانديا[٤٢٢]، والحدث الثاني الذي وقع في إنكلترا، واستغلته البابوية هو تعيين رئيس اساقفة كانتربري حيث رفض البابا مقترح الملك حنا فغضب الملك، وهاجم البابوية والتابعين لها في إنكلترا ، مما أدى إلى أن يصدر البابا قراراً بالحرمان ضد الملك حنا، وكان ذلك سنة ٦٠٤هـ/ ١٢٠٨م الأمر الذي أدى إلى ردة فعل كبيرة عند الملك حيث صادر أملاك الكنائس ونهبها واضطهد رجال الدين، فقط لأنهم تابعون للبابوية[٤٢٣]، الأمر الذي أثار البابا حيث قام بتحريض فيليب أُغسطس العدو القديم للمك على غزو انكلترا نفسها ، ورحب فيليب بهذه الفكرة ولاسيما أن ابنه لويس كان يطالب بعرش إنكلترا عن طريق زوجته بلانشي صاحبة قشتالة ابنة هنري أخي الملك حنا ، لكن حنا استسلم للبابوية ، وقبل بتعيين أسقف كانتربري، وأعاد رجال الدين إلى مناصبهم، وقبل الخضوع لنفوذ البابوية مع دفع جعالة سنوية ضخمة للبابا[٤٢٤]، فازدادت هيبة البابوية، وأضاع على فرنسا وملكها فرصة تحقيق طموحاته وأطماعه، وهكذا كان الغرب في أوائل القرن السابع الهجري / الثالث عشرالميلادي مسرحاً للقلاقل والاضطرابات والمشكلات الداخلية والحروب المستمرة، كان فيها البابا هو المتنصر دائماً، وأصبحت أوربا تحت رحمته،

---

[٤٢١] . ديسيتو (رالف): صورة التاريخ ، ص ٢٨٣ .

يقول ديسيتو شكّل حكم الملك جون (حنا) نقطة علامة وحداً فاصلاً في التاريخ الإنكليزي، فقد تم فقدان جميع الممتلكات البلانتغينية الواسعة في فرنسا باستثناء غسكوني .

[٤٢٢] . وندوفر (روجر أف): ورد التاريخ ، ص ٢٠٥-٢١٣ .

[٤٢٣] . Lamont,op,cit,p421. .

[٤٢٤] . wesminster(Mathew of) : op cit,p118. – تواريخ أسرة بلانتغنت : ص ٣٣٢.

ودانت له كل الدول بالولاء، وهكذا نستطيع فهم الميل العسكري لرجال الدين الذين أصبحوا يسيطرون على كل شيء في أوربا ، ولا يعجبهم ولا يرضيهم أن يتلقوا أوامر من قائد عسكري، وإذا كان من نتيجة أو درس يُستفاد من هذا العرض فهو تفسير ذلك الميل العسكري لرجال الدين للدفاع عن مصالحهم وحماية ممتلكاتهم وتأكيد سيطرة الكنيسة على السلطة الزمنية في ذلك الوقت، لذلك نرى بلاجيوس يعمل على فرض نفسه قائداً عسكرياً لهذه الحملة ، على الأقل كما افترض هو حتى وصول فردريك الثاني (الذي كان يُدعى ابن الكنيسة)، وحاول تكريس ذلك (أي أنه القائد العسكري) بشنه عدة غارات منطلقاً من فكرة أن الجيوش لا ينعشها إلا النشاط والعمل المستمر، لذلك أمر بمهاجمة معسكرالسلطان، لكن الأحوال الجوية الصعبة حالت دون ذلك، إلى أن وصلته أخبار مفادها أن الكامل محمد وجيشه أخذوا بالتراجع إلى الخلف، فهرع الصليبيون إلى العادلية التي وجدوها فارغة فاحتلوها ، وعزلوا دمياط عزلاً كاملاً من كل الجهات[٤٢٥]، لكن دمياط استعصت على محاولاتهم المتكررة دون فائدة، هذا النشاط المليء بالعناء وهذه النجاحات المشوبة بالإخفاق جعلت الكثير من الصليبيين يفكرون بالعودة والإنسحاب ولاسيّما أنهم أدركوا صعوبة تحقيق ما جاؤوا من أجله، فقرر ليوبولد دوق النمسا الانسحاب والعودة إلى بلاده، فهو قد قاتل لمدة سنة ونصف السنة بإيمان خالص وبذل نفقات لا تحصى بنفس سمحة كريمة، وكانت عودته في ربيع سنة ٦١٦هـ /الموافق أيار ١٢١٩م خسارة كبيرة، حيث انسحب معه عدد كبير من الجنود تاركين إخوتهم في أصعب الظروف وأخطرها[٤٢٦]، لكن الطرف الآخر (المسلمين) لم يكن أحسن حالاً فقد حكمته ظروف داخلية[٤٢٧] وخارجية[٤٢٨] صعبة إذا ما أضفنا اليها انخفاض

---

[٤٢٥] ويندوفر(روجر أوف): ورود التاريخ ،ص ٧٦٤ . – بالار(ميشل): الحملات الصليبية والشرق اللاتيني، ص ٢٢٤ .

[٤٢٦] . بادربورن(أولفر أوف): تاريخ دمياط ، ص ٥٥ والتي تليها .– ويندوفر(روجر أوف): ورود التاريخ، ص ٧٧٠.

[٤٢٧] . من هذه الظروف تآمر عماد الدين بن المشطوب مع الملك الفائز بن العادل على عزل الكامل وتنصيب الفائز بدلاً منه، حول ذلك انظر أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين ج٥، ص ١٧٦ – المقريزي (أحمد بن علي):المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والاثار، تح أيمن فؤاد السيد ،مؤسسة الفرقان للتراث الاسلامي ، لندن ، د . ط ،١٣٢٤هـ /٢..٣م ، السفر الأول، ص٥١٨ .– ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم): مفرج الكروب، ج٤، ص ١٦ والتي تليها . – ابن الوردي (زين الدين عمر): تاريخ ابن الوردي، ج٢، –ص ١٣٤ . – ابن الفرات (ناصر الدين محمد) : م٥، ج١، ص ٢٥٠ . – ابن العميد (السكين جريس): أخبار الأيوبيين ،

النيل حيث واجهت مصر مجاعة واستوردت الطعام[٤٢٩]جميع هذه الأمورحدَّت من نشاطه، وربما من صموده وقدرته، وأدت إلى أن يقوم الكامل بعرض الصلح على الصليبيين في ذي الحجة من سنة ٦١٦هـ/شباط ١٢١٩م، وكان مضمون هذا العرض أن يُعيد الكامل للصليبيين كافة الأراضي التي كانت في حوزتهم قبل فتوحات صلاح الدين الأيوبي عدا قلعتي الكرك و الشوبك[٤٣٠]

ص ١١ . –النويري: نهاية الأرب وفنون الأدب ، ج٢٩ ،ص٨ .– المختصر في أخبار البشر،ج٢، ص ٢١٦. - بردج (أنتوني) : تاريخ الحروب الصليبية ، ص٢٤٩ .

[٤٢٨] . أما الظروف الخارجية، فقد بدأ ظهور الخطر المغولي على العالم الإسلامي سنة ٦١٥هـ/ ١٢١٨م بالازدياد، للاطلاع على هذا الموضوع أنظر ابن الأثير : ج١٢، ص ٢٣٣ – ٢٦١ .– ابن واصل : ج٤، ص ٢٤. . – ابن العماد (أبو الفلاح عبد الحي بن علي بن محمد): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ٨أجزاء، القاهرة، ١٣٤.–١٣٥١هـ ،ج٥، ص ٦٥ – ابن كثير : (عماد الدين أبو النداء إسماعيل بن عمر ت٧٧٤هـ/١٣٧٣م): البداية والنهاية في التاريخ، ١٤ جزء، مطبعة السعادة، القاهرة ١٣٥١هـ، الجزء ١٤، ص ٨٦.

– ابن الوردي : ج٢، ص ١٣٤ .

– الذهبي (الحافظ شمس الدين أبو عبد الله الذهبي ت٧٤٦هـ/١٣٤٥م): دول الإسلام، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤.٥هـ/١٩٨٥م، ص ٣٢٩ .

– اليافعي اليميني المكي (الإمام أبي محمد عبد الله بن اسعد بن علي بن سليمان): مرأة الحنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تح خليل المنصور، ٤ أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج٤، ص ٣٠ .

[٤٢٩] . بردج (أنتوني) : تاريخ الحروب الصليبية ، ص٢٤٩ .

٥٣٠–الكرك: اسم محرف عن السريانية كاركو Karko التي تعني حصن، وقد بنيت هذه القلعة سنة ٥٣٦هـ/١١٤١م . ٥٤٧هـ/١١٥٢م) بناها ساقي الملك الصليبي فولك انجو ٥٢٦هـ/ ١١٣١م . ٥٣٩هـ/١١٤٤م، وكان اسمه باين وهي قلعة حصينة في طرف الشام من نواحي البلقاء وتقع على سن جبل عال تحيط بها الأودية من جميع الجهات عدا الربض، أنظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، مصدر سالف، ج٤، ص ٢٦٣، ويقال إنه كان دير للروم وبه فواكه كثيرة وعيون وآبار وهي أعمال قلعة الشوبك، انظر شمس الدين الأنصاري: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ص ٢١٣، وترجع أهمية هاتين القلعتين إلى وقوعهما في جنوب الشام، حيث ملتقى التجارة وحركة المرور بين الشام والعراق ومصر والجزيرة العربية، وقد استعادهما صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م انظر العماد الأصفهاني: الفتح القسي في الفتح القدسي ص ٥٩ والتي تليها ، وعن مضمون عرض الكامل أنظر : – Vitry:op.cit,p124-124.

والشوبك هي قلعة قديمة حصينة تقع تقريباً من الكرك في جنوب بلاد الشام استردها المسلمون من الصليبيين سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م، وأضيفت إلى الكرك فأصبحتا إمارة في عهد الأيوبيين، دعيت إمارة الكرك والشوبك، أنظر: ياقوت معجم البلدان، ج٣، ص ٤٢٠.، ابن الأثير (أبو الحسن علي): الكامل في التاريخ، م١٠ ، ص ٥٩.

وعقد هدنة بين المسلمين ، والصليبيين لمدة ثلاثين سنة ، وذلك مقابل الجلاء عن دمياط، فماذا كانت ردة فعل الصليبيين؟ عقد القادة الصليبيون مجلساً حربياً للتشاور ومناقشة عرض الكامل محمد، وفي هذا المجلس اختلفت الآراء حول قبول عرض الكامل أو رفضه ، فقد وافق الملك يوحنا دي بريين وأيده الفرسان الفرنسيون، وعساكر مملكة بيت المقدس ولم يوافق عليه النائب البابوي ٠

الخلاف حول طروحات الكامل محمد للصلح :

بيلاجيوس ، ورجال الدين ، وفرسان الداوية و الإسبتارية ، والإيطاليون، طالبوا بكافة مملكة بيت المقدس بما فيها الكرك والشوبك لأنهم كانوا يرون أن من المستحيل الاحتفاظ ببيت المقدس دون

ويقول أبو الفداء الشوبك بفتح الشين، وسكون الواو وباء موحدة مفتوحة وكاف في الآخر، وهي بلد صغير كثير البساتين، وغالب سكانه من النصارى، وهو شرقي الغور وهو على طرف الشام من جهة الحجاز، وينبع من ذيل قلعتها عينان إحداها عن يمين القلعة والأخرى عن يسارها كالعينين للوجه، وتخترقان بلدتها ومنهما تشرب بساتينها، وهي في واد من غربي البلد وفواكهها من المشمش وغيره مفضلة وتنقل إلى ديار مصر وقلعتها مبنية بالحجر الأبيض، وهي على تل مرتفع مطل على االغور من شرقية ، أنظر : تقويم البلدان، –ص ٢٤٦ والتي تليا. .

قلعتي الكرك والشوبك نظراً لأهميتها العسكرية[٤٣١]. وانتهى الأمر برفض العرض الكاملي، لكن السؤال المهم لماذا قبل يوحنا دي بريين ومعه الفرنسيون العرض فيما رفضه بيلاجيوس والإيطاليون ؟ لتسهيل الإجابة عن هذا السؤال نقسمه إلى عناصره الأساسية ، فنقول: يوحنا دي بريين ملك القدس لم يكن يرى في نفسه إلا وصياً على مملكة القدس التي استولى عليها صلاح الدين، ولم يبق منها إلا القليل ، عكّا وبعض القلاع، فإن استطاع يوحنا أن يعيد بقية أراضي المملكة بما فيها القدس التي لم يستطع إعادتها ريتشارد قلب الأسد وفيليب أُغسطس ومعهم الكثير من القادة والبارونات. فإنه بذلك يكون قد سطَّر اسمه في التاريخ بأنه استعاد ما أخذه صلاح الدين من الدولة الصليبية، وهذا كسب معنوي كبير سيؤدي بالضرورة إلى أن يكون ملكاً مكرساً لهذه المملكة. أما الفرنسيون فأيّدوا يوحنا دي بريين _ ربّما _ انطلاقاً من العداء المسبق الكامن في نفوسهم للبابوية الذي كما أسلفنا حرم فيليب أُغسطس ملك فرنسا وابنه لويس من الحصول على أطماعهم في بريطانيا والممتلكات البريطانية في فرنسا.

الطرف الثاني المندوب البابوي رفض عرض الكامل، فكيف يمكن أن نفسر ذلك ؟ فالبابوية رأس الكنيسة التي أرسلت الحملة من أجل استعادة القدس ، وما تمثل من رموز دينية (ضريح السيد المسيح ، كنيسة القيامة)، وكل شبر من الأرض يمثل رمزاً معيناً ، فكيف يرفض المندوب البابوي أن تُعاد إليهم هذه الرموز حقاً إنه أمر محيّر، لكن هذه الحيرة تزول عندما نقرأ سفر هذا الرجل وتاريخه وأعماله، فهو الذي سجن الرهبان والقساوسة الأرثوذكس، وأغلق الكنائس الخاصة بهم، ثم إن بيلاجيوس لا يريد أن يوافق على ما وافق عليه ملك القدس صاحب السلطة الزمنية الذي من المفترض أن يكون قائد الجيش الصليبي في هذه الحملة ، بل أراد أن يثبت وفي هذه المنطقة أحقية الكنيسة في القيادة، هذا من جهة ومن جهة ثانية ربما إنه كان مقتنعاً أن سقوط

---

[٤٣١] . ويندوفر (روجرأف) : ورود التاريخ، مصدر سالف، ص ٧٧٢ – تاريخ هرقل: مؤلف مجهول، مصدر سالف، ص ٣٤. – بالار(ميشيل) : الحملات الصليبية والشرق اللاتيني من القرن١١. القرن١٤م، مرجع سالف، ص ٢٢٤. باركر (ارنست) : الحروب الصليبية ،ص١٠٨ .– بردج (أنتوني) : تاريخ الحروب الصليبية ، ص٢٤٩ . – رنسيمان (ستيفن) : تاريخ الحروب الصليبية ،ج٢ ، ص٢٨٤ .

مصر في أيدي الصليبيين سيؤسس لسقوط كل الممالك الإسلامية في بلاد الشام[٤٣٢]، ومن جانب ثالث ربما اعتقد أن المسيحيين في شبة الجزيرة الأيبيرية سيواصلون انتصاراتهم على المسلمين، وأنهم سيعبرون مضيق جبل طارق، ويسيطرون على المغرب والجهات الشرقية فيه حتى مصر، أما عن الجهة الشمالية ، فقد اعتقد بيلاجيوس أن دولة أرمينا أضحت دولة قوية، وبمقدورها السيطرة على شمال الشام والعراق[٤٣٣]، إضافة إلى أنه عوّل كثيراًعلى مساعدات قد تُقدم له من المغول[٤٣٤] أو ربما اعتقد أن جنكيز خان سيقوم بهاجمة الدولة الأيوبية إضافة إلى الآمال الكبيرة بقدوم فردريك الثاني ملك ألمانيا وصقليه على رأس جيوش جرارة[٤٣٥] ،وبذلك تهيأ له أنه سينجح في الاستيلاء على مصر كلها والممالك الإسلامية في الشام، وسيتمكن من نشر الديانة المسيحية على البسيطة كلها[٤٣٦]، إضافة إلى أن السيطرة على مصبات النيل سوف تؤمن لهم أنشط مراكز تجارة المشرق دمياط والاسكندرية[٤٣٧] . ولجاك دي فتري رأي آخر لرفض بيلاجيوس لطرح الكامل فقد قال: إن بيلاجيوس كان يشك في نوايا المسلمين وبأن الملك الكامل تقدم بعرضه لخداع

---

[٤٣٢] . فابري (فليكس) : جولات الراهب الدومينيكاني فيليكس فابري ورحلاته ، ص ٣٥٨ – السيد (عبد اللطيف عبد الهادي)، الحروب الصليبية من خلال كتابات جاك دي فتري خلال النصف الأول من القرن الثالث عشر ، ص ١٧٦.١٧٥. – باركر (ارنست) : الحروب الصليبية ، ص١.٨ . – رنسيمان (ستيفن) : تاريخ الحروب الصليبية ،ج٢ ، ص٢٨٩ .

[٤٣٣] .Duggan.A The story of crusades1.97-1291 London 1963. 217-218. .

[٤٣٤] بدأ ظهور الخطر المغولي على العالم سنة ٦١٥هـ/١٢١٨م .ولمزيد من التفاصيل من ذلك أنظر : –ابن اللأثير : الكامل في التاريخ ،ج١٢ ،ص٢٣٣–٢٦١ . –ابن واصل : مفرج الكروب ،ج٤ ،ص٣٤–٦٤ . –ابن العماد : شذرات الذهب ،ج٥ ، ص٦٥ . – ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص٨٦ . –ابن الوردي : ج٢،ص١٣٧ . – أبو شامه : الروضتين ،ج٣ ،ص١٢١ . –المقريزي : السلوك ، ج١، ص١٨٥

[٤٣٥] - رنسيمان (ستيفن) : تاريخ الحروب الصليبية ، ج٢ ، ص٢٩٠

.

[٤٣٦] . المقريزي (تقي الدين أبو العباس احمد بن علي): السلوك، مصدر سالف، ج١، ق١، ص ٢.٣ .– grousset :op ,cit p2.9, .

[٤٣٧] - بالار (ميشيل) : الحملات الصليبية والشرق اللاتيني من القردي عشر إلى القرن الرابع عشر الميلادي ، ص٢٢٥ .

الصليبيين وبث الشقاق والفرقة فيما بينهم للتغلب عليهم، ومن جهة أخرى إذا وافق الصليبيون على العرض الكاملي عندها على الجيش الصليبي أن يعود من حيث أتى باعتباره قد حقق أهدافه ، وعندها يصبح بإمكان المسلمين استعادة ما أعطوه في عرضهم[٤٣٨]. أما لماذا رفض الإيطاليون طرح لكامل محمد ؟ فيمكن تفسيره بما يلي:

هم يعلمون بالتجارة ويهمهم بالمقام الأول مصالحهم التجارية ، ومصر بموقعها الاستراتيجي الهام ، ومرور الطرق التجارية منها وأسواقها الكبيرة وأراضيها العامرة بالخيرات لا تعادلها أسواق أخرى[٤٣٩]، لذلك من الطبيعي ألا يقبلوا شروطاً تقضي بعدم بقائهم في دمياط ، وهي المدينة التجارية الهامة بالنسبة لهم للنفاذ إلى داخل مصر[٤٤٠]، أما الجاليات التجارية الإيطالية فقد كانت تدرك أهمية مصر التجارية ، فهي ملتقى التجارة القادمة من الهند، والشرق الأقصى بالإضافة إلى أنّ بقاءهم في دمياط سيعفيهم من دفع الضرائب المقررة على بضائعهم والتي تتراوح بين ٢٠-٣٥٪ من قيمة هذه البضائع[٤٤١].

وهناك رأي آخر حول رفض هؤلاء جميعاً لطرح الكامل محمد، وهو أن هؤلاء قد شعروا بأن القوات الصليبية قد استطاعت أن تستولي على برج السلسلة ، واستطاعت أن تنتقل بسهولة إلى الضفة الشرقية ، واستطاعت أن تهزم قوات الكامل محمد في أكثر من معركة وأنَّ قوات الكامل مع قياداتها تعاني من ضعف الروح المعنوية ، وأن هناك شيئاً ما في الجبهة الإسلامية يؤدي إلى هذا الانهيار[٤٤٢] إضافة إلى الأمل في وصول فردريك الثاني على رأس جيش كبير، كل ذلك صوّر لهؤلاء القادة أن إمكانية الاستيلاء على مصر أمر ممكن ، ويبدو أنهم أيضاً تأثروا ببعض

---

[٤٣٨] . جاك دي فتري، تاريخ القدس ، ص ١٢٥ والتي تليها. .

[٤٣٩] . بنيامين التطيلي: رحلة بنيامين التطيلي ، ص ١٧٤ والتي تليها.

[٤٤٠] . زيادة (ممد مصطفى): حملة لويس التاسع على مصر، ص ٥٠ .

[٤٤١] . ربيع (حسنين محمد): النظم المالية قي مصر زمن الأيوبيين ، مطبعة جامعة القاهرة ، مصر ، د . ط ،١٣٨١هـ /١٩٦١م ، ص ٥١ .- بالار (ميشيل) : الحملات الصليبية والشرق اللاتيني من القرن الحادي عشر إلى القرن الرابع عشر الميلادي ،ص٢٢٤والتي تليها .

[٤٤٢] – غروسيه (رينيه) : ملحمة الحروب الصليبية ، ص٢٥١ .

النبوءات الكاذبة التي راجت على الألسن متوقعة انتصار الحملة الصليبية، وانهيار الإسلام، يقول أولفر بادربورن: قبل الاستيلاء على دمياط استرعى انتباهنا كتاب كتب بالعربية قال فيه مصنفه: إنه لم يكن يهودياً ولا مسيحياً ولا مسلماً ، وأيّاً كان هو ، فلقد تنبأ بالشرور التي أنزل صلاح الدين بها على الشعب الصليبي في تدميره لطبرية وفي نصره على الصليبيين عندما أخذ ملك القدس أسيراً (في حطين) ، ومعه أمراؤه واحتل المدينة المقدسة، وهدم عسقلان وتنبأ أيضاً كيف أنه حاول الاستيلاء على صور غير أنه لم ينجح وتنبأ أيضاً بدمار حدائق مدينة دمياط وبساتين نخيلها الأمر الذي رأيناه يتحقق عندما تفحّصنا هذا الكتاب من خلال المترجم، ولقد أضاف: بأن دمياط سوف يتم الاستيلاء عليها من قبل الصليبيين وتنبأ بأشياء أخرى تؤدي إلى بهجة المسيحيين وذل المسلمين[٤٤٣]. لكن السؤال المهم الذي يتعلق بالأهداف المعلنة لهذه الحملة ولكل الحملات ، ألا وهو استعادة القدس لا بل كل ما أخذه صلاح الدين . هل هذا الرفض يتطابق مع الهدف المعلن ؟ أم أن هناك أهدافاً أخرى ؟ وهل الهدف المعلن واجهة تختبئ خلفها الأهداف الحقيقية للحملة الصليبية؟ وهناك سؤال آخر طَرْحُه مشروع وهو هل أثّر رفض بيلاجيوس ومؤيديه لما طرحه الكامل محمد على سير العمليات الحربية ونتائجها، نقول: يبدو أن رفض هؤلاء كان جزئياً لأنهم قبلوا الهدنة المؤقتة، لكن الملاحظ أن عدداً كبيراً من الصليبيين عدّوا هذه الهدنة فرصة موائمة للعودة إلى بلادهم ، إذ غادر فريق منهم في أواخر جمادى الآخرة سنة ٦١٦ للهجرة/ أوائل أيلول ١٢١٩م، كما أقلعت إثنتا عشر سفينة أخرى محملة بالعساكر في بداية العام نفسه منتصف أيلول ١٢١٩، وهذه خسارة كبيرة كان يمكن أن تؤثر في نتائج العمليات الحربية لولا وصول السيد الفرنسي سوفاري ميلون مع جماعته تقلهم عشر سفن جنوية[٤٤٤] وبعد استيلاء القوات الصليبية على معسكرالمسلمين في العادلية (هذا الاستيلاء جاء

---

[٤٤٣] . بادربورن (أليفر أف) : تاريخ دمياط ، ص ٦٧ . – تاريخ هرقل : مصدر سالف ، ص ٣٣٢ . – بردج (أنتوني) : تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٢٤٩. – غروسيه (رينيه) : ملحمة الحروب الصليبية ، ص ٢٥١ .

[٤٤٤] . فتري(جاك دي): رسائل جاك دي فتري ، ص ١١١. .

نتيجة لمؤامرة ابن المشطوب التي أضعفت جبهة المسلمين ، وقوَّتْ الصليبيين) ٠ اشتد الخلاف والجدل بين ملك القدس يوحنا بريين والنائب البابوي بيلاجيوس على الخطة الحربية التي سوف يتم اتخاذها إذ دافع الملك يوحنا عن رأيه في هذا الموضوع ورأى ضرورة تشديد الحصار على مدينة دمياط حتى يتم استسلامها ورأى أن الحصار بإرادة الرب لا بد أنه سيؤدي إلى نتيجة ، وأنه إذا ما تُركت دمياط وفُك الحصار عنها، فإنها تشكل خطراً كبيراً على مؤخرة القوات الصليبية التي سوف تقوم بمهاجمة معسكرات المسلمين في أماكن أخرى، وأنه مجرد ترك المدينة وشأنها _ وهي مفتاح مصر _ هو إخفاق سيجر إلى إخفاق آخر يجر إلى هزيمة كاملة للجيوش الصليبية بينما أصرَّ بيلاجيوس على شن هجوم على معسكر المسلمين في فارسكور[٤٤٥] الموجودة على مقربة من معسكرات الصليبيين وأنهم عندما يحققون نصراً على السلطان يمكنهم السيطرة على دمياط التي لن تجد من يدافع عنها[٤٤٦]، وساند رجال الدين وبعض الفرسان النائب البابوي وساند بعضهم الآخر الملك يوحنا دي بريين ولكن في النهاية ساد الرأي المساند للنائب البابوي واتهموا كل من يعارضهم بالجبن والخيانة وبناء على ذلك قرَّر بيلاجيوس الهجوم على معسكر الكامل في فارسكور[٤٤٧]، وتحدد يوم الهجوم في ١٦ جمادى الآخرة سنة٦١٦ هـ الموافق /٢٩آب ١٢١٩م حيث خرجت قوات الصليبيين كتلة واحدة على الرغم من كل الاختلافات وخفّوا باتجاه معسكر السلطان الذي وجدوه فارغاً تقريباً من العساكر[٤٤٨]، وعند ذلك تشاور الصليبيون في خطة العمل المقبلة، فرأى يوحنا بريين المبيت في المعسكر الإسلامي والعودة إلى المعسكرات في صباح اليوم التالي، ووافقت الأغلبية على هذا الرأي[٤٤٩]، لكن الصليبيين فوجئوا بهجوم مضاد أصابهم بذعر شديد بحيث إن الذين كانوا متحمسين للهجوم قبل قليل أصبحوا شديد الرغبة

---

[٤٤٥] - فارسكور : من قرى مصر قرب دمياط حسب ما جاء عند ياقوت الحموي في معجم البلدان أما البغدادي فقال : انها تقع بين مصر ودمياط من كورة الدهقلية أنظر : مراصد الاطلاع على أماكن الأمكنه والبقاع ، ج٣ ،ص١٠١٣.

[٤٤٦] . ويندوفر (روجر أوف): ورود التاريخ، ص ٧٦٧ .

[٤٤٧] . تاريخ هرقل، مؤلف مجهول، مصدر سالف، ٣٤٠ .

[٤٤٨] . بادربورن (أو ليفرأف) : تاريخ دمياط، ص ٦٥ .

[٤٤٩] . تاريخ هرقل، ص ٣٤١.

بالإنسحاب السريع ، وبدأ الصليبيون في تراجع منتظم واختلت صفوفهم مما أدى إلى وقوع إصابات كبيرة وأُسر الكثير منهم وانتهت هذه المعركة بعودة المسلمين إلى معسكرهم منتصرين أما سبب خسارة الصليبيين لهذه المعركة كان ازدواج القيادة الصليبية والصراع بين الملك يوحنا دي بريين والمندوب البابوي بالإضافة إلى أنّ الفرسان الصليبيين لم يقوموا بواجبهم بالشكل المطلوب وبخاصة القبارصة، ولكن جاك دي فتري يرجع أسباب هذه الهزيمة إلى غضب الله على الصليبيين الذين عصوه واختلفوا فذهبت ريحهم ، وأن الله أراد أن يذل كبرياء هؤلاء وغرورهم بهذه الهزيمة[٤٥٠]. وعلى الرغم من كل هذا إلا أن الكامل كان لا زال يأمل في الصلح ، لكن هذه المرة من مركز القوة بعد الانتصار الكبير الذي حققته قوته على الأرض، معتقداً أن الهزيمة الأخيرة التي لحقت بالصليبيين تجعلهم يغيّرون من موقفهم ويصبحون أكثر ليونة[٤٥١]، فجدد العرض على الصليبيين مع إغراءات أخرى مضمونها إعادة القدس وبيت لحم والناصرة وصليب الصلبوت وجميع الأسرى وإعطائهم المال اللازم لإعادة ترميم أسوار القدس وباقي القلاع التي خرّبها المعظم، وأن يتم احتساب تكاليف الإصلاح هذه من قِبل لجنة رباعية تتألف من اثنين من المسلمين واثنين من الصليبيين واقترح أن تعقد هدنة مدتها ثلاثون سنة وذلك مقابل الجلاء عن دمياط وضماناً لتنفيذ ذلك تعهد الكامل بتقديم عشرين رهينة من أقاربه يحتفظ بها الصليبيون مدة سنتين يتم خلالهما تحصين القلاع التي خُربت[٤٥٢]، لكن بقي مصراً على الاحتفاظ بالكرك والشوبك التي سيدفع عنها إتاوة مقدارها ١٢ ألف دينار[٤٥٣]، ومجدداً انقسم المعسكر الصليبي إلى قسمين: الملك يوحنا بريين ومعه الفرنسيون والألمان والإنكليز ومعهم فرسان التيوتون وافقوا على هذا العرض[٤٥٤]، والقسم الثاني ضم النائب البابوي بيلاجيوس ومعه بطريرك القدس رفضوا هذا العرض إنطلاقاً من أنه لا يجوز ومن الخطأ التوصل إلى إتفاق مع الكفار ووقفت إلى جانبهما

---

٤٥٠ . فتري (جاك دي) : تاريخ القدس، ص ١.٣. .

٤٥١ . . Grousset : op , cit , P226.

٤٥٢ . تاريخ هرقل، مصدر سالف، ص ٣٤١. –ابن واصل : مفرج الكروب ،ج٤ ، ص٩٥ .

٤٥٣ . بادربورن(أولفر) : تاريخ دمياط، ص ١٦٣ – ويندوفر (روجر اوف) : ورود التاريخ ص ٧٧٢.

٤٥٤ . فابري (فيليكس) : جولات الراهب فيليكس فابري ورحلاته، ص ٣٥٧ .

الطوائف الدينية العسكرية الداوية والإسبتارية الذين كانوا يملكون قلعتي الكرك والشوبك من قبل، وعَدّوا أن الانسحاب من أمام دمياط يعد عاراً على كل فارس، وبلغ النزاع بين الطرفين من المرارة الشيء الكثير إذ اعتقد مرة أخرى أسقف عكّا جاك دي فتري أن السلطان لم يبذل ما بذل إلا ليثير النزاعات والصراعات بين الصليبين[٤٥٥]. لكن بالنتيجة تم رفض هذا العرض مرة أخرى، ثم عاود الملك الكامل بتقديمه مرة ثالثة مع إغراءات أخرى . لكن أيضاً رفضت ، ويرجع رفض الصليبيين مرة أخرى للأسباب التي سلف ذكرها بالإضافة إلى إحساسهم بما تقاسيه مدينة دمياط من وطأة الحصار، وتوقعهم لوصول إمدادات من الغرب[٤٥٦]، وكان قد وصل إلى المعسكر الصليبي رجل متدين اسمه فرانسيس الأسيزي[٤٥٧]، ولاحظ انقسام قيادة الجيوش الصليبية حول عرض الكامل إلى قسمين كما أسلفنا، وكان هو شخصياً من أنصار قبول الصلح ، لذلك رأى أن يقوم بمبادرة فردية لتحقيق حلم الصليبيين لاستعادة القدس، ولكن على طريقته، وذلك بأن يحاول إدخال الكامل في الديانة المسيحية على المذهب الكاثوليكي ، فاستأذن بيلاجيوس في هذا الموضوع ، فسمح له ، وذهب إلى معسكر الكامل ، وهناك حاول جاهداً ، لكن الكامل استمع له في دماثة المتمكن من عقيدته المحترم للعقائد الأخرى[٤٥٨] ، ولم يحصل فرنسيس على نتيجة ،

---

[٤٥٥] . جاك دي فتري: رسائل جاك دي فتري، ص ٧٤ .- بادربورن(أولفر) : تاريخ دمياط، ص ٦٣ . – تاريخ هرقل، ص ٣٢٤. .

[٤٥٦] . Setton : op, cit , vol II , p 415 . as: Duggan(.A) The story of crusades 1.97-1291. london 1963 .p216.– غروسيه (رينيه) : ملحمة الحروب الصليبية ، ص٢٥١ . وعن حصار دمياط أنظر: – ابن كثير : البداية والنهاية ، ج٧ ، ص٨٥ .– ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، م١٠ ، ص٣٢٨ .ابن واصل : مفرج الكروب ، ج٤ ، ص ٣٢–٣٣ . – ابو شامة :الذيل على الروضتين ، ص١٧٦ .

[٤٥٧] . فرانسيس الأسّيزي: هو جيوفاني فرانسكو برناردو ولد في أسيز في أيطاليا عام ١١٨١م أو ١١٨٢م، ومات عام ١٢٢٦م، وهو مؤسس جماعة الإخوان الفرنسيسكان، أنظر: Setton op cit,vol II p.415 .ولم يكن فرانسيس الأسيزي هو صاحب فكرة تحويل الشرق الاسلامي إلى شرق مسيحي بل سبقه اليها جاك دي فتري عندما عمل على تعميد الاطفال الأسرى .أنظر : vitry : op , cit –, p31

[٤٥٨] . setton : op, cit ,p415. – عمران، محمود سعيد: الحملة الصليبية الخامسة، مرجع سابق، ص ٢٦٦ والتي تليها – رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، مرجع سالف، ج٣، ص ٢٨٨. .– زيادة (محمد مصطفى) :حملة لويس التاسع على مصر ، ص٥٠ –٥١ .

ورأى أن كل الأطراف مصرّة على الحرب، فذهب إلى الشام، ولم يعد إلى معسكر الصليبيين، والسبب في ذلك كما يقول تاريخ هرقل : عدم رضاه عن الخطايا وأعمال السوء التي انتشرت في صفوف الجيش الصليبي[٤٥٩]، وبذلك لم يستطع إقناع أي من الطرفين بوجهة نظره، وإذا كانت من نتيجة لرفض الصليبيين لما عرض عليهم فإنها تدل على أن هدف الحملة كان الاستيلاء على مصر بكاملها وليس دمياط فقط لما لمصرمن أهمية إقتصادية وتجارية وموقع استراتيجي مهم ، و لأن بيلاجيوس رأى أن مصر هي مفتاح الاستيلاء على الأراضي المقدسة وأنه بدون الاستيلاء على مصر حتى ولو استرجع القدس، فإن المسلمين سوف يعيدونها، لذلك رأيناه مصراً على إخضاع مصر ليدلل من جديد على قدرة رجل الدين على قيادة الحملات العسكرية من جهة وعلى القدرة على الرؤية الاستراتيجية الصحيحة من جهة ثانية ، ولو استطاع تحقيق ذلك . أي الاستيلاء على مصر . لكان قد حقق ما لم يستطع تحقيقه كبار الملوك والقادة العسكريين وخاصة في الحملة الثالثة[٤٦٠]. ومن الجدير ذكره أن بعض الصليبيين استغلوا مدة الهدوء التي رافقت مناقشة عروض الكامل للصلح إلى العودة إلى أوطانهم ، فقد رحل البعض في منتصف جمادى الآخرة سنة ٦١٦هـ الموافق/ أول أيلول ١٢١٩م، كما رحل بعضهم في أوائل رجب من العام نفسه /منتصف أيلول ١٢١٩م، وهذا يدل على انخفاض الروح الصليبية ، فانعكس الأمر على الحياة العامة في المعسكر الصليبي إهمالاً في تنفيذ الواجبات العامة ، وترك الحراسة ، ورفض الأوامر والتراخي والكسلً حتى أن الفرسان كرسوا أنفسهم للمتعة مهملين حتى الواجبات الدينية بينما انصرف عامة الناس إلى الحانات وإلى التعامل بالخداع والحيلً[٤٦١]، مما اضطر القادة إلى إصدار أوامر صارمة تتعلق بتشديد الحراسة واليقظة والحذر وفرضت الجزاءات الرادعة على كل شخص يهمل في الدفاع عن المعسكر ، وتقرر أن يعاقب بالإعدام حراس الخنادق

---

[٤٥٩] . مؤلف مجهول، مصدر سالف، ص ٣٤٨.

[٤٦٠] . بادربورن (أوليفر): تاريخ دمياط ص٦٧٠.

[٤٦١] . بادربورن (أولفر) : تاريخ دمياط، ص ٦٧. . – رنسيمان (ستيفن): تاريخ الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ١٦٠. – عمران (محمود) :الحملة الصليبية الخامسة ، ص٢٦٨ .

الذين يتركون أماكن عملهم دون مبرر قانوني كما تقرر أيضاً العقاب بالسجن للفرسان الذين لا يقومون بما يكلفون به وبعقوبات أخرى مختلفة كقطع الأيدي ومصادرة الأموال، وقد وزعت هذه الأوامر على معسكر الصليبين وأذيعت على كافة الجنود[٤٦٢]. كما ازدادت في تلك الآونة حدة الخلاف بين الملك الصليبي يوحنا بريين والنائب البابوي، وكان لهذا الصراع أبلغ الأثر في إخفاق الحملة بأكملها[٤٦٣] والذي عجل به تأخر وصول الإمدادات من الغرب الأوروبي ، على الرغم من وصول بعض القوات الفرنسية والإنكليزية التي كانت محمولة على ما يقرب من عشر سفن جنوية[٤٦٤]حيث سدت النقص الكبير الذي نتج عن عودة بعض الصليبيين إلى أوربا، كما ساعدت على استعادة الروح الصليبية وشجعتهم على مواصلة لا بل تشديد الحصار على مدينة دمياط[٤٦٥]، ويبدو أن ظروف المسلمين لم تكن أحسن حالاً، فالنجدات التي طلبها الكامل من الشرق لم تصل، واشتد خطر المغول ونشب صراع بين الأفضل والأشرف على امتلاك حلب[٤٦٦]، لهذه الأسباب جدد الكامل عرض الصلح قبيل سقوط دمياط ، وكعادة الصليبيين فقد عقدوا مجلساً حربياً للتشاور، واختلفوا مرة أخرى وجرى صراع مرير بين الطرفين التقليديين بيلاجيوس وكان معه هذه المرة بطريرك القدس وفرسان الداوية والإيطاليون، والطرف الثاني ملك القدس يوحنا بريين، وانتهى الأمر كما في المرات السابقة برفض عرض الصلح للمرة الرابعة ، وكان الإدعاء دائماً أن الملك الكامل إنما يعرض هذا الصلح كحيلة منه لنشر بذور الشقاق بين صفوف القوات الصليبية ، الأمر الذي سيجر على الصليبيين أكبر المخاطر[٤٦٧]، وكان الحظ حليف بيلاجيوس حيث سقطت دمياط بعد حصار استمر زمنياً يقارب سنة ونصف السنة، وكان سقوطها في ٢٥

---

٤٦٢ . .Setton : op , cit,vol II , P417.

٤٦٣– بادربورن (أولفر): تاريخ دمياط، ص ٦٧. . –. king : op , cit , p192 .

٤٦٤ . Duggan. A The story of Crusades 1.97-1291 London 1963 p216.

٤٦٥ . ابن خلدون (عبد الرحمن) : تاريخ ابن خلدون ، ج٥ ،ص٣٤٢ . – ابن واصل : ج٤ ، ص٢٣ . – ويندوفر(روجر أوف): ورود التاريخ، ص ٧٧٠ ,

٤٦٦ . ويندوفر (روجر أوف) : ورود التاريخ ، ص ٤٢٠ .

٤٦٧ . فتري (جاك دي): تاريخ القدس، ص ١٥٢ . – بردج (أنتوني) : تاريخ الحروب الصليبية، ص ٢٤٩. .

شعبان سنة ٦١٦هـ الموافق /٥ تشرين الثاني ١٢١٩م[٤٦٨]، حيث يقول أولفر بادربورن في كتابه تاريخ دمياطً في الخامس من تشرين الثاني وفي ظل حكم مخلص العالم ومع بيلاجيوس أسقف ألبانو، وهو ينفذ بحماسة ويقظة عمله كنائب للكرسي الرسولي ، جرى الاستيلاء على دمياط بدون مقاومة ودون أن تسلب بعنف وبدون فوضى وضجة ، وهكذا يجب أن يعزى النصر إلى ابن الرب وحدهً وبعدما استولى الصليبيون على دمياط شرعوا في عمارتها وتحصينها، وبالغوا في ذلك حتى إنها أصبحت لا ترام[٤٦٩]، وكتبوا إلى البابا هونوريوس الثالث يطلبون منه إرسال المزيد من القوات إلى مصر، ولاسيّما أن بعض الصليبيين كانوا يفكرون بالعودة إلى أوطانهم ، وأنهم أوفوا بنذرهم وحجهم، والبعض الآخر أصابه الكسل والخمول، وبخاصة بعدما شهد معسكر الصليبيين صراعات إبَّان استيلائهم على دمياط .

---

[٤٦٨] . بادربورن (أولفر): تاريخ دمياط، ص ١٦٤ .- بردج(أنتوني) : تاريخ الحروب الصليبية ص ٢٤٩ . – رنسيمان (ستيفين) : تاريخ الحروب الصليبية، ج٣، ص ٢٨٧ . . وحول سقوط دمياط تعددت الآراء في المصادر العربية، فيروي بعضها أن قلة الأقوات في المدينة أفقدت الأمل عند من فيها باستمرار القتال، فسلمت بالأمان، ويضيف ابن أيبك إلى أن الملك الكامل عجز عن نصرة أهل دمياط فراسلوه فتمادى عليهم بالجواب فراسلوا الفرنجة لتسليم المدينة، أنظر ابن أيبك (أبو بكر بن عبد الله): كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق سعيد عاشور، القاهرة، ١٣١٩هـ/١٩٧٢م، ج٧، ص ١٨٧ .(الجزء السابع: هو الدر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب). .

أما البعض الآخر فرأى أن الصليبيين حاصروا دمياط، حتى نفذ ما عند أهلها من الأقوات وأشتد الغلاء بها وفتك الجوع بأهلها واسترقوا أهلها، أنظر ابن واصل (محمد بن سالم): مفرج الكروب، ج٤، –ص ٣٢ والتي تليها – ابن الشحنة (محب الدين محمد بن محمد بن محمود): روضة المناظر في أخبار الأوائل والأواخر، المطبعة الأزهرية، القاهرة، ط١، ١٣.٣هـ/١٨٨٦م، ص ٢١٠ .

– ابن الوردي (عمر ت ٧٨٩هـ/١٣٨٧م) تتمة المختصر في أخبار البشر، تحقيق أحمد رفت البدراوي، دار المعرفة، بيروت ط١، ١٣٨٩هـ/١٩٧.م، ج٢، ص ١٣٧ . – المقريزي، السلوك، ج١، ق١، ص ٣.١ والخطط، ج١، ص ٣٥٢ . – النويري (شهاب الدين أحمد): نهاية الأرب، ج٢٩، ص ٩٤. .

[٤٦٩] . ابن الأثير (أبو الحسن علي): الكامل في التاريخ، م١٠ ، ص ٢١٣. .

الصراعات الصليبية بعد الاستيلاء على دمياط

كان من المفترض أن يكون للنصر الذي تحقق للصليبيين في استيلاءهم على دمياط عاملاً مهماً في رفع الروح الصليبية ، والمعنوية عندهم . غير أنَّ ما كان على الأرض أمر آخر، فالاستيلاء على المدينة أوجد خلافات جديدة عمقت الانقسامات التي كانت قائمة أصلاً، فملك القدس يوحنا بريين سانده بارونات القدس والداوية والإسبتارية والتيوتون الذين عدوا المدينة بعد الاستيلاء عليها جزءً من مملكة القدس التي جاءت القوات الصليبية أصلاً لاستعادة ما فقد من أراضيها ولتساعدها وتثبت وجودها في المنطقة، أما النائب البابوي بيلاجيوس فكان يرى أن المدينة يجب أن تكون تابعة للبابوية مباشرة سيما وأن له دور كبير في الاستيلاء عليها، وهذا ما اعترف به يوحنا بريين في رسالته للبابا هونوريوس الثالث، عندما قال له في الخطاب المؤرخ في ٢ رمضان ٦١٦هـ الموافق/ ١١ تشرين الثاني ١٢١٩م: أن المندوب البابوي كان له أكبر الأثر في سقوط دمياط لكن يبدو أن الملك يوحنا كان مغلوباً على أمره ليكتب كل ذلك ، على الرغم من كل الخلافات أو ربما أضيف اسمه إضافة إلى الخطاب الذي ربما كان مرسلاً من النائب البابوي نفسه ، وبالتالي يرى بيلاجيوس أن تكون دمياط تابعة لسلطة الكنيسة، وأن تكون من ممتلكاتها ، لأن الكنيسة كما يقول بيلاجيوس كان لها أكبر الأثر في سقوط دمياط ، ورفض كل محاولات يوحنا دي برين وحججه التي تقدم بها لتكون المدينة تابعة له يحكمها بشكل مباشر أو غير مباشر[٤٧٠]، ووقف رجال الدين إلى جانب بيلاجيوس وروّجوا لأفكاره وعملوا جاهدين لإظهار أن سقوط دمياط كان بمجهود خاص من النائب البابوي ، ونتيجة لشجاعته وقدرته الشخصية . والسؤال المهم: لماذا أصّر المندوب البابوبي بيلاجيوس أن تكون دمياط تابعة للكنيسة مباشرة ؟ الإجابة عن هذا السؤال ربما يتعلق برغبة البابوية في إعادة الحركة الصليبية إلى قبضتها من جديد، وبالتالي عودة هيبة الكنيسة والكرسي البابوي إلى سابق عهده عند

---

[٤٧٠] . Setton : op,cit,p 419 . – Vitry : op,cit, p125. . – تاريخ هرقل، مصدر سالف ، ص ٣٤١. . – غروسيه (رينيه) : ملحمة الحروب الصليبية ، ص٢٥١ .

المسيحيين بعد أن كان المجتمع المسيحي قد فقد ثقته في القرارات البابوية والمشاريع الصليبية بعد تدمير العاصمة البيزنطية سنة ٦٠١هـ/١٢٠٤م من جهة ، ومن جهة ثانية نتيجة ضياع بيت المقدس من الصليبيين سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م على يد صلاح الدين الأيوبي ، وعجز البابوية عن إعداد حملة صليبية لاسترجاعها ، لكن الرأي العام لم يقف إلى جانب النائب البابوي ، ورجال الدين هذه المرة ، وسنناقش فيما بعد كيف أن الأكثرية وقفوا هذه المرة إلى جانب يوحنا بريين ، وهكذا بدأ الصراع يتمظهر بين الرجلين بوضوح معبرين عما يكنه كل واحد منهما من كراهية وحقد للآخر، وتأزّمت الأمور بينهما، وهدد الملك يوحنا بترك الحملة والعودة إلى عكّا[٤٧١]، وفعلاً بدأ الملك في إعداد السفن لتنفيذ ذلك ، ولم تقف الأمور عند هذا الحد ، ولكن تطورت وتعقدت وبدأت الاشتباكات وأعمال الشغب بين أطراف الصراع ومؤيديهم ، فكان يؤيد الملك يوحنا دي بريين بارونات القدس والداوية والإسبتارية والتيوتون ، بينما أيد النائب البابوي الإيطاليون ، وشن الطرفان على بعضهم الحملات القاسية وكالوا لبعضهم الاتهامات المرعبة، فها هو أولفر بادر بورن يقول إنَّ الرب أعطانا دمياط ضد إرادة بعض المسيحيين المزيفين، وإلى هذا أضاف من مخزن كرمه حصن تنيس الذي لا يرام....، وإن الرب سيصيب هؤلاء بالخجل والخزي ، هؤلاء الذين تسلموا جوائز الملك الأعظم من كنيسته ، وقاموا بالقتال بلا مبالاة أو تراجعوا قبل الوقت المحدد[٤٧٢]، وحمل أولفر على الملك يوحنا بأنه كان يحاول سرقة جهد الآخرين منوهاً إلى مطلبه في دمياط ، وأنه عمل على تدمير النفوس العامرة بمحبة الصليب من خلال الصراعات التي افتعلها مع المندوب البابوي ، الأمر الذي أدى إلى أن يعود الكثير ممن جاؤوا يحملون شارة الصليب ونفوسهم وقلوبهم تنبض بمحبة الرب مصممين على استعادة الأرض المقدسة، لكن هذه الصراعات المفتعلة جعلتهم يحنثون بقسمهم ويعودون قبل أن يوفوا بعهودهم[٤٧٣]، أما عن الدوافع

---

[٤٧١] . بادربورن (أوليفر) : تاريخ دمياط ، ص ٧٧ والتي تليها . – رونسيان (ستيفن) : تاريخ الحروب الصليبية ، ج٣، ص ٢٨٩ . – غروسيه (رينيه) : ملحمة الحروب الصليبية ، ص٢٥٢ .

[٤٧٢] . بادربورن (أوليفر) : تاريخ دمياط ، ص ٧٧ .

[٤٧٣] . بادربورن (أوليفر) : تاريخ دمياط ، ص ٧٨ .

لكل طرف، فإن بارونات القدس ، والإسبتارية ، والداوية وقفوا إلى جانب يوحنا بريين لأن مصالحهم وأملاكهم في مملكة القدس. وأن إضافة دمياط إليها سيزيد من هذه الأملاك ويضيف امتيازات أخرى ، أما الإيطاليون فكان كل همهم المحافظة على مصالحهم التجارية ، وامتيازاتهم هناك إضافة إلى أنّ دمياط كانت درّة التجارة العالمية أنذاك . وباعتبارهم وقفوا إلى جانب النائب البابوي في الصراع الدائر بين الرجلين فقد خافوا أن يقوم ملك القدس بسلبهم امتيازاتهم. لذلك أصروا على الوقوف إلى جانب النائب البابوي ، وانتهى الأمر بعرض المشكلة على البابا هونوريوس الثالث[٤٧٤]الذي أدرك أن وقوفه مع نائبه سيقسم الحملة ، ويتسبب في إخفاقها وخسارتها الأكيدة ، (ولكن ذلك تحقق فعلاً، وإن تأخّر إلى حين، بسبب انقسام القيادة الصليبية ، وصراعها على كل شيء مما كان له أسوأ الأثر عليهم وخدمة أكيدة ولو بصورة غير مباشرة لأعدائهم). بينما يقول غروسيه إن البابا بعد أن اطلع على حيثيات الموضوع وقف ضد النائب البابوي وأنّبه[٤٧٥] ، ولم يقف موضوع الخلاف هذا عند حد قيادة الحملة وزعامتها، بل تعداها إلى مشاكل وصراعات أخرى ومنها مشكلة توزيع الغنائم التي حصلوا عليها من دمياط وهذا ما سيتم البحث فيه في الفقرة التالية .

الصراع على توزيع الغنائم:

وجد الصليبيون في دمياط كميات كبيرة من الذهب ، والفضة ، والأقمشة ، والحرير والألبسة الثمينة ، وأنواع أخرى من السلع الوافرة التي لا تقدر بثمن ، ونظراً لطبيعة المدينة و حصارها الذي استمر زمنا طويلا أدى إلى انتشارالروائح الكريهة المنبعثة من جثث القتلى وغير ذلك .

---

[٤٧٤] . المصدر السالف ، ص ٧٨ .

٤٧٥- غروسيه (رينيه) : ملحمة الحروب الصليبية ، ص٢٥٥ .

قرروا وجوب حمل هذه الأسلاب إلى خارج المدينة ومن ثم تقسيمها بالتساوي بين المنتصرين ، وهذا الأمر صدر عن النائب البابوي تحت طائلة الحرمان الكنسي[٤٧٦].

لكن الإيطاليين لم يقتنعوا بنصيبهم من هذه الغنائم ، وشهروا سلاحهم ضد جنود الحملة بشكل عام وضد الجنود الفرنسيين بشكل خاص.

ولا نجد تفسيراً لذلك سوى كونهم من أتباع النائب البابوي ، حيث ساندوه في مواقفه وأرائه على عكس الفرنسيين الذين وقفوا إلى جانب الملك يوحنا دي بريين ، واعتقدوا أن بيلاجيوس سيساندهم في مواقفهم هذا ، لكنه لم يفعل ، بل وقف ضدهم ، مما زاد في حنق الإيطاليين وجعلهم ينفجرون في ثورة حادة ضد القيادة والقوات الصليبية[٤٧٧]. عندها حاول المندوب البابوي البحث عن حل لتهدئة خواطر الإيطاليين وغضبهم وفي الوقت نفسه يعيد الأمن والنظام إلى معسكر الصليبيين . ولكن غضبة هؤلاء كانت كبيرة لدرجة أن حياة بيلاجيوس صارت مهددة بالخطر. لذلك عمل على إخراج القوات الفرنسية من المدينة حتى لا تشتبك مع القوات الإيطالية ، وعقد مجلسا للتشاور ، وإيجاد حل لهذه المسألة الخطيرة ، فقرر الزعماء أمرين: **الأمر الأول:** طرد القوات الإيطالية من المدينة وتولى هذه المهمة في ٢٨ شوال سنة ٦١٦هـ/ ٦ كانون أول ١٢٢٠م الملك الصليبي يوحنا دي بريين ، والداوية تساندهم القوات الفرنسية ، وفرسان الإسبتارية[٤٧٨].

الأمر الثاني : إعادة النظر في توزيع الغنائم ، وفي هذه المرة كان نصيب الإيطاليين أكثر. وانتهى أمر هذه الفضائح على حد تعبير جاك دي فتري[٤٧٩].

لكن السؤال المهمّ : هل انتهى الصراع بين الصليبيين بانتهاء الصراع على توزيع الغنائم ؟

---

[٤٧٦] – وندوفر (روجرأف) : ورود التاريخ ، ص ٧٧٤ .

[٤٧٧] . . Vitry : History of The orient,p 499–

[٤٧٨] . Setton: op,cit,p42..

[٤٧٩] . فتري (جاك دي) : رسائل جاك دي فتري، مصدر سالف ص ١٢٧. .

ببساطة نقول بعد ذلك ظهر صراع جديد ، لكن من الأهمية بمكان أنه لم يكن شكلياً أو على أمور بسيطة ، بل يتعلق بالاستراتيجية العسكرية التي كان يتوقف عليها هدف الحملة الرئيس ، تمثّل هذا الصراع بمشكلة الزحف باتجاه القاهرة .

الصراع حول خطة العمل العسكري الجديدة:

وكان أيضاً من الصراعات الهامة الجديدة التي أفصحت عن نفسها بعد الاستيلاء على دمياط الصراع على خطة العمل العسكري اللاحقة .

هل سيتابع الجيش الصليبي زحفه باتجاه القاهرة ، والاستيلاء على مصر؟ ثم التهيؤ منها للزحف باتجاه الأرض المقدسة ، أو الوقوف ودراسة الموقف من جديد ، وتحصين المواقع المستولى عليها حتى لا تتعرض قوات الصليبيين فيها للخسارة ؟

هل القوات الصليبية الحالية كاملة بالعدد والعُدّة وجاهزة لمتابعة القتال؟ أم أنها بحاجة لإمدادات جديدة؟

النائب البابوي كان يرى أنه بفضل الامتيازات التي تم الحصول عليها ، وبسبب النعمة العظيمة ، والوفرة الربانية ، بات كل شيء كافياً للقيام بإجراء مناقشات والاتفاق على خطة العمل المستقبلية ، وأنه يشعر بالأسف والحزن لأن الوقت كان يمر من دون فائدة ، وبناءً عليه استدعى النائب البابوي القادة إلى اجتماع ، وكان هو المتحدث، وكان مضمون خطابه آنذاك موجهاً إلى ضرورة الإفادة من الظروف التي تحققت حيث الروح المعنوية العالية والجهوزية القتالية المتميزة . لذلك لابد من الزحف باتجاه القاهرة من دون إبطاء ، وأن ذلك سيشكل فخراً للصليبيين جميعاً أينما كانوا ، وحث الكُسالى على النهوض إلى العمل والإقلاع عن التراخي والإهمال[٤٨٠]. بينما رأى الملك يوحنا أن على الصليبيين أن يقوموا بعدة أعمال وبأولويات مدروسة بعناية منها :

[٤٨٠] . بادربورن (أولفر) : تاريخ دمياط ، ص ٩٧ .

أولاً. زيادة تحصينات مدينة دمياط ، والمعسكر الصليبي الذي أقاموه حولها ، وهذه التحصينات سيكون لها أثر كبير في حماية المدينة ، والدفاع عنها من قبل الحامية التي ستبقى فيها عندما تغادرها القوات الصليبية مستقبلاً .

ثانياً. كانت القوات الصليبية بحاجة إلى أن تأخذ قسطاً من الراحة بعد المعاناة الكبيرة التي عانوها في أثناء حصار دمياط ، لإعادة ترتيب أوضاعهم وتعويض الخسائر، وربما أرادوا انتظار وصول فردريك الثاني إمبراطور ألمانيا الذي وُعدوا به ، حيث كان البابا في رسائله دائماً يؤكد أن فردريك الثاني سيأتي على رأس جيش كبير[٤٨١]، ولاسيّما أن الصليبيين قد قاسوا الكثير مذ وصولهم إلى دمياط سنة ٦١٥ هـ/ ١٢١٨م حتى سقوط المدينة في قبضتهم في ٢٥ شعبان سنة ٦١٦ هـ/ ٥ تشرين الثاني ١٢١٩م.

ثالثاً. إن المسافة بين القاهرة ، ودمياط طويلة ، وهي حوالي مئة ميل، وهي مليئة بالقنوات والترع المتفرعة عن الفرع الشرقي للنيل (فرع دمياط) وهو طريق لم يكن معروفاً للصليبيين، وهو أمر يحتاج إلى دراسة وإلى استطلاع وإلى إجراءات يجب تنفيذها ، لأنه لا يجوز التفريط بما تحقق من نجاحات وانتصارات.

وتغلب رأي يوحنا بريين على رأي النائب بيلاجيوس، الأمر الذي لم يغفره بيلاجيوس للملك . وقد وقف إلى جانب الملك جميع القادة ، ولاسيّما الفرنسيين الذين وقفوا بقوة ، وجرأة ضد توجيهات النائب البابوي ، وتمكنوا من التأثير على الأيرل أوف أرندل[٤٨٢]، وأقنعوه بالوقوف إلى جانب الملك يوحنا، وأكدوا له أن أفكار بيلاجيوس سوف تدمر الجيوش الصليبية ، وأن غايته الوحيدة هي إثبات نفسه كقائد عسكري وديني للقوات الصليبية (أي يجمع بين السلطتين الدينية والدنيوية) ، وفعلاً هذا ما حصل، حيث تصرف بيلاجيوس بتجاهل كامل لوجود الملك فساءت العلاقة بين الرجلين لدرجة لم يعد الملك قائداً للحملة ، وفرض سلطة فاقت سلطة الملك وعلت عليها علوّاً

---

[٤٨١] . Donovvan : op , cit ,p 75-79 –

[٤٨٢] . الأيرل: هو قائد بين الأنكليز، ومن أعظم النبلاء مكانة بين الألمان، أنظر بادربورن (أوليفر أف): تاريخ دمياط، ص ٨٠ .

كبيرا بحيث أدرك القاصي والداني الإهانات الموجهة ليوحنا دي بريين . لكن كبرياءه منعته من الدخول في صراعات مع النائب البابوي ، وفضَّل العودة إلى عكّا ، وبدأ يتحّين الفرصة ليجد فيها لنفسه عذراً يتذرع به لمغادرة الأراضي المصرية ، وهذا ما شكَّل سبباً إضافياًلصراعات جديدة ستحصل ، وهذا ما سيتم بحثه في الفقرة التالة .

عودة الملك يوحنا دي بريين إلى عكّا

وعلى كل حال وجد الملك يوحنا هنا المسوِّغ ، وقرر العودة إلى عكّا ، وطلب الإذن بذلك من البابا هونوريوس الثالث الذي وافق على ذلك .

أما عن موافقة البابا على عودة الملك إلى عكّا ، والذي من المفترض كما أسلفنا أنة القائد العام للجيوش الصليبية يفسرها معرفة البابا للصراع الكبير الذي كان يدور بين مبعوثه بيلاجيوس وبين الملك يوحنا بريين ، وأراد أن يحل هذا الصراع لمصلحة بيلاجيوس وبخاصّة بعد أن تم إخطار سيد الكنيسة بما استطاع مبعوثه أن يحققه من نجاحات ، وباعتراف الملك يوحنا بريين نفسه كما ذكر جاك دي فتري برسالته إلى البابا ، ومن خلال الرسالة التي أرسلها الملك نفسه إلى البابا والتي تم التحدث عنها من قبل (دور النائب البابوي في الاستيلاء على دمياط) .

أما عن الأسباب الحقيقة لعودة ملك القدس إلى عكّا ، فقد تعددت الآراء حول ذلك، ويمكن إجمالها بما يلي:

أولاً. قيام الملك المعظم بمهاجمة قيسارية[٤٨٣] وعتليت[٤٨٤]:

إدَّعى يوحنا بريين أن المملكة بكاملها أصبحت في خطر، ولذلك يجب أن يعود للدفاع عنها[٤٨٥]، ولا نرجح هذا الرأي ، لأن الملك كان قد طلب الرحيل إلى عكّا قبل ذلك ، وحصل على الإذن من البابا هونوريوس الثالث في شباط ٦١٧هـ/١٢٢٠م، وكان المعظم آنذاك لم يهاجم بعد قيسارية وعتليت ، حيث قام بمهاجمتهما بعد حصول الملك يوحنا بريين على الاذن بالمغادرة بشهر كامل أي في شهر آذار من سنة ٦١٧هـ/١٢٢٠م[٤٨٦]

---

[٤٨٣] - قيساريه بالفتح ثم السكون وسين مهملة وبعد الألف راء وياء مشددة بلدة على ساحل بحر الشام في فلسطين بينها وبين طبريا ثلاثة أيام. أنظر البغدادي : مراصد الاطلاع ،ج٣ ،ص١٣٩ .

٥٨٤ – عتليت: على ساحل البحر الأبيض المتوسط، جنوب مدينة حيفا، وهي مدينة صغيرة تبعد عن حيفا ٢. كم، وهي أقدم مرافئ فلسطين، فيها موقع أثري معروف، وحصن جبلي، يعود إلى سنة ١٢١٨م.

[٤٨٥] . وندوفر(روجر أف) : ورود التاريخ، ص ٧٨٦ .

[٤٨٦] بادربورن (أوليفر أف) : تاريخ دمياط ، ص٨٧ . – رنسيمان (ستيفن) : تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص٢٩٣ .

ثانياً. وحسب ما جاء عند أوليفر بادربورن، وتاريخ هرقل ، أن الملك يوحنا بريين ترك دمياط وعاد إلى عكّا بسبب مشكلة الوراثة في أرمينياالصغرى[٤٨٧] . حيث إنه سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م توفي الملك الأرميني ليو ، ولم يكن له وريث سوى ابنتين اثنتين هما ستيفاني وإزابيلا . ستيفاني تزوجها الملك يوحنا دي بريين ، وكان ذلك في سنة ٦١٠هـ/١٢١٤م[٤٨٨] وإزابيلا تزوجها فيليب ابن بوهيموند الرابع الذي حكم طرابلس وأنطاكية متجاهلاً حقوق ابن أخيه ريموند روبين ابن أخت الملك ليو، الذي عين ريموند وريثاً له في يوم ما ، لكنه قبل وفاته عدل عن هذا التعيين ، وعين آدم أف جاستون وريثاً له، لكن آدم هذا توفي أيضاً حيث قتلته جماعة من الطائفة الإسماعيلية[٤٨٩] ، وبالتالي أصبح الصراع على وراثة العرش محصوراً في ثلاثة اتجاهات:

الاتجاه الأول : بنات الملك ، وأزواجهن .

الاتجاه الثاني: يتمحور حول ريموند روبين الذي كان قد عين وريثاً للعرش من قبل الملك الأرميني ليو.

الاتجاه الثالث: ظهر ابن عم للملك ليو، هو كونستانس ، وبدأ يطالب بالعرش أيضاً[٤٩٠].

وبدأ الصراع على وراثة العرش ، وسارت الأمور على الشكل التالي:

أما ريموند فقد جاء إلى دمياط ، وقابل النائب البابوي بيلاجيوس ، وطلب دعمه وتأييده .الأمر الذي لاقى الاستجابة الكاملة من المندوب البابوي ، ربما يفسر ذلك إلى محاولة بيلاجيوس بسط نفوذه في الشام كما بسط نفوذه في دمياط ، لكن ذلك لم يتم ، لأن كونستانس كان قد سيطر

---

٤٨٧ . بادربورن (أوليفر) : تاريخ دمياط، ص ٨١ .

٤٨٨- *ابن واصل (محمد بن سالم) : مفرج الكروب ، ج٣ ، ص٢٢٣ -. Smith (Riley) : the kingths , op , cit ,p158*

٤٨٩. تاريخ هرقل : مصدر سالف، ص ٣٤٧.

على الوضع ، وزجَّ ريموند في السجن، وبقي فيه حتى مات، أما عن الاتجاه الآخر، وهو بنات ليو وأزواجهن، فسار على الشكل التالي: استطاع كونستانس تدبير مؤامرة انتهت بالقبض على زوج إزابيلا وزجّه بالسجن، وقام كونستانس بتزويج إيزابيلا من ابنه هيثوم، وبذلك انتهت مطالبة فيليب بالعرش[٤٩١]، ولم يبق من المنافسين سوى يوحنا دي بريين، لذلك استغل هذه المسألة في قضية الرحيل من دمياط ، وغادرها فعلاً في ٢٢ محرم سنة ٦١٧هـ الموافق /٢٩ آذار ١٢٢٠، لكن زوجته ستيفاني ماتت في ذلك الوقت بسببه ، (أشيع أن المعاملة[٤٩٢] السيئة التي كانت تتلقاها من زوجها هي التي أدّت إلى موتها)، ثم مات ابنهما بعد موت أمه بقليل ، وكان عمره آنذاك أربع سنوات ، وبذلك سقط حق يوحنا دي بريين في المطالبة بعرش أرمينا[٤٩٣]، لكن من المفيد أن نذكر أن عودة الملك يوحنا دي بريين كان يتمناها بيلاجيوس حتى يسيطر ، ويبسط نفوذه على الحملة . لكن حصلت أمور لم تكن في الحسبان. فقد غادر عدد كبير من الصليبيين دمياط في الوقت الذي كانت الحملة في أمس الحاجة لهم ولاسيّما أنّ عدداً منهم رجال دين وفرسان شجعان من إيطاليا ، فأصيبت الحملة بنوع من خيبة الأمل ، مما اضطر بيلاجيوس إلى اتخاذ عدد من الإجراءات حاول من خلالها الحد من عودة الصليبيين إلى أوطانهم، فقد حظر حركة السفن ، ومنعها من العودة ، لكن حتى هذا التصرف أعطى مفعولاً سلبياً ، ولم يأت بالنتائج التي تمناها النائب البابوي، فقد غادر عدد كبير من الصليبيين لاعتقادهم أنهم أوفوا بعهودهم ، ولم يعبؤوا بقرارات بيلاجيوس ، ولا بتهديداته لهم بالحرمان ، إضافة إلى ذلك فإن الحظر الذي فرضه على حركة السفن الصليبية استغله الملك الكامل ، وأرسل سفنه إلى البحر المتوسط ، وهي آمنة من أن تتعرض لها السفن الصليبية ، ووصلت إلى قبرص وهاجمتها ودمرتها وأسرت الكثير من الصليبيين[٤٩٤]، إضافة إلى ذلك فإن هذا الحظر حرم القوات الصليبية

---

[٤٩١] . تاريخ هرقل : ص٣٤٧ .

[٤٩٢] . .King : op,cit,p164.

[٤٩٣] . رنسيمان (ستيفن) : تاريخ الحروب الصليبية ، ج٢ ، ص ١٦٥ .

[٤٩٤] . فتري (جاك دي) : تاريخ الشرق ، ص ١٣٨ .

في دمياط من الإمدادات التي كانت ترد إليها من قبرص[٤٩٥]، في الوقت نفسه لم تؤد إلى ما أراده النائب البابوي من المحافظة على الجيوش الصليبية ، ومنع عودتها إلى البلاد التي جاءت منها ، وفي الوقت نفسه يبدو أن الأخبار التي وصلت إلى البابا هونوريوس الثالث عن انتصارات الجيوش الصليبية والاستيلاء على دمياط قد أعطت أكلها، واستجاب البابا للنداءات التي أرسلت إليه من الشرق من أجل تعزيز القوات الصليبية[٤٩٦] هناك حيث:

١. أرسلت قوات إضافية ، ووصلت إلى دمياط في محرم سنة ٦١٧هـ/١٢٢٠م، ومعهم بعض رجال الدين ، وعلى رأسهم هنري رئيس أساقفة ميلانو.
٢. وصلت رسل الإمبراطور فردريك الثاني ، لكن لم تحمل أنباء جيدة، حيث أكدوا أن الإمبراطور لا يستطيع في الوقت الحالي الالتحاق بالحملة لظروف خاصة في أوروبا[٤٩٧].
٣. وصلت بعض الإمدادات من ألمانيا ، وفرنسا عززت قوة الجيوش الصليبية.
٤. تم إرسال مبلغ كبير من المال الذي جمع في أوروبا لصالح الحملة ، وعززه البابا هونوريوس الثالث ببعض الأموال الأخرى من الخزانة البابوية[٤٩٨].

عززت هذه الإجراءات القوات الصليبية وقوتها . لكن القوات الجديدة التي وصلت إلى دمياط اقترحت على النائب البابوي بيلاجيوس الهجوم على القوات الإسلامية ، غير أن الفرسان الموالين لملك القدس قد عارضوا ، وأعلنوا أن الملك وحده هو من يقرر الهجوم وأنه هو القائد لهذه الحملة ، وأنهم يلتزمون بذلك قولاً َ ، وعملاً[٤٩٩]، وهكذا تجدد الصراع بعد أن كان بيلاجيوس قد عدّ نفسه أنه القائد الوحيد لهذه الحملة ، وبخاصة بعد أن خلا له الجو بعد رحيل يوحنا دي بريين إلى عكّا

---

[٤٩٥] . بادربورن (أوليفر اف) : تاريخ دمياط ، ص ٦٧-٨٢ .

[٤٩٦] . ابن واصل : مفرج الكروب، ج ٤، ص ٩٣ .

[٤٩٧] . بادربورن (أوليفر أف) : المصدر السالف ، ص ٦١.

[٤٩٨]-ويندوفر(روجر أف) : ورود التاريخ ، ص٣٤٤ . – عمران (محمود سعيد) : الحملة الصليبية الخامسة ، ص١٤٩ .

- بادربون (أوليفر أف) : تاريخ دمياط ، مصدر سالف ، ص ٨

[٤٩٩] . بادربون (أوليفر أف) : تاريخ دمياط ، مصدر سالف ، ص ٨١.

، ومرّة أُخرى أحبطت مخططات بيلاجيوس نتيجة للصراع القائم بينه وبين الفرسان الموالين لملك القدس .

الزحف باتجاه القاهرة والصراعات الداخلية

في أعقاب ذلك وصلت إمدادات أخرى في جمادى الأولى سنة ٦١٧هـ/١٢٢٠م على ثماني سفن أرسلها فردريك الثاني ، وحاول بيلاجيوس استغلال هذه القوات لتنفيذ مشروعه القديم ، وهو الزحف باتجاه القاهرة ، والاستيلاء عليها . لكن هذه المرة وقف ضده بالإضافة إلى الفرسان الموالين لملك القدس القوات الفرنسية ، والإنكليزية ، والألمانية ، ولم يستطع أيضاً تحقيق افكاره ، وأخفق مشروعه ، وبقيت القوات الصليبية زمناً ليس قصيراً دون عمل أصيب فيها المعسكر الصليبي بالانحلال ، وهربت خلاله أعداد كبيرة من الصليبيين إلى المعسكرات الإسلامية ، ودخلت في الديانة الإسلامية على حد قول أحد شهود العيان في هذه الحملة وهو جاك دي فتري الذي صور هذه الحالة في خطاب أرسله إلى البابا هونوريوس الثالث في الثالث والعشرين من صفر سنة ٦١٨هـ /١٣ نيسان ١٢٢١م[٥٠٠] ، سجل فيه أعمال الغش والسرقة وقتل الصليبيين بعضهم لبعضهم الآخر. كما صور أيضاً انتشار لعب الميسر وصرف الأموال على الغانيات ، والحياة الفاسقة لم يردعهم عنها شيء حتى الحرمان الكنسي وأضاف أن الصليبيين قد تفرغوا للسكر، والعربدة ، وصورهم بأنهم أصبحوا مجرمين مارقين خونة[٥٠١]، لذلك حاول بيلاجيوس إتخاذ إجراءات إضافية لإعادة الروح الصليبية العالية إلى قواته ، وتحقق له ذلك عندما سمع أنباء مفادها أن الإمبراطور فردريك الثاني سيتوجه إلى الشرق على رأس جحافل جرارة . وكان ذلك الوعد سنة ٦١٥هـ/١٢١٨م، وقد أرسل أمامه دوق بافاريا[٥٠٢] الذي وصل إلى دمياط في ربيع الأول سنة ٦١٨هـ/ أيار ١٢٢١م مع أسقف باسو ، وغيره من الشخصيات الكبيرة والتي

---

[٥٠٠] . فتري (جاك دي) : تاريخ الشرق ، مصدر سالف ، ص١٤٠ .

[٥٠١] . المصدر السالف ، ص ١٣٩ والتي تليها . – بادربورن (أوليفر) : تاريخ دمياط ، ص ٨٣.

[٥٠٢] . دوق بافاريا : هو لويس أف وتلز باخ شغل منصب دوق بافاريا وكونت بالاتين في الراين (٦١١ هـ/١٢١٤. ٦٢٨ هـ/١٢٣١م)، أنظر : بادربورن (أوليفر أف) : تاريخ دمياط ، ص٨٤ .

كان لها أكبر الأثر في تعزيز الروح الصليبية[٥٠٣]، وعيّن الإمبراطور دوق بافاريا نائباً عنه حتى وصوله شخصيا . لذلك تباحث النائب البابوي مع دوق بافاريا في شؤون الحرب والحملة كما أثار معه موضوع الهجوم على معسكر السلطان ، وذلك قبل أن تفيض مياه نهر النيل ، لكن الكثير من الصليبيين كانوا قد غادروا دمياط لسبب أو لآخر، فقد عاد هرمان فون سالزا رئيس هيئة الفرسان التيوتون ، ومعه خمسمئة من الفرسان ، ويبدوا أن هرمان رحل مع الملك يوحنا دي بريين إلى عكّا[٥٠٤]، وعاد أيضاً بطرس أف مونتياجو رئيس أساقفة ميلانو[٥٠٥]. أما عن سبب هذه العودة فهي وكالعادة انقسام المعسكر الصليبي حول ما طرحه النائب البابوي من أفكار ، ولكن الملفت للنظر تأييد دوق بافاريا لما طرحه بيلاجيوس متجاهلاً تعليمات الإمبراطور فردريك بألايقوم بأعمال عسكرية حتى يحضر الإمبراطور نفسه ، لكن وبالنتيجة تعطلت مشاريع بيلاجيوس الأمر الذي أدى إلى أن يقوم بإرسال سفارة رسمية إلى الملك يوحنا بريين لتطلب منه العودة إلى دمياط[٥٠٦]، لكن يوحنا دي بريين لم يوافق على الحضور إلا بعد أن حصل على تأكيدات من بيلاجيوس بإعطائه مزيداً من السلطة على الجيش الصليبي[٥٠٧]، وهذا يدحض ما جاء في تاريخ هرقل من أن نواب الملك الذين تركهم في دمياط هم الذين أرسلوا إليه للحضور[٥٠٨]، بل إن بيلاجيوس هو الذي دعاه ، وبالنتيجة فإن الملك قرر العودة إلى دمياط بعد أن شعر النائب البابوي أن كل الأفكار التي طرحها والمشاريع التي عمل من أجلها باءت إلى الاخفاق وأن الموقف يسوء باستمرار الأمر الذي عمق الخلافات ، وأدى الى المزيد من الصراع بين الطرفين وهذا ما سيتم بحثه في الفقرة التالية .

---

٥٠٣ . أولريخ أف أندخ . دسين أسقف باسو سنة ٦١٥هـ/١٢١٥م، وقد توفي في رحلة عودته لوطنه في ١١ شوال سنة ٦١٨ هـ/٣٠ تشرين أول ١٢٢١م.

٥٠٤ . عمران (محمود سعيد) : الحملة الصليبية الخامسة ، ص ٣١١ .

٥٠٥ ، وندوفر (روجراف) : ورود التاريخ ، ص ٧٨٨ .

٥٠٦ . فابري (فيليكس) : جولات فيليكس فابري ورحلاته ، ص٣٥٨ .

٥٠٧ . عمران (محمود سعيد) : الحملة الصليبية الخامسة ، ص ٣١٢.

٥٠٨ . تاريخ هرقل : ص ٣٤٧.

عودة الملك يوحنا دي بريين إلى دمياط وتجدد الصراع مع المندوب البابوي :

وبالنتيجة فإن الملك قرَّر العودة إلى دمياط حتى لا يتعرض في يوم من الأيام للّوم من القيادة الصليبية[٥٠٩] الدينية منها ، أو الدنيوية ، سواء نجحت الحملة أم لم تنجح . فهو ملك القدس ، وهو المسؤول في كل الحالات ، ولأنه في حال نجاح الحملة سَيُجيّر الفضل والنجاح للمندوب البابوي بيلاجيوس ، وسيقال إنه هوالذي خطّط وهو الذي نفذ ، وفي حال الهزيمة ستقع المسؤولية على الملك ، لأنه ترك القوات الصليبية وشأنها، لذلك قرر العودة إلى دمياط. فجهز ثلاث سفن ، وأبحر من عكّا إلى قبرص ، ومنها إلى دمياط[٥١٠]. لكن النائب البابوي لم ينتظر عودة الملك، بل أخذ يُعد الجيش للهجوم على القوات الإسلامية المرابطة في المنصورة، وفعلاً تحرك الجيش من دمياط إلى معسكره في العادلية استعداداً للعمليات الحربية الجديدة، واستعمل بيلاجيوس كافة الطرق والأساليب بما فيها التهديد بالحرمان الكنسي لكل من يخالف تعليماته في تنفيذ هذه التحركات ، وظل الجيش الصليبي كما يقول كتاب تاريخ هرقل أربعة أيام ينتظر وصول الملك يوحنا دي بريين الذي وصل في ١٥ جمادي الأولى سنة ٦١٨هـ/ الموافق للسابع من تموز عام ١٢٢١م[٥١١]، وهنا بدأ الصراع من جديد بينه وبين بيلاجيوس لاختلاف وجهات النظر بين الرجلين حول فكرة التقدم جنوباً باتجاه القاهرة . غذَّى ذلك ما حمله كل واحد منهما من حقد للاخر ! كيف لا وبريق السلطة يخطف الأبصار ويعمي القلوب التي في الصدور ؟ وبالنتيجة عُقد مجلس حربي للتشاور ، وكانت وجهات النظر على الشكل التالي: **الطرف الأول** بيلاجيوس: أصر على فكرته وهي الزحف باتجاه القاهرة، والاستيلاء عليها منطلقاً من أن الأهداف الصليبية لا تتحقق إلا بتحطيم القوة الإسلامية ، وهذا بدوره لا يتحقق إلا بالاستيلاء على القاهرة ، وبالتالي مصر المركز الرئيس لإمداد المسلمين بأسباب القوة والمنعة ، إضافة إلى أن الفرصة الآن مواتية

---

٥٠٩ . . Grousset : op ,cit ,p263

٥١٠ . تاريخ هرقل : ص ٣٤٩.

٥١١ . . تاريخ هرقل : ص ٣٥.

، فالقوات الصليبية في أحسن أحوالها بالعدد والعتاد ، والروح الصليبية والمعنوية في الذروة ، وهي جاهزة من كل النواحي .

الطرف الثاني: ملك القدس الذي عارض الزحف باتجاه القاهرة، وتعلل بأسباب أهمها:

١ – ضرورة الانتظار حتى وصول الإمبراطور فردريك الثاني إلى دمياط[٥١٢].

٢ – أن الظروف المناخية لا تسمح بالقيام بمثل هذا العمل ، فقد ظهرت بوادر فيضان نهرالنيل ، وهذا سيسبب الكثير من المتاعب للقوات الصليبية أقلها فقدان الاتصال مع حامية دمياط .

٣ ثم كان هناك أمر آخر يجب الانتباه إليه ، وأخذه بعين التقدير، وهو حتى في حال الانتصار على المسلمين لا تستطيع القوات الصليبية الاحتفاظ بالمناطق الجديدة التي سيتم الاستيلاء عليها ، لأن معظم الصليبين أصبحوا توَّاقين للعودة إلى أوطانهم ، وليس إلى البقاء في مصر.

٤ ثم إن هناك سبباً أَخيراً أقوى من تلك الأسباب السالفة يتعلق بفلسفة الحركة الصليبية ، لا من الوجهة العملية بل من الوجهة النظرية ، وهو أن القوات الصليبية التي جاءت تحت راية الصليب لغزو مصر جاءت من أجل استعادة الأرض المقدسة ، وأن الاستيلاء على دمياط وتنيس قد حقق هذه الغاية من خلال طروحات الكامل محمد للصلح ، وبإعادة القدس وكل ما أخذه صلاح الدين ما عدا الكرك والشوبك الأمر الذي كان يحتّم على الصليبيين قبولها ، لأنها كانت توفر الكثير من الدم والإمكانيات الأخرى ، وفي الوقت نفسه تحقق الغاية والهدف[٥١٣]

ولكن بالنتيجة ساد رأي المندوب البابوي الذي تجاهل كل المسوغات التي ساقها ملك القدس مستغلاً حماس القوات الصليبية التي وصلت مؤخراً من أوربا ، وارتفاع روحها المعنوية واندفاعها

---

[٥١٢] فابري(فيلكس) : جولات فيلكس فابري ورحلاته ، ص ٣.٦.

[٥١٣] . عمران (محمود سعيد) : الحملة الصليبية الخامسة ، ص ٣١٤ والتي تليها .

الذي لا تحده حُدود، ومن أجل تأمين الضبط والسيطرة على المعارضين لأرائه هدد باستعمال الحرمان الكنسي لكل من يخالف آراءه ، أو يقف ضد خطة الزحف باتجاه القاهرة . وعند هذه النقطة رضخ ملك القدس لما أراده بيلاجيوس على الرغم من إدراكه للمخاطر الكبيرة التي ستتعرض لها القوات الصليبية ، وحتى لا يتعرض هو لحرمان الكنيسة التي يحتاج إلى وقوفها إلى جانبه ليستطيع الاستمرار من أجل تحقيق ما خطط له مجمع اللاتيران الرابع منذ ست سنوات . هذا من جهة ومن جهة أخرى إذا لم يرضخ لمطالب المندوب البابوي فإنه سيكون السبب في شق الصف الصليبي ، وستوجه إليه أصابع الاتهام، بالإضافة إلى نقطة أخيرة قد تكون هامة وردت في كتاب تاريخ بطاركة الإسكندرية ، وهي أن الملك كان مضطراً للموافقة لأنه لو استمر في معارضة المندوب البابوي لقتله الصليبيون[٥١٤]. من أجل ذلك وافق ملك القدس يوحنا دي بريين . بل رضخ للأمر الواقع والدليل على ذلك أن الملك لم يترك أية فرصة سانحة إلا وعاد ليدافع عن رأيه ، ويدلل على صوابيته ، وهذا يتضح من خلال ما عرضه يوحنا دي بريين عندما وصلت القوات الصليبية إلى شارمساح[٥١٥] عندما دعا إلى أن يبقَ الجيش الصليبي بقية سنة ٦١٨هـ/١٢٢١م في هذه المنطقة يقوم خلالها بإجراء التحصينات المناسبة ، وزراعة المنطقة من شار مساح إلى دمياط لتؤمن الجيوش الصليبية بما تحتاجه ، وبالتالي تتكون الاستعدادات الحقيقية اللازمة من أجل الزحف باتجاه القاهرة[٥١٦]. لكن المندوب البابوي لم يوافق

---

٥١٤ . Hist part,Alex, p62. – زاباروف (ميخائيل) : الصليبيون في الشرق ، ص ٣٠٠

٥١٥ . شارمساح: هي من القرى القديمة على الضفة الشرقية لفرع ديماط، وهي من كورة الدهقلية بمصر بينها وبين بروه (كفر البطيخ بمركز شربين) أربع فراسخ، وبينها وبين دمياط خمسة فراسخ، أنظر الحموي (ياقوت): معجم البلدان، ٥أجزاء، دار إحياء التراث، بيروت، د.ط، ١٣٩٩هـ/١٩٣٩، ج٣، ص ٣٠٨ . – رمزي (محمد): القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين حتى سنة ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م ٣ أجزاء، مطبعة دار الكتب مطبعة وزارة التربية والتعليم ، القاهرة ، ١٣٧٣هـ /١٩٥٣م ، ج٣ ،ص١٢٣ .٥١٥ . بادربورن(أوليفر) : تاريخ دمياط ، ص ٨٢.

٥١٦. عمران (محمود سعيد): الحملة الصليبية الخامسة على مصر ، ص٣١٧ . ٥١٧

٥١٧– بحر المحلة: يخرج بحر المحلة من فرع مليج عند قرية ضيا الكوم بالقرب من طنطا الواقعة في منتصف الطريق بين مليج الجعفرية ويمر بقرية الهيثم التي يسميها الإدريسي محلة أبي الهيثم، انظر ابن مماتي: (أبو المكارم أسعد بن الخطير أبي أسعد): قوانين الدواوين، جمعه ونشره وعلق عليه عزيز سوريال عطية، القاهرة، طبعة الجمعية الزراعية ، ١٣٦٢هـ/ ١٩٤٣، ص ٢١٨–٢٢١.

٥١٨. بادربورن (أوليفر اف) : تاريخ دمياط ، ص ٨١.

على هذه الاقتراحات ، واتهم الملك بالخيانة ، وفي موضع آخر عندما وصلت القوات الصليبية إلى بحر المحلة[٥١٧]. اقترح يوحنا دي برين على النائب البابوي أن هذا البحر خطير، ويجب حراسته بإحدى السفن الكبيرة إضافة إلى عشر سفن أخرى للتصدي للسفن الإسلامية ، وبذلك تتم حماية مؤخرة القوات الصليبية من أي هجوم ، لكن بيلاجيوس لم يُصغِ إلى ما قاله الملك، لأنه عدّ هذه المنطقه غير صالحة للملاحة[٥١٨]، وكان لذلك أثر سلبي كبير على القوات الصليبية ، حصدت نتائجه فيما بعد ٠

وعلى هذا الحال استعد الطرفان ، وكان ميزان القوى لصالح قوات الكامل التي تعززت بوصول النجدات الكبيرة ، وعلى رأسها الأشرف موسى[٥١٩] والمعظم عيسى[٥٢٠] وقلج أرسلان[٥٢١] ابن الملك المنصور صاحب حماه ، وغيرهم[٥٢٢]. لكن الكامل كان يُضمر في نفسه خوفاً عميقاً من أن يخفق في صد القوات الصليبية ، ويصبح الطريق مفتوحاً إلى القاهرة . لذلك تقدم بعرض آخر

١

[٥١٩] . الأشرف موسى: هو ابن الملك العادل أبي أبكر، توفي في ٤ محرم سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٨م، وكانت وفاته في قلعة دمشق، أنظر سبط ابن الجوزبي: مرآة الزمان، ج٨ ،القسم الثاني، ص ٧١١ . – المقريزي: السلوك، ج١، ص ٢٥٦، ص ٢٥٦ . – ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٥، ص ٣٣.. .

[٥٢٠] . المعظم عيسى: هو ابن الملك العادل بن أبي بكر بن أيوب، توفي سنة ٦٢٥هـ/١٢٢٨م، كان لا يلتفت إلى يرغب فيه الملوك من الأبهة والتعظيم والمدح وغي ذلك، أنظر ترجمته في سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨، ص ٦٤٤ . – ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم): مفرج الكروب، ج٤، ص ٢.٨ . – ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص ٤٩٤ . – المقريزي: السلوك، ج١، ص ٢٢٤ .– ابن الأثير (أبو الحسن علي): الكامل في التاريخ، ج١.، ص ٤٧٣ . – ابن تغري بردي (أبو المحاسن يوسف): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٦، ص ٢٣٧. .

[٥٢٠] – قلج أرسلان: ابن الملك المنصور صاحب حماه ولد سنة ٦٩٩هـ/١٢.٤م .اعتقله عمه الملك الكامل محمد على أثر دخول قلج أرسلان في لعبة الصراع على السلطة وانحيازه إلى الملك الأشرف وكان اعتقاله في أوائل رمضان سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٩م بعد أن حكم حماه تسع سنوات إلا شهرين ثم أطلق سراحه في السنة نفسها وتسلم قلعة بعرين . أنظر:ابن واصل : مفرج الكروب ،ج٤ ، ص٢٦٥ – ٢٧٣ .

[٥٢١] . ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم): مفرج الكروب ، ج٤، ص ٩٢ والتي تليها .– ابن العميد (المكين جرجس): أخبار الأيوبيين، ص ١٢ .

– اليافعي اليمني الملكي (الإمام أبي محمد عبد الله): مرآة الحنان وعبرة اليقظان، ج٤،ص ٣٢. .

للصلح ذكرته المصادر العربية المعاصرة دون تاريخ مؤكد لهذا العرض[٥٢٣]، وقال عنه أوليفر بادربورن : إن الكامل تقدم بعرضه هذا في رجب سنة ٦١٨هـ/آب ١٢٢١م.

أما مضمون هذا العرض فإنه لم يختلف عما جاء في العروض الماضية ، فقد عرض إعادة بيت المقدس ، وعسقلان ، وطبريا ، وصيدا ، وجبلة ، واللاذقية ، وجميع الأراضي التي فتحها صلاح الدين عدا الكرك ، والشوبك مع إعادة صليب الصلبوت . كل ذلك مقابل جلاء الصليبيين عن دمياط[٥٢٤]. وكالعادة اختلف الصليبيون حول العرض ، وانقسموا إلى فئتين:

الفئة الأولى: تزعمها المندوب البابوي بيلاجيوس ، وكانت قد رفضت العرض ، وأكدت على مطالبها الماضية بعودة كامل الأرض التي استولى عليها صلاح الدين بما فيها الكرك والشوبك . وطلبوا ثلاثمائة ألف دينار تعويضاً عن تخريب أسوار القدس ليستطيعوا إعادة إعمارها[٥٢٥]، وقد ذكر المقريزي أنهم طالبوا بخمسمائة ألف دينار عوضاً عن تخريب أسوار القدس[٥٢٦].

أما الفئة الثانية: تزعمها ملك القدس يوحنا دي بريين ، وقد وقفت مع قبول العرض ، وقالوا إنها الفرصة الأخيرة لتحقيق الأهداف الصليبية بأقل التكاليف[٥٢٧].

والسؤال المهم هو: لماذا أصر المندوب البابوي بيلاجيوس على رفض طروحات الكامل في الصلح ؟

الإجابة عن هذا السؤال كانت قد تمت على جزء منه فيما سلف عند معالجة الطروحات السابقة ، أما الآن فقد جاء العرض بعد النجاحات الجزئية التي حققها الصليبيون في التقدم باتجاه القاهرة ، هذه النجاحات جعلت من بيلاجيوس أكثر غروراً ، وتهوراً ، وتهيأ له أن بمقدوره هزيمة المسلمين بأسرع مما يتصوره الآخرون . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى وصول الأخبار

---

٥٢٣ . ابن الأثير (أبو الحسن علي): الكامل في التاريخ ، م ١٠، ص ٣٠٨ والتي تليها . – ابن واصل (جمال الدين محمد): مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، ج٤ ، ص ٩٥ . – المقريزي (أبو العباس أحمد): السلوك في معرفة دول الملوك، ج١، ص ٢٠٧ .

٥٢٤ . الكامل في التاريخ ، م١٠ ، ص ٣٠٩ . – مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج٤، ص ٩٥. .

٥٢٥ . ابن الأثير (أبو الحسن علي) : م١٠، ص ٣٠٩ . – ابن واصل (جمال الدين محمد) : ج٤، ص ٩٥.

٥٢٦ . المقريزي (أبو العباس أحمد): السلوك في معرفة دول الملوك، ج١، قسم أول،ص ٢٠٧ .

٥٢٧ . بادربورن (أوليفر) : تاريخ دمياط ، ص ١٠٢ .

المتواترة التي حملتها الإمدادات الصليبية التي وصلت في ربيع الأول سنة ٦١٨هـ/أيار ١٢٢١م، والتي أفادت بقرب وصول الإمبراطور فردريك الثاني[٥٢٨] .

لذلك تجاوز تعليمات البابا هونوريوس الخاصة بعدم رفض أي عرض للصلح إلا بعد الرجوع إليه شخصياً ، وقد جاء رفض بيلاجيوس للعرض، وكما في كل مرة غير مستند إلى وقائع صحيحة على الأرض ، وفي الوقت نفسه لا يرتكز إلى قراءة تكتيكية أو استراتيجية لما سيكون ، والدليل على ذلك : أن غروره دفعه إلى عدم اصطحاب المؤن التي تحتاجها القوات الصليبية إلا لعدة أيام فقط ، معتقداً أن القوات الإسلامية ستنهار أمامه دون قتال ، وأن الطريق إلى القاهرة سيكون مفتوحا ، وأن سيطرتهم على المدن والقرى ستُمكنهم من تزويد الجيش الصليبي بما يحتاجه من المؤن[٥٢٩]، وعلى أي حال أدى الوقت الطويل الذي بقي فيه الجيش الصليبي في حالة انتظار ودون عمل إلى الملل ، حيث رجعت بعض هذه القوات إلى دمياط[٥٣٠].

ويذكر كتاب تاريخ بطاركة الإسكندرية أن القوات العائدة إلى دمياط بلغت أكثر من عشرة آلاف جندي وهذا الرقم مبالغ فيه ، ولم يبق إلى جانب بيلاجيوس إلا الذين اعتقدوا أن هذا الوضع لن يدوم طويلاً[٥٣١]، وبالنتيجة حصلت مجموعة من التطورات تسبب بها بيلاجيوس نتيجة غروره وتعنته ، وحاول يوحنا دي بريين خلالها إنقاذ القوات الصليبية مما يحيط بها من مصاعب ، لكن دون جدوى ، وأدرك بيلاجيوس الذي كان يقود القوات الصليبية بشكل فعلي على الأرض خطورة الوضع وفداحة الأخطاء التي ارتكبها وخاصة عدم تقديره الصحيح للموقف ، ولقدرات الطرفين الإسلامي والصليبي ، وعدم معرفته لطبيعة الأرض وما يمكن أن تقدمه طبيعة الأرض ، وما عليها لخدمة الأطراف المتحاربة ، لذلك استدعى دوق بافاريا وأرسله إلى الملك يوحنا دي بريين يدعوه للحضور من أجل التشاور، وهذا دليل على أنه هو القائد الفعلي للحملة وليس الملك ،

٥٢٨- بادربورن (أوليفر) : تاريخ دمياط ، ص ١٠٣.

٥٢٩ . ابن الأثير (أبو الحسن علي) : الكامل في التاريخ ، م١٠، ص ٣٠٩ . – عمران (محمود سعيد): الحملة الصليبية الخامسة، ص ٣٢٥ .

٥٣٠ بادربورن (أوليفر) : تاريخ دمياط ، ص ١٠٣ .

٥٣١. Hist part,Alex, p257

وعند حضور الملك طلب منه بيلاجيوس النصيحة ، والرأي لإخراج الصليبيين من هذه المحنة فخاطبه قائلا : سيدي إكراما لله برهن عن قوتك وحسن إدارتك وحكمتك المعهودة وأنقذ الموقف ، رد يوحنا بريين : سيدي القاصد الرسولي ، ألم يكن بامكانك ألا تغادر بلدك اسبانيا [لاحظ مقدار الإهانة] ، فقد أوصلْتَ العالم المسيحي إلى الهلاك ، والآن تطلب مني إنقاذ الموقف ٠ هذا مستحيل ؟ لم يعد باستطاعة أحد القيام به فأنت ترى أننا لانستطيع الوصول إلى العدو لمواجهته كما أننا عاجزون عن التراجع وحتى عن التخييم وسط تلك المياه ، إضافة إلى أنّنا لم نعد نملك تموينا كافياً للرجال ، ولا للجياد . لكن وفي كل الاحوال يجب الاستماع إلى كافة القادة واستطلاع آرائهم حول ما تقدم من عروض للصلح مع المسلمين[٥٣٢]، وبعد سماع رأي الملك تم الاتفاق على إرسال سفارة إلى الملك الكامل تعرض عليه الصلح . السفارة[٥٣٣]تكونت من غي إمبرياكو صاحب جبيل ، وغودفري موست ويذكر البعض أن جاك دي فتري كان من عداد هذه القوات الصليبية الموجودة في دمياط ، وتضمن العرض أن يسمح لها بالرحيل بأمان، ومعها كل مقتنياتها ، وأن يقوم المسلمون والصليبيون بإطلاق سراح الأسرى من الطرفين ، وإعادة صليب الصلبوت ، وأن يتكفل الملك الكامل بإمداد القوات الصليبية بالمؤن اللازمة حتى يتم جلاؤها، وذلك مقابل تسليم مدينة دمياط ، وأن تكون الهدنة لمدة ثماني سنوات ، وكان ذلك في ٩ رجب سنة ٦١٨هـ/٣٠ آب ١٢٢١م[٥٣٤]، لكن هل انتهت الصراعات الصليبية الداخلية بقبول الهدنة؟.

الإجابة عن هذا السؤال تحتاج إلى متابعة ما جرى أنذاك، حيث أرسل بيلاجيوس مجموعة خاصة إلى دمياط ضمت بطرس مونتياجيو مقدم فرسان الداوية وهرمان فون سالزا مقدم فرسان

---

٥٣٢ . تاريخ هرقل ، مصدر سالف، ص ٣٥١. – غروسيه (رينيه) :ملحمة الحروب الصليبية ،ص٢٥٤

٥٣٣ . عمران (محمد سعيد): الحملة الصليبية الخامسة ، ص ٣٣٤. .

٥٣٤ . بادربورن (أوليفر) : تاريخ دمياط ص ١٠٩ – ١١١ . ابن العميد (المكين جرجس) : أخبار الأيوبيين، ص ١٢ . – بالار (ميشيل) : الحملات الصليبية والشرق اللاتيني ، ص ٢٢٥ . – السيد (عبد اللطيف عبد الهادي) : الحروب الصليبية من خلال كتابات جاك دي فتري ، ص ١٨٢ والتي تليها . – زاباروف (ميخائيل) : الصليبيون في الشرق ، مرجع سالف،ص ٣٠١. – غروسيه (رينيه) : ملحمة الحروب الصليبية ، ص٢٥٥ .

التيوتون ولويس دوق بافاريا لإبلاغ الحامية الموجودة فيها بما تم الاتفاق عليه، والعمل على تسليم المدينة حسب الاتفاق المبرم بين الطرفين[٥٣٥]، وعند وصولهم إلى دمياط كانت قد وصلت نجدات كبيرة محملة على أربعين سفينة كما يقول أوليفر بادربورن ، وكان على رأس هؤلاء هنري كونت مالطة مرسلاً من قبل الإمبراطور فردريك الثاني[٥٣٦] ، فقويت بهم الحامية الموجودة فيها ، وارتفعت معنوياتها ، وما إن سمعت بما تم عليه الإتفاق حتى ثارت وتمردت وهاجمت منازل الملك الصليبي وجماعة الرهبان العسكرية[٥٣٧]، فسرت الفوضى في المدينة وهاج الناس فيها وماجوا ، واختلفت الآراء وتعددت ، فقرر البعض العودة إلى أوروبا ، وقرر البعض الآخر البقاء في المدينة والدفاع عنها حتى الرمق الأخير، وكان على رأس هؤلاء هنري كونت مالطا ، ووقف إلى جانب هؤلاء الألمان ، والإيطاليون ، وأهل صقلية ، وقرروا عدم تنفيذ المعاهدة ، على عكس فرسان الداوية ، والإسبتارية ، والفرنسيين ، والصليبيين البلديين الموالين للملك يوحنا دي بريين الذين قرروا الوقوف إلى جانب تنفيذ المعاهدة ، ولم يكن الأمر سهلاً، ولم يكن الوضع يسمح بالبقاء في حدود الاختلاف بوجهات النظر، بل تعدى ذلك إلى الصدام المسلح بين الطرفين[٥٣٨]، ولمّا علم الملك يوحنا دي بريين بذلك أرسل إليهم مهدداً بأنه سيقوم بتسليم عكّا للمسلمين إذا بقوا على قرارهم هذا، ورفضهم قبول المعاهدة[٥٣٩]، وكان هذا التهديد سبباً بإنهاء التمرد.

---

[٥٣٥] . أوليفر بادربورن : تاريخ دمياط ، ص ١١٢.

[٥٣٦] . ابن واصل (جمال الدين محمد) : مفرج الكروب في أخبار بني ايوب، ج٤، ص ٩٨ . – بادربورن(أوليفر) : تاريخ دمياط ، ص ١١٢ . – رنسيمان (ستيفن) : تاريخ الحروب الصليبية ، ج٣، ص ٣٠١.

[٥٣٧] . Setton op cit, p47. – رنسيمان (ستيفن) : المرجع السالف، ج٣، ص ٣٠١ .

[٥٣٨] . Setton : op, cit , p47.

[٥٣٩] . Michaud : op , cit , pp261-263.

خاتمة

وهكذا رأينا أن الصراعات الصليبية الداخلية شملت كل مناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية وغيرها من مناحي الحياة ، وانعكست عليها بشكل أو بآخر، لا بل تركت فيها بصمات واضحة أثرت فيها ، وجعلتها عرضة للتقلبات وعدم الاستقرار وضعف القدرة على المواجهة وهدر الإمكانيات والتوجيه الخاطئ للقدرات والإمكانيات ، وبالتالي عدم القدرة على:

أولاً. تحقيق الأهداف المرسومة:

ففي الحملة الثالثة التي جاءت لاستعادة الأراضي المقدسة التي حررها صلاح الدين الأيوبي، حيث لم يبقَ من مملكة القدس الصليبية سوى مدينة صور ومعها بعض القلاع المتناثرة هنا وهناك ضمن محيط عربي إسلامي جعلها غير قادرة على استمرار تأمين مقومات الحياة فيها فاستثيرت الهمم ، وجُيشت العواطف، فَسُيّرت الجيوش، وعلى رأسها ملوك أوروبا وأباطرتها العظام، فهل جاؤوا لإنقاذ الأرض المقدسة ؟

من خلال البحث تبين مايلي:

١. لم يعمل الجميع من أجل تحقيق الهدف المعلن [استعادة الأرض المقدسة وبناء مملكة القدس الصليبية مرة أخرى] ، بل على العكس . بدأ صراع مرير بين كونراد الذي أصبح سيداً لمدينة صور، وبين غي لويزنيان ملك القدس المعين، ولم ينته هذا الصراع بين الرجلين إلا بانتهاء حياة كونراد مونتيفيرات الذي حارب بكل ما أوتي من قوة من أجل أن يحقق هدفه، وهو بناء دولته ومجده ، وأن يؤسس أسرة حاكمة في هذه البلاد.

٢. صراع كونراد مونتيفيرات من أجل مجده الشخصي، لم يقف عند حدود صراعه مع ملك القدس غي لويزنيان، بل امتد ليشمل كل من يقف في طريق تحقيق هذا الهدف

بغض النظر عنه كائناً من كان . فنشب صراع مرير بينه وبين البيازنة استمر طويلاً ، وأدى إلى نتائج كارثية مادياً وعسكرياً وبخاصة في وسائط النقل.

٣. أن من يرسم هدفاً يجب عليه أن يعمل جاهداً لتأمين كل مقومات نجاح هذا الهدف وتحقيقه ، وفي الأعمال الحربية أول الحسابات تنطلق من التأمينات المادية سواء أكانت سلاحاً أم عتاداً أم طعاماً أم طبابة أم غير ذلك. لم تكن هذه الأمور التي تسبق كل ما عداها من تدريب وإعداد لم تكن متوفرة بالشكل الذي يؤمن تحقيق النصر ، لذلك رأينا من خلال البحث تمرد الجنود على قادتهم نتيجة لاكتشاف هؤلاء زيف الأهداف التي كانوا يدعون إليها ، وإن هؤلاء القادة كانوا يعملون من أجل تحقيق أهداف خاصة ، وهذا ما رأيناه عبر الصراع الذي دار بين السيرجانيه وبين الفرسان خلال حصار مدينة عكّا.

٤. الصراع الداخلي بين القوات الصليبية لم يقف عند حدود تمرد الجنود على قادتهم بل امتد إلى القادة أنفسهم ، فكل منهم كان يرى أنه الأقدر والأجدر والأقوى وبالتالي فهو صاحب الحق في أن يكون هو القائد في الميدان وعلى الأرض، وهذا ما لاحظناه عند وصول فردريك دوق سوابيا إلى عكّا عندما أراد أن يقول بما معناه: أنا أيضا من القادة الصليبيين الكبار، فلتبدأ المعارك ، ولينفذ الجميع الأوامر، ومن لا ينفذ فهو خائن يجب معاقبته ، الأمر الذي أثار الكثير من الحساسية والاضطرابات ، وكبّد القوات الصليبية الكثير من الخسائر نتيجة لقلة خبرته وضعف معرفته بفن الحرب وأساليب القتال ولاسميّا أنه سيتعامل مع عدو لا يعرف عنه شيئاً ، فأول عناصر النجاح في المعركة هو معرفتك من تقاتل، وأساليب قتاله وقدراته وأسلحته وطبيعة الميدان الذي ستقاتل عليه ، ومدى ما يؤمن لجيشك وقواتك من عناصر قوّة أو ضعف، فقتالك في أرض مكشوفة ليس كقتالك في منطقة جبلية وعرة وغير ذلك . ويلاحظ أيضاً من خلال الصراع المرير بين الملك الفرنسي فيليب أُغسطس وريتشارد

قلب الأسد منذ انطلاقهما في الحملة وصولاً إلى صقلية وقبرص وعكّا ، إلى اللحظة الأخيرة ، حيث كانت هذه الصراعات تتأجج باستمرار، وكان لها أسوأ الأثر وكأنهم لم يأتوا لاستعادة الاراضي المقدسة ، بل لينقلوا صراعاتهم التي كانت دائرة بينهم في أوروبا إلى منطقة الشرق العربي ، فتوسع ميدان الصراع ، ونُبشت أحقاد الماضي واستُدرجت أهدافه وغاياته فالتهبت من جديد براكين ثوراته فأحرقت بها آمال أهل الأراضي المقدسة من الصليبين الذين انتظروا طويلاً وصول نجدات أرادوها أملاً في استرجاع ما فقدوه ، وإذا بهم كالمستيجر من الرمضاء بالنار.

٥. نلاحظ ذلك أيضاً من خلال الصراع المرير بين دوق النمسا ، وبين ريتشارد قلب الأسد عندما أمر الثاني بإنزال راية الأول من فوق أسوار عكّا وإهانته عبر رميها ودعسها بالأقدام ، الأمر الذي أدى إلى انسحاب الملك وعودته إلى بلاده محملاً بلهيب الحقد والكراهية لريتشارد وجيشه ، صحيح أنه لم يستطع أن يفعل شيئاً أمام ريتشارد القوي وجيشه ، لكنه لم ينس أبداً ما حدث له في الشرق، فاسترد دَيْنَهُ في الغرب عندما عاد ريتشارد فاسترق الخبر عنه وتابعه حتى عثر عليه ، فأسره وباعه في سوق الرقيق.

٦. الصراع بين قادة الحملة الصليبية الثالثة لم يتوقف عند حدود محاولة كل منهم أن يبني لنفسه مجداً شخصياً ، أو يعد نفسه القائد الحقيقي للحملة ، بل تعدى ذلك وصولاً إلى التآمر لقتل أحدهم الآخر، وهذا ما تقدم عرضه من خلال البحث عندما تآمر ريتشارد قلب الأسد لقتل فيليب أُغسطس، وعندما تآمر أيضاً ريتشارد قلب الأسد لقتل كونراد مونتيفيرات ، وهذه المرة لم يكن التآمر داخلياً إنما بالتعاون مع الأعداء (المسلمين) لقتل خصمه لأنه أراد أو طمع أن يكون ملكاً للقدس.

وفي الحملة الخامسة لم يكن الأمر أفضل منه في الحملة الثالثة ، حيث لم تكرس الجهود لتحقيق الهدف الذي رسمه مجمع اللاتيران، فظهرت الصراعات منذ اللحظة الأولى لوصول بدايات

الحملة إلى عكّا، وبخاصة على قيادة الحملة بين ملك القدس يوحنا دي بريين والملوك الثلاثة الذين وصلوا معها، وهم (أندور الثاني ملك هنغاريا وليوبولد السادس دوق النمسا وهيو أف لويزنيان ملك قبرص)، وكان كل واحد منهم يعدّ نفسه قائداً، وكان ذلك سبباً رئيساً للإخفاق الذي حققوه في غاراتهم، وبخاصة على قلعة الطور التي كانت تعد موقعاً استراتيجياً هاماً آنذاك حسب ما ذكر الكثير من المؤرخين المسلمين واللاتين الذين أرخوا لهذه الحملة ولم يكن هذا هو الخلاف الوحيد . بل إن الصراع الكبير الذي دار بين المندوب البابوي بيلاجيوس ويوحنا دي بريين ملك القدس على قيادة الحملة كان السبب الأهم في إخفاق تلك الحملة .

ثانياً. الصراع على ولاية العرش : أضعف الجيوش الصليبية التي قاتلت دون الاستناد إلى أرضية سياسية واقتصادية واجتماعية متينة تؤمن لهم مقومات النصر. فقد انقسم الصليبيون على أنفسهم عندما اختلف كونراد مونتيفيرات وغي لويزنيان ملك القدس ، حيث انضم معظم الصليبيين الذين نجوا من معركة حطين سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م إلى كونراد مونتيفيرات ، ووقفوا إلى جانبه ، ومنعوا غي من الدخول إلى مدينة صور المعوّل عليها كثيراً لتأمين الجيوش الصليبية بما تحتاجه من إمدادات ، إضافة إلى أن هذه الاختلافات كان لها الكثير من الآثار السلبية التي انعكست على الحملة الصليبية وأهم هذه الآثار ما يلي:

١. أضعفت الجهد الصليبي بشكل عام، وحرمته من جهد عسكري كبير كان يمكن أن يكون سنداً قوياً للقوات التي استطاع غي لويزينيان أن يجمعها.
٢. حرمان القوات الصليبية من أهم مصادر الإمداد المادي ، وتركها عرضة للجوع حتى إنها كما ذكرت بعض المصادر التاريخية اعتمدت على مادة الخرنوب في الغذاء لقلة توفر المواد الأخرى والتي ارتفعت أسعارها بشكل هائل لفقدان الكثير منها ، الأمر الذي أدى إلى خروج الجنود على قادتهم كما سلف القول.
٣. خلق صعوبات كبيرة أمام الصليبيين القادمين من الغرب ، وخاصة الذين وقفوا إلى جانب ملك القدس غي لوزنيان ، حيث لم يسمح لهم بدخول مدينة صور، وبالتالي

توجهوا مباشرة إلى عكّا ، وهذا حرمهم من الاستراحة والتزود بالمواد اللازمة . كما حرمهم أيضاً من الحصول على المعلومات الضرورية عن أوضاع المسلمين والصليبين ، وعن طبيعة المعركة المقبلة وظروفها وعناصرها التي يجهلون أكثرها ولاسيّما أنّ الموجودين في صور قد خاضوا معارك من قبل مع المسلمين ويعرفون عنهم وعن طبيعة الأرض والطقس والفصل وغير ذلك الكثير.

٤. حرمان القوات الصليبية من كثير من الخبرات القتالية التي تشكلت عند هؤلاء الموجودين في صور.

٥. الصراع على وراثة العرش حرم القوات الصليبية من الكثير من الطاقات القيادية الهامة التي تصارعت فيما بينها، وأبعدها عن مراكز القرار، أو قيادة القوات خوفاً من تأثيراتها المستقبلية ، وهذا أثر بشكل أو بآخر على نتيجة المعارك التي تم خوضها مع المسلمين.

٦. هذه الصراعات أدت إلى هدر الكثير من الإمكانيات المادية التي كان يجب أن توظف لتأمين القوات بينما رأينا من خلال البحث أن القادة المتصارعين كانوا يوزعون الأموال لكسب ود هذه المجموعة أو تلك ، ومن ثم لحرمان هذا القائد من جهود تلك المجموعة أو كسبها من قبل هذا أو ذاك بالإغراء بالأموال والهدايا وغير ذلك.

٧. الصراع على وراثة العرش أوصل إليه ملوكاً ضعفاء غير قادرين أو غير مؤهلين أو لا يمتلكون الإمكانيات والقدرات الذاتية ليكونوا في هذا المنصب، فكانوا ضعفاء وأضعفوا معهم المناصب ، وأضعفوا المملكة بكل مكوناتها السياسية والعسكرية والاقتصادية وغير ذلك .

ثالثاً. الصراع على قيادة الحملات:

الصراع على قيادة الحملة أخذ حيزاً واسعاً من الصراعات التي دارت في مملكة القدس ففي الحملة الصليبية الثالثة كان للصراع الأنكلو . فرنسي مضمونه وتشعباته وأشكاله المتعددة هو

صراع على قيادة الحملة، صحيح أن الصراع الأنكلو . فرنسي قديم لكنهم حملوه معهم عندما جاؤوا من أوروبا إلى الشرق العربي ، وأراد أن يثبت كل منهم أنه القائد، وأنه الأقدر والأجدر، وهذا الصراع وبخاصة بين ريتشارد قلب الأسد وفيليب أُغسطس أدى إلى نتائج كثيرة منها:

١. أضعف الحلمة وبعثر قواها ، وشتت أهدافها بحيث عمل كل منهم ضد إرادة الآخر، فتبنت كل مجموعة قائداً لها من المتصارعين مما غيّب الهدف المعلن، وأفصح عن أهداف جديدة، وليس هدف واحداً جديداً ، وبالتالي تعددت أشكال الصراع كما سلف وبين البحث.
٢. الصراع بين الرجلين أدى إلى أن يغير فيليب أوغسطس في طريقته لتحقيق أهدافه الخاصة ، فاستغل الظروف وخاصة مرض ريتشارد فلم يفلح، وتذرع بالمرض، وانسحب عائداً إلى بلاده بعد أن عانى كثيراً من تصرفات ريتشارد وتآمره عليه وصولاً على حد التآمر لتصفيته جسدياً، فأدرك أن الأمور تسير بينهما نحو أسوأ العواقب، وأن الصراع معه في هذه المنطقة قد لا يحقق له شيئاً، فما إن سمع بأن كونت فلاندرز قد تُوفيَّ حتى اختمرت الفكرة في رأسه ، وجاء وقت تطبيقها بالعودة إلى بلاده والاستيلاء على فلاندرز وربما على أملاك ريتشارد في فرنسا، الأمر الذي كان له أسوأ العواقب على قوات فيليب أوغسطس نفسها التي تركها دون تمويل ، وعلى الحلمة الصليبية كلها.

أما الصراع على قيادة الحملة الصليبية الخامسة لم يكن أقل خطورة وآثاراً كارثيةً مما عانته الحملة الثالثة ، وإذا كان من نتائج لهذا الصراع فيمكن إجمالها بما يلي:

- محاولة الكنيسة أو البابوية الاستيلاء على قيادة الحملة من خلال الصراع الذي دار بين بيلاجيوس المندوب البابوي وملك القدس يوحنا دي بريين، وهذا بدوره انعكّاس

لمحاولة الكنيسة استعادة دورها الذي افتقدته بشكل أو بآخر من خلال سيطرة السلطات الدنيوية على قيادة الحملات الصليبية.

- قابل قدرة رجال الدين الهائلة على تجيش العواطف وتوظيفها في المكان والزمان إخفاق كبير في منافسة القادة العسكريين على قيادة القوات، لأن هناك صفات يجب أن يتمتع بها القائد، ومنها معرفته بفن الحرب بفرعيه الاستراتيجية والتكتيك، إضافة إلى الدراية العميقة بمبادئ قيادة القوات وفنون القتال وغيرها من المعارف.
- إن المعرفة بطبيعة مسرح العلميات الحربية بكافة مكوناته، وطبيعة الفصل والمناخ واليوم ضرورية جداً للقائد العسكري ، ومن دونها لا يمكن كسب المعركة مهما كانت ، وهذا ما حصل مع بيلاجيوس المندوب البابوي الذي أراد أن يكون قائداً عسكرياً .

رابعاً: الصراعات الداخلية في مملكةالقدس أدت الى

–عدم الاستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي يشكل القاعدة الرئيسة لكسب أية معركة، فالحروب تحتاج إلى إعداد وإمكانات وقدرات عسكرية واقتصادية، وهذا لا يتأمن إلا من خلال استقرار سياسي واجتماعي وتنمية اقتصادية قادرة على تسليح الجيوش وإمدادها والقدرة على استعواض الخسائر التي ستحصل في المعركة، وهذا لم يتأمن نتيجة الصراعات الداخلية في مملكة القدس الصليبية التي تعددت أشكالها وتنوعت أساليبها، فلا المجتمع شكل خلايا متجانسة متحابة متآلفة، ولا استطاع هذا المجتمع خلق تنمية اقتصادية قادرة على إمداد الجيوش وتسليحها، بل بقي الغرب الأوربي ولاسيّما الدويلات الإيطالية التي انغمست هي الأخرى في هذه الصراعات.

وخلاصة القول: بقي الغرب الأوربي هو الرئة التي يتنفس منها المجتمع الصليبي، ولنا أن نتصور النتيجة التالية:

إن القادة الذين جاؤوا من أوروبا كانوا يحملون معهم أحقادهم وصراعاتهم وأهدافهم الخفية غير المعلنة .

وأخيراً إذا كان لا بد من خلاصة عامة تستنتج من هذا البحث، فيمكن إجمالها في أن الصراعات الداخلية في مملكة القدس الصليبية الثانية قد أظهرت ما يلي:

- الأهداف الحقيقية للحملات الصليبية هي غير الأهداف المعلنة ، وإلا لماذا الصراعات على كل شيء ، ولماذا قُتل المسيحيين في صقلية ، ولماذا احتلال قبرص ، وطرد حكامها المسيحيين ، وغير ذلك من الأحداث التي سلف ذكرها خلال البحث.
- كان للعوامل الاقتصادية دوراً كبيراً، وحيزاً واسعاً في رسم الأهداف الحقيقية للحملات الصليبية .
- لم يكن الصراع على ولاية العرش وعلى وراثة العرش في مملكة القدس الثانية لم يكن صراعاً عادياً ، أو صراعاً ديمقراطياً ، بل في كثير من الحالات تآمرياً ودموياً شتت الكثير من الطاقات والإمكانيات في غير المكان الطبيعي التي كانت يجب أن تكون فيه.

- عجل ضعف الإمكانات الاقتصادية الذاتية في الأراضي المقدسة، ومحاولات هدرها في الصراعات الدائرة بين القادة في إخفاق هذه الحملات.

- أضعفت الصراعات مختلفة الأشكال والأساليب على قيادة الحملات هذه القيادة وأضعفتها وهدرت قدراتها وإمكانياتها، وبالتالي عجّلت في إخفاقها إن كان ذلك بشكل كلي أو جزئي، كما بينت أهمية مسألة كبيرة وهي كيف كان عليهم أن يقوموا بحل هذه المسألة آنذاك [إدارة الأزمة بدلاً من الصراع لحلها].
- لم تلق محاولة الكنيسة في استعادة سلطاتها المفقودة على قيادة الحملات الصليبية وتمرد الملوك الأوربيين وخاصة ريتشارد قلب الأسد طريقها إلى النجاح بل كان

عاملاً أساسياً في إخفاق الحملة الصليبية الثالثة وأيضاً الخامسة من خلال الصراع المرير بين ملك القدس يوحنا دي بريين والمندوب البابوي بيلاجيوس.

ولقد قيل بأن أوربا أرادت ايجاد حلول لمختلف مشاكلها وأمراضها في العصور الوسطى بوساطة الحروب الصليبية ، لكن هذه الأمراض والمشاكل استفحلت في المشرق ، فما كاد الصليبيون يصلون إلى مشارف سورية قوة شبه موحدة حتى تمزقوا وأسسوا أربع كيانات ، تفتت فيما بعد إلى بارونيات ولورديات ومنظمات سرطانية ، أسهمت كثيراً في قتل المشروع الصليبي ، ولاسيما عندما قضى المسلمون على تمزقهم فتوحدوا أيام نور الدين وصلاح الدين ، ثم أعادوا من جديد وحدتهم أيام دولة المماليك الأولى فكانت التصفية النهائية للوجود الصليبي ، وتدمير محاولات المغول احتلال بلاد الشام مع أنهم تحالفوا مع الصليبين ، ولسوف تبقى حطين وعين جالوت ، وتحرير عكّا عام٦٩٠هـ/١٢٩١م ومعركة شقحب عام٧٠١هـ/١٣٠٢م من أهم معارك التحرير التاريخية.

والله الموفق إلى السداد

ملحق رقم(١)

المجادلة بين الصليبي واللاصليبي

لا شك أن ريتبوف (مات في عام١٢٨٥) وهو مؤلف ست وخمسين قصيدة،كان ناجح الأداء في جامعة باريس،لكننا لانعرف عن حياته سوى القليل وتدل قصائده عن الحملات الصليبية على درايته بالبلاغة المستخدمة في هذا الموضوع وهي تشكل قدحاً عنيفاً للحملات فيما وراء البحار في القرن الثالث عشر:

البارحة في اتجاه سان ريمي، خرجت على متن جوادي لأتابع شغلي .كنت مهوماً بالفكر ،اذ يتعب كثير من الناس الذين يحتاج الرب اليهم أكثر مما إلى سواهم ، ناس عكّا الذين لاصديق له-وهو مايمكن قوله دون تزييف للحقيقة-والذين يعد أعداؤهم جد قريبين منهم بحيث يمكنهم رميهم بحرابهم وبسهامهم .

استغرقت في التفكير في هذا الأمر بحيث إني انحرفت عن طريقي دون أن ألحظ ذلك وهكذا وصلت رغماً عني أمام بيت،انحبست في داخله صحبة كنت أتمنى لقائها .

كان هناك أربعة فرسان ،يجيدون التحدث بالفرنسية . وبعد العشاء،خرجوا للتنزه في بستان غير بعيد عن الغابة ....وترك اثنان منهما الآخران يتحدثان،أما أنا فقد رحت أستمع إليهما كان أحدهما قد تناول الصليب،أما الآخر فلم يرد البتة تناوله . وكان هذا هو موضوع نقاشهما،لأن الصليبي كان يريد استمالة رفيقه-الذي لايحتقر الصليب لكن

الصليبي: أصغي الي،ياصاحبي الجميل الوديع٠تعرف جيداً أن الرب قد وهبك الحس السليم الذي يمكنك أن تميز به تميزاًواضحاً بين الخير والشر،وبين الصديق

والعدو ..وأنت ترى وتعرف وتسمع عن عذابات الأرض المقدسة . فكيف يمكن ادعاء الشهامة وأنت تترك البلد غارقاً في حرب كهذه ؟ولو كان بوسع إنسان أن يحيى مائة عام ، فما الذي يمكن أن يعود عليه بمجد أسمى من مجد امتطاء جواده راغباً في الذهاب للقاء الموت عند القبر المقدس؟

اللاصليبي: إنني أدرك تماماً لماذا تقول مثل هذا الكلام ...فأنت تريدني أن أتناول الصليب وأن أخرج إلى ماوراء البحر وأن أتخلى عما أملك ، دون أن أطلب شيئاً.لكنني لا أظن أن الرب يوصي بوجوب قيام المرء بمثل هذا التخل.فمن يتخلى على هذا النحو، لن يكسب من ذلك شيئا يذكر ولابد من منعه من القيام بمثل هذا التخلي .

الصليبي: لقد ولدتك أمك عاريا، والآن جسمك مستور بأبهى لباس . فماذا فعلت لأجل الرب الذي يثيب المرء بمئة ضعف مما قدم له ؟بوسع المرء اليوم أن يفوز بجنة النعيم لقاء تضحية بسيطة. وأنت تعرف أن القديس بطرس الرسول والقديس بولس الرسول قد اشتريا جنة النعيم بثمن أفدح من هذا بكثير، بأغلى ثمن، برأس ورقبة

اللاصليبي: بوسع المرء أن يكسب الرب هنا وأن يحيا من ميراثه، دون أن يجازف بمثل هذه المخاطر .

الصليبي: أنت تتفوه بإثم عظيم لايمكن وصفه، إنك ا تريد كسب الرب دون محنة وبانكبابك على الاستمتاع بالحياة الدنيا. أو تحسب إذاً إن القديسين الذين كابدو الشهادة لكي يفوزوا بالخلاص كانو مخطئين؟

اللاصليبي: سيدي، يامن تدعو إلى تناول الصليب، أرجو أن تسمح لي بالاستغناء عنه. لتدعو إذا أولئك مجزوزي الشعر الكبار وأولئك العمداء الكبار وأولئك

الأحبار ...على رجال الدين والأحبار أن يثأروا لربنا مادام أجرهم عليه. إنهم يشربون ويأكلون ولا يهمهم هبوط المطر أو هبوب الريح٠ والعالم كله ملك يمينهم٠ وإذا كانوا يلجؤون للرب بمثل هذا المسلك الأكثر حكمة من سواه ..

الصليبي: دعك من رجال الدين والأحبار، وانظر إلى ملك فرنسا الذي، لكي يفوز بجنة النعيم، يعرض جسده وأولاده للموت، مع أن لديه أسباباً البقاء في مملكته أفضل من أسبابنا.

اللاصليبي: سيدي، أنا أريد البقاء وسط أحبابي وأن أبتهج واستمتع بالحياة الدنيا٠ وأنت تذهب إلى ماوراء البحر،أنت يامن بوسعك أن تحمل حملاً ثقيلاً. قل للسودان

(السلطان)إنني أهزأ بتهديداته. ولو جاء إلى هنا، فسوف نشويه على النار. أما هناك، فإنني لن أذهب لمطاراته فأنا لا أذنب في حق أحد ...

الصليبي: هذا يعني أنك ترغب في العيش كما يحلو لك. ولكن هل أنت واثق من أن العمر سوف يمتد بك؟ قل لي ما إذا كنت تعرف في أي كتاب يمكن للمرء التعرف على أجله ؟ كل واشرب واسكر: إنه لشيء سيئ أن المرء يتعب من أهون الأمور. ولكن ليكن معلوماً لديك أن حياة الإنسان والبيض المكسور هما في النهاية شيء واحد.

اللاصليبي: سيدي الصليبي، إنك تدهشني. إنني أرى كثيراً من الناس يذهبون إلى ماوراء البحر، بعضهم كبار وبعضهم صغار، بعضهم حكماء ومتواضعون وبعضهم يعيشون عيشة باذخة. وهم هناك يحسنون التصرف، فيما أظن، ونفوسهم تحسب من أفضل النفوس لكنهم، هنا، لايساوون شيئاً يذكر حين يعودون، وإذا كان الرب موجودا في كل مكان في العالم، فإنه موجود في فرنسا ، دون أدنى شك , فلا تخف البتة. من أنه يلوذ بأناس لايحبونه البتة . ومن جهة أخرى ، فإن بحرك الذي تتحدث عنه عميق جداً بحيث يجوز لي تماما أن أخافه. وأنا أفضل النبع الذي يفيض على النبع الذي يجف في الصيف...

المصدر:

J Bastin et E faral onzepomes de rutebeuf concerant la croisade docments relatifs a lhistoire des croisades publies par l academie des Inscriptions et Belles-lettres(1)
Paris 194

ملحق رقم(٢)

رسالة القدس إلى الغرب الأوربي للاستغاثة ضد المسلمين بالشرق .سنة ٥٨٣ هـ/ ١١٨٧م(١)

إلى الأب والمحترمين في المسيحية:

من بطريرك كنيسة القيامة المقدسة بنعمة الله و من ((أرنالدو)) مدير الهيكل و من روجر Roger مدير بيت الضيافة المقدس، و من بلدوين Balduinus ملك أورشاليم العامل لخلاصها و للفوز الدائم.

إن صلاح الدين في اليوم التاسع، أو العاشر من يوليو دخل أراضي المسيح، و أقتحم لمدة ثلاثة أسابيع حدودها معتديا واستولى على مافيها من مؤن وعتاد .

وعشية عيد القديس بطرس المقيد بالسلاسل دخل مدينة المسيح واستولى على حصنها وحاصرها أربع أسابيع وأقام أربعة عشر حصنا حجريا، وعند علمه بقدومنا قام بحرق الحصون الحجرية، والطرق التي أتلفها، ثم ذهب إلى نابلس Naplouse وأحرق ماتستطيع النيران حرقه معتديا على المدينة فهرع الرجال و النساء و احتمو في الحصن ، ونجوا ، ثم سار إلى مدينة سبسطية و فر الأهالي إلى (فيلام) Villam لا للمقاومة ولكن لعدم وجود سبيل آخر للنجاة ، وإزاء هذا استسلم أسقف المدينة بشروط صلاح الدين ، وأنقذ (الفيلام) والكنيسة ، مقبضا ثمانين أسيراً وأفسح له الطريق، ثم ذهب إلى مدن أخرى ، ودمرها، وأسر النساء ، والرجال، ذهب إلى (جيرونيوم) Gerinum الكبير وقتل من قتل ، وأسر من أسر ، وأحرق الفيلام بينما هرب الأهالي محتمين في الحصن ، ثم ذهب إلى (جيرونيوم)الصغير فقدم الهيكل و اعتدى مدمراً وذهب إلى حصن الضيافة المسمى (بيلفيوريوم) Belverium وأسر وعاد إلى مقره.

المصادر العربية والمعربة المطبوعة

١. القرآن الكريم.

٢. الكتاب المقدس.

٣. ابن الأثير (أبو الحسن علي ت ٦٣٠هـ/١٢٣٣): الكامل في التاريخ، ١٢ جزء، تج عمر عبد السلام قدوي، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ط، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ج١٠.

٤. ابن الأثير (أبو الحسن علي ت ٦٣٠هـ/١٢٣٣): اللباب في تهذيب الأنساب، مكتبة المثنى، بغداد، د.ط، د.ت، ج١.

٥. أرنول وبرنارد وكيل بيت المال.ترجة وتحقيق الدكتور سهيل زكار ، عن الموسوعة الشامية في تاريخ تاحروب الصليبية ،ج٨ ، دمشق ،د ٠ ط ،١٤١٩هـ/١٩٩٨ ٠

٦. الأصفهاني (محمد ت ٥٩٧هـ/١٢٠١م): الفتح القسي في الفتح القدسي، دار المنار، القاهرة، ط، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤.

٧. اكس (ألبرت دي): كتاب تاريخ بيت المقدس، تر. د حسن حبشي.، عين للدراسات والبحوث الاجتماعية والإنسانية ، القاهرة ،د.ط.

٨. أمبرويز: صليبية رتشارد قلب الأسد، عن زكار (سهيل): الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، دار الفكر، دمشق ١٤١٩هـ/١٩٩٨م. ٠

٩ – ابن إياس(محمد بن أحمد بن اياس المصري ت ٩٣٠هـ/١٥٢٣م) : بدائع الزهورقي وقائع الدهور ، ٣أجزاء ،د. ط ،١٣١٢هـ/١٨٩٤م ٠

١٠. ابن أيبك (عبد الله ت٧١٩، ح٧٠٩هـ): كنز الدرر وجامع الفرر، تح سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، د.ط، ١٣٩١هـ/١٩٧٢م، ج٧، وهو الدر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب.

١١. بادربورن (أوليفر أوف): تاريخ دمياط، عن زكار (سهيل): الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، دار الفكر، دمشق، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.ج٣٣ ٠

١٢. البرزالي (علم الدين أبي محمد القاسم بن محمد ت١٤٢٨هـ/٢٠٠٦م): المقتفي على كتاب الروضتين، ٤أجزاء، تح عمر عبد السلام التدوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ج١+ج٢.

١٣. البغدادي (صفي الدين ت ٧٣٩هـ/١٣٣٩م): مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ٣ مجلدات، دار الجليل ، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

١٤. التطيلي (بنيامين): رحلة بنيامين التطيلي الأندلسي، ترجمها عن الأصل العبري عزرا حداد، بغداد، ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م.

١٥. ابن تغري بردي (يوسف ت ٨٧٤هـ/١٤٧٠م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تح محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ج٦، ج٧.

١٦. ابن جبير (أبو الحسن محمد ت ٦١٤هـ/١٢١٧م): رحلة ابن جبير، دار الشرق العربي، بيروت، د.ط، د.ت.

١٧. ابن الجزري (محمد بن إبراهيم): المختار من حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر من الأعيان وابنائه، اختيار محمد بن عثمان الذهبي تح حضير المنشراوي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

١٨. حاجي خليفة (مصطفى): كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الفكر، بيروت، د.ط، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢، مجلد أول.

١٩. الحموي (ياقوت ت ٦٢٦هـ/١٢٩٠م): معجم البلدان، ٥ أجزاء، دار أحياء التراث، بيروت، د.ط، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٢٠. الحميري (محمد): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لنبان، بيروت، د.ط، ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م.

٢١. ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن علي الموصلي الحوقلي البغدادي): صورة الأرض، مكتبة الحياة، بيروت، ط٢، د.ت.

٢٢ – ابن خردذابه (أبو القاسم عبيد الله) : المسلك والممالك ، ليدن ، ١٣٠٧ هـ/١٨٨٩م .

٢٣ –ابن خلدون (عبد الرحمنبن محمد ت ٨٠٨هـ /١٤٥٥م) : تاريخ ابن خلدون ، ٧ أجزاء ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، د ط ، ١٣٩١ هـ/ ١٩٧١م ٠

٢٤. ابن خلكان (أحمد ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م): وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان، تح إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط٤، د.ت، ج٣ ،ج٥.

٢٥. الذهبي (محمد ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م): تاريخ الإسلام، حوادث، ٦٣١.٦٤٠هـ، تحقيق بشار عواد وشعيب الأرناؤوط وصالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٢٦. حوادث ٦٤١ . ٦٥٠هـ/١٢٤٤م–١٢٥٢م ، تحقيق عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٢٧. العبر في خبر من عبر، تحقيق صلاح الدين المنجد، د.ط، الكويت، ج٥. ،د ت ٠

٢٨. رالف (ديسيتو): صورة التاريخ، عن زكار (سهيل): الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ٥٠ جزء، د.ط، دمشق، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ج٣٠.

٢٩. سبط ابن الجوزي (يوسف ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦م): مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن، الهند، ط١، ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م، ج٨، بقسميه الأول والثاني.

٣٠. السخاوي (أبو الخير محمد بن عبد الرحمن ت ٩٠٢هـ/١٤٩٧م): الذيل التام على دول الإسلام للذهبي، تح حسن إسماعيل مروة، مكتبة ابن العماد، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

٣١. سوخم (لودلف فون): وصف الأرض المقدسة ، عن زكار (سهيل): الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ٥٠ جزء، د.ط، دمشق، ح٣٣.

٣٢. السيوطي (عبد الرحمن ت ٩١١هـ/١٥٠٥م): حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧، ج٢.

٣٣ – السيوطي (عبد الرحمن) :بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، مطبعة السعادة ،القاهرة ، د . ط ، ١٣٧١هـ/١٩٥١م .

٣٤– سيولف: رحلة حج سيولف على القدس ٤٩٥هـ/١١٠٢م .٤٩٦هـ/١١٠٣م، عن زكار (سهيل)، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج٣، د.ط، دمشق.

٣٥. شارتر (فولتشر أوف): تاريخ الحملة الصليبية إلى القدس، عن زكار(سهيل): الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ٥٠ جزء، د.ط، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ج٦.

٣٦. أبو شامة (عبد الرحمن بن اسماعيل، ت ٦٦٥هـ/١٢٦٧م): كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، وضع حواشيه وعلق عليه إبراهيم شمس الدين، ٤ أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٧. الذيل على الروضتين، وضع حواشيه وعلق عيه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ج٥.

٣٨. ابن شداد (بهاء الدين أبو المحاسن يوسف ت٦٣٢هـ/ ١٣٢٧م): النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، عن زكار (سهيل): الموسوعة الشامية، ٥٠ جزء، دمشق.

٣٩. ابن شداد (بهاء الدين): من كتاب النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، اختار النصوص وقدم لها محمود درويش، منشورات وزارة الثقافة، ط٢، دمشق ٥٩٣ هـ/١١٩٧م.

٤٠. ابن شداد (عز الدين ت٦٨٤هـ/ ١٣٢٧م): الأعلاق الخطيرة في ذكر أسماء أمراء الشام والجزيرة، تح سامي الدهان، تاريخ لبنان والأردن وفلسطين، د.ط، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م.

٤١. ابن الشحنة (محب الدين محمد ت ٨٨٥هـ/١٤١٢م): روضة المناظر في أخبار الأوائل والأواخر، المطبعة الأزهرية، القاهرة، ط١، ١٣٠٣هـ/١٨٨٦م.

٤٢. الصفدي (صلاح الدين ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م): الوافي بالوفيات، ج١٤، تح دورتيا كرافولسكي، دار الأندلس، بيروت، د.ط، ١٤٠١هـ/١٩٨١.

٤٣. الصوري (وليم): أعمال أنجزت فيما وراء البحار، عن زكار (سهيل): الموسوعة الشامية، ٥٠ جزء، د.ط، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م،ج٧.

٤٤ . ابن العبري (غرينوريوس): تاريخ مختصر الدول، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

٤٥. ابن العديم (عمر ت ٦٦٠هـ/١٢٦٢م): زبدة الحلب من تاريخ حلب، تح د. سهيل زكار، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ج٢.

٤٦. ابن العماد (أبو الفلاح عبد الحي ت ١٦٧٨.١٠٨٩م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الفكر، د.ط، د.ت، مجلد٢.

٤٧. العماد الأصفهاني (محمد بن محمد): التبيان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، عن زكار (سهيل): الموسوعة الشامية، ج١١، د.ط.

٤٨. ابن العميد (جرجس): أخبار الأيوبيين، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، د.ط، د.ت،

٤٩. العيني (بدر الدين ٨٥٥هـ/١٤٥١م): عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، عن زكار (سهيل): الموسوعة الشامية، د.ط.،ج٢٤

٥٠. الغزي (كامل): نهر الذهب في تاريخ حلب، تعليق وتصحيح شوقي شعث ومحمد فاخوري، دار القلم ، حلب، د.ط، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ج٣.

٥١. فابري (فليكس): جولات الراهب فيلكس فابري ورحلاته حولي ١٤٨٠م . ١٤٨٣م، عن زكار (سهيل): الموسوعة الشامية، ج٣٨، د.ط .

٥٢. فتري (جاك): رسائل جاك دي فتري، تر وتح عبد اللطيف عبد الهادي السيد، غريان، ليبيا، د.ط، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.ج٣٣ ٠

٥٣. فتري (جاك): تاريخ القدس، عن زكار (سهيل): الموسوعة الشامية، ج٣٣، د.ط .

٥٤. أبو الفداء (اسماعيل ت ٧٣٢هـ/١٣٣٢م): تقويم البلدان، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت.

٥٥. المختصر في أخبار البشر، علق عليه ووضع حواشيه محمود دياب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٥٦. ابن الفرات (ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم): تاريخ ابن الفرات، تح محمد الشماع، مطبعة حداد، البصرة، د.ط، ١٣٨٦هـ/١٩٧٦م، م٤.

٥٧. ابن فضل الله العمري (أحمد ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح حمزة أحمد عباس، المجمع الثقافي، أبو ظبي، د.ط، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، السفر السابع والعشرين، تاريخ الحروب الصليبية.

٥٨. فنزوف (جفري): رحلة ريتشارد وآخرين إلى الارض المقدسة ،تر و تح سهيل زكار،عن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية ،ج ،دمشق ،١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م ٠

٥٩. فورزع بورغ (يوحنا): وصف الأرض المقدسة، تر. د سعيد عبد الله البشاوي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية ، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .

٦٠. ابن القلانسي (أبو يعلى حمزة بن اسد بن علي بن محمد التيمي): تاريخ دمشق، عن زكار (سهيل): الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، د.ط، دمشق ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ج١١.

٦١. القاقشندي (أحمد بن علي بن أحمد الفزاري ٨٢١هـ/١٤١٨م): من كتاب صبح الأعشى في صناعة الإنشا، اختار النصوص وعلق عليها وقدم لها عبد القادر زكار، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، د.ط، دمشق ، ١٤٠١هـ /١٩٨١م ٠

٦٢. القزويني (زكريا ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣م): آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادرة بيروت، د.ط، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م. ٠

٦٣. الكتبي (محمد ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م): فوات الوفيات والذيل عليها، تح إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت، م٤. ٠

٦٤. ابن كثير (إسماعيل ت ٧٧٤هـ/١٢٧٣م): البداية والنهاية، تح عبد الله بن عبد المحسن التركي،١٤جزء ، دار عالم الكتب، الرياض، ط٢، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ح١٤.١٣..

٦٥. كلاري (موبرت): مذكرات روبرت كلاري، ترجمة حسن حبشي، عين للدراسات، القاهرة، د.ط، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

٦٦. كومينوس (أنا) الالكسياد، عن زكار (سهيل): الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية ،دمشق ، ج٦ .

٦٧. لوشي (توماس أوف): تاريخ كونتات أنجو، عن زكار (سهيل): الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية ، ج٣٠ ،ط١ ،١٤١٨هـ/١٩٩٨م .

٦٨. المقريزي (أحمد بن علي ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م): السلوك في معرفة أخبار الدول و الملوك، نشره محمد مصطفى زيادة، ط٢، د.ت، ج١.

٦٩. من كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، اختار النصوص وعلق عليها زهير حميدان، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ط١، ١٩٨٧، السفر الأول.

٧٠. المنصوري (بيبرس ت ٧٢٥هـ/١٣٢٥م): مختار الأخبار تاريخ الدولة الايوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٣م، تح عبد الحميد حمدان، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

٧١. ابن مماتي (أبو المكارم أسعد بن الخطير أبي أسعد): قوانين الدواوين، جمعه ونشره وعلق عليه عزيز سوريال عطية، القاهرة، طبعة الجمعية الزراعية،١٣٦٢هـ/ ١٩٤٣.

٧٢. ابن نظيف (محمد): التاريخ المنصوري، عني بنشره وتحقيقه أبو العيد دودو، مطبعة الحجاز، دمشق، د.ط، ١٤٠١هـ/١٩٨١م. ٠

٧٣. النويري (أحمد ت٧٣٣هـ/١٣٣٣م) نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٢٧، تح محمد مصطفى زيادة وفؤاد عبد المعطي الصياد، الهيئة المصرية، ج٢٨، العامة للكتاب، د.ط، ج٢٩، تح محمد ضياء الريس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، ١٣٧٠هـ/١٩٩٢م.

٧٤. ابن واصل (محمد بن سالم ت ٦٧٩هـ/١٢٩٨م): مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج٣.١ ، تح جمال الدين الشيال، ج٥.٤. تح حنين محمد ربيع، ج٦ تح عمر عبد السلام التدوسي، ت ٦٣٤هـ/١٢٣٧م.

٧٥. ابن الوردي (عمر ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م): تتمة المختصر في أخبار البشر، تح أحمد رفعت البدراوي، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٣٨٩هـ/١٩٧٠، ج٢.

٧٦. وندوفر (روجر أوف ت ٦٣٤هـ/١٢٣٧م): ورود التاريخ، عن زكار (سهيل): الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج٤٥، د.ط، دمشق، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

المصادر الأجنبية غير المعربة

77-Matthew of Westmenester: The Flowers of History trans By C.D. Yonge, 2vol, London 1853.

78 -Vinsovfis (Geoffery): Itinerary of rchard Iand cethec to the holyland,1848. .

المراجع العربية والمعربة

١- أديوروي (بترو) : قبرص و الحروب الصليبية ، دار الملتقى للطباعة والنشر، قبرص، ليماسول ط(١)، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م .

٢- باركر (أرنست) : الحروب الصليبية، تر، السيد الباز العريني، دار النهضة العربية، بيروت، د٠ط ، د٠ت .

٣- بالار (ميشيل) الحملات الصليبية و الشرق اللاتيني من القرن الحادي عشر إلى القرن الرابع عشر الميلادي ، تر، بشير السباعي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص ٣٧٠ .

٤- براور (يوشع) : الاستيطان الصليبي في فلسطين (مملكة بيت المقدس)، تر٠د عبد الحافظ البنا، عين للدراسات و البحوث الاجتماعية والانسانية، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م .
٥- براور (يوشع): عالم الصليبيين، تر٠د قاسم قاسم و د محمد خليفة حسن، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ط (١) ١٤١٠ه /١٩٨٩م .
٦- بردج (أنتوني) : تاريخ الحروب الصليبية، تر أحمد غسان سبانو و نبيل جيرودي، راجعه و قدم له د٠ سهيل زكار، دار قتيبة، ط(١) ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م .
٧- بوز (فارس) : تاريخ العرب في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط غرناطة، منشورات جامعة دمشق، ط(١) ١٤١٦هـ/١٩٩٥م .
٨- بيشاوي (سعيد) : الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية (٤٩٢هـ-٦٩٠م / ١٠٩٩-١٢٩١م) دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية مصر، د٠ط، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .
٩- توفيق (عمر كمال) : مملكة بيت المقدس الصليبية، مطبعة رويال،الإسكندرية، د٠ط، ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م .
١٠- الجنزوري (عليه عبد السميع) : إمارة الرها الصليبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د٠ط، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م .
١١- حاطوم (نور الدين) : تاريخ العصر الوسيط في أوربا، دار الفكر، دمشق ، د .ط ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .
١٢-حاطوم (نور الدين) وطربين أحمد و عاقل بنية ومدني (صلاح) : المدخل إلى التاريخ، مطبعة الانشاء، دمشق، د٠ط ، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م .
١٣-حمزة (عادل عبد الحافظ) : العلاقات السياسية بين الدولة الأيوبية والإمبراطورية الرومانية المقدسة زمن الحروب الصليبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د٠ط، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م .
١٤- الدباغ (مراد مصطفى) : بلادنا فلسطين، ٨ أجزاء، دار العلم للملايين، بيروت، د٠ط ، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م .
١٥- ديب (جوزيف نسيم) : العدوان الصليبي على مصر، هزيمة القديس لويس التاسع في المنصورة وفارسكور، الاسكندرية ، ط ١٣٨٩،١هـ/١٩٦٩م .
١٦- رانسيمان (ستيفن) : تاريخ الحروب الصليبية(٣ أجزاء)، تر السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م .
١٧- ربيع (محمد حسنين) : النظم المالية في مصر زمن الأيوبيين ، مطبعة جامعة القاهرة ،مصر، د . ط ، ١٣٨١هـ/١٩٦١م .
١٨- رستم (أحمد) : كنيسة مدينة الله العظمى، منشورات النور، بيروت، د٠ط، ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م ، ج ١ .
٢٠- رمزي (محمد) : القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين حتى سنة١٣٦٤هـ/١٩٤٥م ، ٣ج ،مطبعة دار الكتب مطبعة وزارة التربية والتعليم ، القاهرة ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م ،ج٣.
٢١- زاباروف (ميخائيل) : الصليبيون في الشرق، تر الياس شاهين، دار التقدم موسكو، د٠ط، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م .

٢٢-الزركلي (خير الدين) : الأعلام قاموس و تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط(١٤) ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .
٢٣- زكار (سهيل) : الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية ،٤٠ج، دار الفكر، دمشق ،د.ط ،ت ١٤١٩هـ/١٩٩٨م .
٢٤- زكار (سهيل) : الحروب الصليبية الحملتان الاولى و الثانية حسب روايات شهود عيان، جزءان دار حسان، دمشق، ط١ ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .
٢٥- زكار (سهيل) : حطين مسيرة التحرير من دمشق إلى القدس، دار حسان،دمشق، ط١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .
٢٦- زكار (سهيل) : تاريخ الدولة العربية في العصر العباسي الثاني، جامعة دمشق، ط(٥) ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م - ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م .
٢٧- زكي (عبد الرحمن) : السلاح في الاسلام، دار المعارف بمصر، د٠ط ، د٠ت .
٢٨- زيادة (محمد مصطفى) : حملة لويس التاسع على مصر،
٢٩- زيان (حامد) : الإمبراطور فردريك الأول بربروسا والحملة الصليبية الثالثة
٣٠- السريان (القس رمله) : الحروب الصليبية في الأثار السريانية، المطبعة السريانية، بيروت، د٠ط ، ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م .
٣١- سميث (جوناثان رايتي) : الإسبتارية فرسان القديس يوحنا في بيت المقدس وقبرص، تر صبحي الحاربي، مركز الدراسات العسكرية، دمشق ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م .
٣٢- سميل (ر٠سي) : فن الحرب عند الصليبين في القرن الثاني عشر(١٠٩٧-١١٩٣م) تر محمد وليد الجلاد، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط ١ ، دمشق، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م .
٣٣- السيد (عبد اللطيف عبد الهادي) : الحروب الصليبية من خلال كتابات جاك دي فتري، جامعة غريان، ليبيا، د٠ط ، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م .
٣٤- الشيال (جمال الدين) : تاريخ دمياط سياسيا واقتصاديا، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط(١) ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م .
٣٥- : تاريخ مصر الإسلامية، جزئين، دارالمعارف، د٠ط، د٠ت .
٣٦- الصلابي (علي محمد) : صلاح الدين الأيوبي وجهوده في تحرير بيت المقدس، مكتبة عباد الرحمن، مصر، د٠ط ، د٠ت .
٣٧- العابد (مفيد رائف) : دراسات في تاريخ الاغريق، دراسة في التاريخ السياسي والحضاري الباكر والكلاسيكي، جامعة دمشق، ط ٢ ، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م .
٣٨- عاشور (سعيد) : الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلام في العصور الوسطى، جزءان، مكتبة الأنكلومصرية، القاهرة، ط٤ ، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م .
٣٩- عاشور (سعيد) : قبرص والحروب الصليبية، الهيئة المصرية االعامة للكتاب، القاهرة، ط٢ ، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م .
٤٠- عامر (ساميه) : الصليبيون في فلسطين (بلاد الشام)، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، القاهرة، ط ١ ، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م .

٤١-العريني (السيد الباز) : مؤرخو الحروب الصليبية، دار النهضة العربية القاهرة، د٠ط، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م .
٤٢- العزاوي (عباس) : التعريف بالمؤرخين في عهد المغول و التركمان، شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد، د٠ط، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م .
٤٣-عطا (زبيدة محمد) : الشرق الاسلامي والدولة البيزنطية زمن الأيوبيين دار الأمين، القاهرة، ط(٢)، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م .
٤٤- عمران (محمود سعيد) : الحملة الصليبية الخامسة، دار المعارف الإسكندرية، د٠ط، ١٤٢٥هـ/١٩٨٥م .
٤٥- الغزولي (ناديا) : مدينة صور في حقبة الحروب الصليبية، إشراف د٠ سهيل زكار، رسالة ماجستير، جامعة دمشق ١٤١٥هـ/٢٠٠٣م .
٤٦- غنيم (اسمت) : الدولة الأيوبية والصليبيون، دار المعرفة الجامعية،الاسكندرية، مصر، د٠ط، ١٤١١هـ/١٩٩٠م .
٤٧- فرح (نعيم) : تاريخ أوربا السياسي في العصور الوسطى، منشورات جامعة دمشق، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م .
٤٨-فولفنغ (مولر) و (فينر) : القلاع أيام الحروب الصليبية، تر محمد وليد الجلاد، دار الفكر، دمشق، د٠ط، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م .
٤٩- قاسم (قاسم عبده) : عالم الصليبين ، عين للدراسات والبحوث الاجتماعية والانسانية ، القاهرة ، ط١ ،١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
٥٠- كحالة (عمر رضا) : معجم المؤلفين ، ترجمة مصنفي الكتب العربية ، مطبعة الترقي، دمشق، د٠ط ، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م، ج(١) .
٥١- كروسيه (رينيه) : الحروب الصليبية صراع الغرب والشرق، ترأحمد أيبش، دار قتيبة، دمشق، ط(١) ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م .
٥٢ – كروسيه (رينيه) : ملحمة الحروب الصليبية ، تر سامية زغيب ، دار الهادي للطباعة والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
٥٣- مصطفى (شاكر) : التاريخ العربي والمؤرخون ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط١ ،١٤١١هـ/١٩٩٠م ، ج٣ .
٥٤-المطوي (محمد العروسي) : الحروب الصليبية في المشرق والمغرب ،دار الغرب الاسلاميه ،ط٢ ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م .
٥٥-مصلح (حفظ الله ناصر) : العلاقات بين المغول والصليبين وأثرها على الأمة العربية والاسلامية، رسالة ماجستير باشراف د٠ ابراهيم زعرور، غير مطبوعة ،جامعة دمشق ،١٤٢٧هـ/٢٠٠٦
٥٦- مقامي (نبيلة إبراهيم) : فرق الرهبان الفرسان في بلاد الشام في القرنيين الثاني عشر و الثالث عشر، مطبعة جامعة القاهرة، د٠ط، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م
٥٧-المنجد (صلاح الدين) : معجم المؤرخين الدمشقين وأثارهم المخطوطة والمطبوعة، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط(١)، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨.

المراجع الأجنبية

1- Cahen (clod) : Lasy ria du nordalepaque crol's ades 1940.

2- Dugguss (A) : The story of crousades, 1097-1291, London, 1963 .

3- Hill(G) : Ahistory of Cyprus, (3 vol), combridage , 1940-1948.

4- Lamp(H) : The cru sade,

5- Lomont : Feudal monar chy in the Latin king dom of jorsalem.

6- Rohicht(rein hold) : Regesta history mitani (MXCVII) Berelin,

1892 .
7-Stton(C.M) : Ahistory of the crusael (2vol) London 1962.
8- Stubbs(w) : Germany in the early middl age.